الحجاز في العهد العثماني

١٨٧٦ - ١٩١٨



عماد عبد العزيز يوسف

* الكتاب: الحجاز في العهد العثماني 1876 ـ 1918

* تأليف: عماد عبد العزيز يوسف

* الطبعة الأولى: شركة الورّاق للنشر المحدودة: 2011

* الطبعة الثانية: الورّاق للنشر 2014

* تصميم الغلاف: شركة الورّاق

* تنفيذ الغلاف: محمد قديح

First edition by Beat Alwarrak Publishing Ltd. 2011

www.alwarrakbooks.com

ISBN: 978-9933-493-16-5

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.
26 Eastfields Road
London W3 0AD-UK
Tel: 00442087232775
Fax: 00442087232775
warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت ـ الحمرا ـ بناية رسامني ـ طابق سفلي أول
ص.ب 6435-113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 00961-1-750054
فاكس: 00961-1-750053
e-mail: info@alfurat.com

شركة بيت الورّاق للنشر والتوزيع المحدودة
العـراق ـ بغـداد ـ شارع المتنبي
تلفون: 009647702749792
009647801347076

شركة دار الورّاق ش.م.م
بيروت ـ الحمرا ـ بناية رسامني ـ طابق سفلي
هاتف: 00961-1-341927
فاكس: 00961-1-750053

الحجاز في العهد العثماني

1876 ـ 1918

عماد عبد العزيز يوسف



المحتويات

الفصل الثالث

التطورات السياسية في الحجاز 1876 ـ 1914

الفصل الرابع

الحجاز خلال سنوات الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1918

المقدمة

أ ـ إطار البحث:

نظراً للأهمية الكبيرة التي تمتّعت بها منطقة شبه الجزيرة العربية فقد قام الباحثون بدراسة تلك المنطقة إلّا أنَّ الكثيرين منهم ركّزوا دراساتهم حول الخليج العربي ولكن ثمَّة بعض المناطق ومنها الحجاز كان نصيبها من الدراسة وخاصة في الفترة العثمانية قليلاً جدّاً، لذلك وقع اختياري على دراسة الحجاز في العهد العثماني في الفترة 1876 ـ 1918 موضحاً سياسة الدولة العثمانية في الحجاز خلال عهدي السلطان عبد الحميد الثاني والاتحاديين وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ويتكوّن الكتاب من مقدمة وأربعة فصول وخلاصة وملاحق، وكان الفصل الأول يدرس التوجّه العثماني نحو المشرق العربي وموقع الحجاز فيه، وتناولنا في المبحث الأول منه أسباب توجّه العثمانيين نحو المشرق العربي والخلاف العثماني المملوكي، والسيطرة العثمانية على مصر، في حين تناول المبحث الثاني موقع الحجاز وتسميته ثم السيطرة العثمانية على الحجاز، ومن ثمّ الأسر الحاكمة فيه. وبيّنّا معنى الصرّة العثمانية ومراسيم إرسالها إلى

الحجاز. أمّا المبحث الثالث فتحدثنا فيه عن الأشراف والصراع حول الشرافة.

وتعرّض الفصل الثاني إلى الإدارة والتعليم والطباعة والصحافة والصحة في الحجاز، فتناول المبحث الأول التقسيمات الإدارية في الحجاز والجهاز الإداري ومهام الجهاز الإداري والمجالس الإدارية.

أمّا المبحث الثاني فقد تناول التعليم في الحرم المكي والمسجد النبوي، والتعليم الحكومي والأهلي، ونشأة الطباعة والصحافة في الحجاز. أمّا المبحث الثالث فقد تحدثنا فيه عن الصحة في الحجاز.

وبحث الفصل الثالث التطورات السياسية في الحجاز خلال الفترة 1876 ـ 1914. وقد خصص المبحث الأول منه للإشراف في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، أما المبحث الثاني فقد تطرّق إلى موضوع سكّة حديد الحجاز من حيث الفكرة والأسباب والتمويل والصعوبات التي واجهتها. وكذلك بعض الخدمات في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

أمّا المبحث الثالث فقد خصص للكلام على شخصية الشريف حسين بن علي وعلاقته مع السلطة العثمانية بدءاً من مولده ونشأته، ثم علاقته مع السلطان عبد الحميد الثاني وتعيينه أميراً على الحجاز، ثم علاقته مع الاتحاديين.

أما المبحث الرابع فقد خصص للحديث عن الشريف حسين

ونزاع النفوذ والسيطرة حيث نزاعه مع ابن سعود 1910 ودوره في تهدئة ثورة الإمام يحيى في اليمن 1911، وثورة الإمام محمد الإدريسي في عسير 1910. ثم تدهور علاقته مع الاتحاديين.

وخصص الفصل الرابع عن الحجاز خلال سنوات الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1918.

فتناول المبحث الأول قيام الحرب العالمية الأولى ومساعي الشريف حسين في تحذير الدولة العثمانية من دخولها الحرب، ثم بيّنّا أهداف العثمانيين من دخولهم الحرب، وطبيعة العلاقة بين الشريف حسين والدولة العثمانية بعد دخول العثمانيين الحرب، وأهداف الحملة على السويس.

أمّا المبحث الثاني فقد خصّص لعلاقة الشريف حسين مع البريطانيين بدءاً بالاتصالات الأولى وصولاً إلى المراسلات (مراسلات حسين ـ مكماهون).

وتناولنا في المبحث الثالث الثورة العربية من حيث الأسباب، وإعلان الثورة، وأحداثها وصولاً إلى نهاية الثورة.

واستعرض المبحث الرابع كيفية خداع البريطانيين العرب من خلال اتفاقية سايكس ـ بيكو ووعد بلفور، وموقف الشريف حسين من هذه الاتفاقيات، وإعلان الشريف حسين قيام المملكة الحجازية وموقف الحلفاء منها وموقف الأطراف المجاورة للحجاز من هذا الإعلان، وكيف جرت محاولات الصلح العثماني الحجازي، وأخيراً بيّنّا نتائج الثورة العربية.

ب ـ نظرة في المصادر:

اعتمد الكتاب على وثائق ومصادر ومراجع وبحوث متنوعة وفّرت للكتاب معلومات بهذا القدر أو ذاك وفي مقدمة تلك المصادر:

1 ـ **الوثائق غير المنشورة:** اعتمدت على وثيقة واحدة غير منشورة في الكتاب وهي صادرة عن وزارة الخارجية البريطانية محفوظة في قسم الوثائق في المكتبة المركزية في بغداد. وقد أفدنا من هذه الوثيقة في موضوع المراسلات بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون حول تقسيم المشرق العربي.

2 ـ **الوثائق المنشورة:** تعدّ الوثائق المنشورة مصادر مهمة جدّاً في إغناء الكتاب بالمعلومات الدقيقة لما فيها من تفاصيل دقيقة. وقد اعتمد الكتاب على مجموعة من الوثائق العربية المنشورة والعثمانية والتركية، وفيما يخصّ العربية فقد اعتمدنا على مجموعة كان من أهمها كتاب نجد والحجاز في الوثائق العثمانية لسنان معروف أوغلو الذي يعدّ من المصادر المهمة إذ اعتمد على وثائق عثمانية في تبيان أوضاع نجد والحجاز. وكذلك كتاب الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) لنجدة فتحي صفوة إذ أفدنا من هذا المصدر في الفصل الأخير، ويعدّ هذا المصدر من المصادر المهمة لمن يبحث عن أحوال الجزيرة العربية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1918.

أمّا العثمانية منها فكانت القوانين المنشورة في كتاب

الدستور لمترجمها نوفل نعمة الله نوفل، وكانت إفادتنا منها في المبحث الخاص بالإدارة إذ أفدنا من الكتاب كثيراً. وكانت الوثيقة العثمانية المنشورة الخاصة عن الأحوال الصحية للحجاج التي كانت أشبه بتقرير رفعه طبيب السلطان عبد الحميد الثاني (شاكر القيساري) للسلطان بناءً على طلبه مصدراً مهمّاً جدّاً لمعرفة الحالة الصحية في الحجاز وخاصة الحجاج.

3 ـ **المطبوعات الرسمية**: اعتمدت الدراسة على مجموعة من المطبوعات الرسمية لعلّ أبرزها السالنامات العثمانية التي اعتمدنا على عدّة أنواع منها العمومية والخاصة بولاية الحجاز والتي حصلنا على واحدة منها الخاصة بعام (1301هـ ـ 1883م) عن طريق المراسلة مع مؤسسة أرسيكا باستانبول. وقد أفدنا من هذه السالنامات بشكل كبير في النواحي الإدارية والصحية. أمّا السالنامه الخاصة بالحجاز ففضلاً عن إفادتنا منها في النواحي الإدارية فقد أفادتنا كثيراً في موضوع التعليم.

4 ـ **المذكرات الشخصية**: تعدّ المذكرات الشخصية مصادر مهمّة وذلك لما تحتويه من معلومات مهمة ومتنوعة بتنوّع أصحابها. وقد اعتمد الكتاب على مجموعة من المذكرات منها العربية والتركية وفيما يخصّ العربية فهي تقريباً إحدى عشرة إلّا أنَّ أهمها مذكرات الملك عبد الله ومذكّرات جمال باشا ومذكّرات فائز الغصين ولهؤلاء أدوارهم فيما يخصّ أحداث الثورة العربية وسنوات الحرب العالمية الأولى.

أمّا فيما يخصّ التركية فقد كان لمذكّرات قادة الحرب العالمية الأولى: (Kumandan Larlmizin Harp Hatiralar) التي نشرها (Salah ddin Güngör) أهميتها إذ أفدت منها في الفصل الأخير عن الحجاز والحرب العالمية الأولى لما تحتويه من معلومات مهمّة عن الولايات العربية خلال الحرب العالمية الأولى.

5 ـ **الدراسات الجامعية**: اعتمدت على عدد من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي شكّلت مصدراً مهمّاً للدراسة. منها أطروحة الدكتوراه للأستاذ جاسم محمد حسن العدول والموسومة (الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول 1512 ـ 1520) إذ أفادتنا في الفصل الأول في موضوع السيطرة العثمانية على مصر ونهاية المماليك. وكذلك رسالة الماجستير للطالب عبد الغني جار الله صقلاوي الجبوري والموسومة (مشروع سكّة حديد الحجاز) إذ أفادتنا كثيراً في المبحث الخاص عن سكّة حديد الحجاز.

6 ـ **الكتب العربية والمعربة**: اعتمدت الدراسة على عدد كبير من الكتب العربية والمعرّبة. وقد زوّدتنا هذه الكتب بالكثير من الإيضاحات ووجهات النظر والتحليلات الممتازة للحقائق التاريخية. وكان بعضها مهمّاً بشكل كبير لموضوع الرسالة لما تضمنه من معلومات تفصيلية إذ اعتمد مؤلفوها على مادة وثائقية. ومن هذه الكتب كتاب ثورة العرب ضد الأتراك مقدماتها ـ أسبابها ـ نتائجها لأحد أعضاء الجمعيات العربية السورية إذ يعدّ هذا

الكتاب من المصادر المهمة في البحث عن ثورة العرب وأحداثها. ويأتي في الأهمية ذاتها مؤلفات أحمد ابن السيد زيني دحلان وهي كلّ من أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول ﷺ حتّى الشريف حسين بن علي وكتاب تاريخ أشراف الحجاز 1840 ـ 1883، وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام وكتاب الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية. إذ تكمن أهمية هذه المؤلفات في بيان أحوال الأشراف وصراعاتهم فيما بينهم حول الشرافة، والأحداث التي مرّوا بها، ويدخل في الأهمية ذاتها كتاب تاريخ مكة بجزأيه لأحمد السباعي إذ يعدّ من الكتب المهمة لمن يبحث في تاريخ مكة من جميع نواحيه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وتأتي مؤلفات أمين سعيد بالأهمية ذاتها ولاسيما كتاب الثورة العربية الكبرى ـ تاريخ مفصّل جامع للقضية العربية في ربع قرن. إذ فيه تفاصيل مهمّة عن أحداث الثورة العربية.

ويعدّ كتابا التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، والصحافة في الحجاز 1908 ـ 1941. لمحمد عبد الرحمن الشامخ من المراجع المهمة الخاصة بالتعليم والصحافة في الحجاز التي أمدتنا بالمعلومات الدقيقة لما يتعلّق بالتعليم والصحافة.

وقد أفدنا من كتاب جيل الفداء ـ قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب، لقدري قلعجي في أحداث الثورة العربية.

أمّا فيما يتعلّق بالكُتب المعرّبة فكان من أهمها كتاب أمراء

مكّة المكرّمة في العهد العثماني، لإسماعيل حقي أوزون جارشلي ترجمة د. خليل علي مراد ويعدّ من أهم الكتب المعرّبة في تاريخ أشراف مكة ومن المراجع المهمة لمن يريد معرفة الصُرَّة العثمانية وكيفية إرسالها من العاصمة العثمانية إلى مكّة المكرّمة.

7 ـ **المصادر الأجنبية**: استعنّا بعدد من المصادر الأجنبية وفي مقدمتها الكتب التركية القديمة (العثمانية) والتركية الحديثة. وفي مقدمتها كتاب (Hicaz Demir Yolu) لمؤلفه (Murat Özyüksel) فهذا المصدر غني بالمعلومات عن سكّة حديد الحجاز. كما يعدّ كتاب (Hicaz Karantina Teskilatic) لمؤلفه (Gulden Sariyildiz) من الكتب المهمّة التي تتناول الصحة في الحجاز.

أمّا المصادر الإنكليزية فأهمها كتاب:

(The Hijaz under Ottoman Rule 1869- 1914: Ottoman vali the sharif of macea, and the growth of British Influence).

لمؤلفه (Saleh Muhammed Al-Amr) وهو من المصادر المهمة جدّاً في تاريخ الحجاز من افتتاح قناة السويس وحتى عام 1914 إذ يبيّن طبيعة حكم العثمانيين للحجاز وطبيعة العلاقة بينهم وبين أشراف الحجاز ودور البريطانيين في المشاكل بين الأشراف والعثمانيين من خلال تدخلاتهم بشؤون الحجاز الداخلية.

8 ـ **الصحف والمجلات**: أفادت الدراسة من بعض البحوث والمقالات في الصحف والمجلات التي أغنت الكتاب بمعلومات كثيرة تكشف الحقائق. وكان من أهم هذه البحوث «صرّة الحرمين الشريفين في العهد العثماني» للأستاذ الدكتور

خليل علي مراد والمنشور في مجلة الرسالة الإسلامية إذ أفدنا منه في موضوع الصرّة العثمانية ويأتي في الأهمية ذاتها البحث الموسوم «أوضاع ولاية الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال سالنامات الموصل العثمانية» للدكتور عصمت برهان الدين عبد القادر، والمنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، وتكمن أهميته في المبحث الخاص بالإدارة. وأما البحوث «قصة الخط الحديدي الحجازي لم تتمّ فصولاً» لحكمت إسماعيل المنشور في مجلة العربي و«مقاومة القبائل لسكّة حديد الحجاز أسبابها وتطوراتها» لخالد حمود السعدون و«سكّة حديد الحجاز رحلة في الزمان والمكان» لأحمد عبد القادر المهندس والمنشوران في مجلة الدارة. فقد أفادتنا في موضوع سكّة حديد الحجاز.

وكذلك أفدنا من البحث الموسوم «المدارس الأهلية بجدة والطائف في أواخر العهد العثماني» لعبد اللطيف عبد الله بن دهيش والمنشور في مجلة الدارة، كثيراً في موضوع التعليم.

وهنا لا بد من التطرّق إلى بعض الصعوبات التي اعترضت طريق الدراسة لعلّ أبرزها عدم الاطلاع على بعض الوثائق الخاصة بموضوع الكتاب بسبب الظروف التي مرّت ويمرّ بها بلدنا العزيز.

ومن الصعوبات الأخرى الندرة في المصادر المتعلّقة بالناحية الإدارية والاقتصادية للحجاز مع توسّع في وجود مصادر

التاريخ السياسي. وكان لقلّة المصادر المتعلّقة بالإدارة سبب في عدم التطرّق لموضوعات مثل الأوقاف والسلطة القضائية في الحجاز.

ومن الله التوفيق

الفصل الأول

التوجّه العثماني نحو المشرق العربي وموقع الحجاز فيه

المبحث الأول

تحوّل الفتح العثماني نحو المشرق

أ ـ أسباب توجه العثمانيين نحو الشرق:

كانت هناك أسباب أدّت إلى توجّه العثمانيين نحو الشرق العربي على عهد السلطان سليم الأول(*) (1512 ـ 1520م) بعد أن كانت توسّعاتهم نحو الغرب وهي:

1 ـ ظهور الخطر الصفوي وتناميه الذي بدأ يهدد مناطق جنوب شرقي الأناضول.

2 ـ تهديد القوى البحرية البرتغالية للمنافذ البحرية في الخليج العربي ووصول بعض القطع البحرية البرتغالية إلى المناطق

(*) سليم الأول: من مواليد أماسيا 1470م، وهو ابن السلطان بايزيد الثاني، وقد تقلّد مناصب إدارية منذ سن مبكرة إذ تولّى منصب حاكم طرابزون وهو في السابعة عشرة من العمر وبقي في هذا المنصب لمدة 24 عاماً (1487 ـ 1511) ثم تقلّد السلطنة عام 1512 وهو في الثانية والأربعين من العمر واستمرّ في السلطنة حتى عام 1520م. اشتهر بانتصاراته في المشرق على الصفويين وقضائه على المماليك. جاسم محمد حسن العدول، الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول 1512 ـ 1520م، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، 2004، ص76 ـ 77.

الغربية من السواحل المقابلة لجدّة وتهديدها للمناطق المقدسة الإسلامية.

3 ـ الهزائم التي مُنيت بها الجيوش العثمانية في جبهة أوروبا وخاصة بعد فشل حصار ڤيينا[1].

4 ـ الموقع الاستراتيجي للوطن العربي من الناحية العسكرية والاقتصادية والسياسية والجغرافية.

5 ـ البحث عن الموارد الاقتصادية لتمويل الآلة الحربية.

6 ـ البحث عن الشرعية الدينية بزعامة العالم الإسلامي.

7 ـ ضعف المماليك في الدفاع عن السواحل الإسلامية سواء في الخليج العربي أم سواحل مصر وبلاد الشام[2].

ونرى هنا أنّ العثمانيين توجّهوا نحو الشرق منذ عام 1516م ولاسيما بعد معركة قرة غين ددة[*] في شمال العراق مع الصفويين ثم توجّهوا نحو الشام ومصر لمحاربة المماليك.

---

(1) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514 ـ 1914، (مصر1960)، ص98 ـ 103؛ رأفت غنيمي الشيخ، في تاريخ العرب الحديث، (القاهرة 1975)، ص21 ـ 22.

(2) محمد أنيس، المصدر السابق، ص98 ـ 103؛ محمود صالح منسي، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، (القاهرة، 1972)، ص20.

(*) وهي من المعارك الحاسمة في تاريخ شمال العراق وجنوب شرق الأناضول وقد قلبت موازين القوى لصالح العثمانيين لفترة طويلة من الزمن ووضعت نهاية حقيقية لكلّ محاولات الشاه إسماعيل الصفوي (1500 ـ 1524م) في العودة إلى المنطقة مرة أخرى. إذ كان لتجريده الحملات العسكرية ضد الحاميات العثمانية دور في أن يستنجد أهالي هذه المناطق بالسلطان سليم، ويُذكر أنّ إدريس البدليسي هو الذي =

ب ـ الخلاف العثماني المملوكي:

كانت العلاقات العثمانية المملوكية جيدة في بداية الأمر إذ إنّ قانصوه الغوري حاكم مصر المملوكي طلب المساعدة من العثمانيين في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481 ـ 1512م)، بسبب التهديد البرتغالي لهم بعد معركة ديو[1] عام 1509 إذ طلب إعادة بناء أسطول جديد وقد أرسل بايزيد الثاني المواد الضرورية

= عرض للسلطان سليم الأول تطورات الوضع في ديار بكر وطلب السلطان من إدريس البدليسي أن يختار من الأمراء الأكراد زعيماً لهم ليقودهم في حملة عسكرية لطرد الصفويين إلّا أنّ البدليسي أوضح للسلطان أن هذا غير ممكن لأنّهم كلهم يقولون أنا ولا غيري لذلك قرّر السلطان تكليف بيقيلي محمد باشا والي أرزنجان بقيادة حملة عسكرية فضلاً عن تعيينهِ والياً على ديار بكر برتبة بكلربكي، وكلف والي سيواس شادي باشا بالاشتراك في الحملة واتّخذ البدليسي على عاتقه قيادة القوات الكردية غير النظامية، وحدثت المعركة في 4 آيار 1516 بين القوات العثمانية والقوات الصفوية في منطقة قرة غين دده القريبة من قوج حصار على بعد 17كم جنوب غرب ماردين أو بين أورفة ونصيبين وانتهت المعركة بانتصار العثمانيين وهزيمة القوات الصفوية وقطع رأس قرة خان قائد القوات الصفوية وبعث به إلى السلطان سليم. علي شاكر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر دراسة في أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992م، ص48 ـ 51؛ خليل علي مراد، «الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي» (922 ـ 1139هـ) (1516 ـ 1726م)، موسوعة الموصل الحضارية، ج4، (الموصل، 1992)، ص15.

(1) معركة ديو وهي المعركة التي حدثت بين المماليك والبرتغاليين قرب ميناء ديو عام 1509م حطم البرتغاليون فيها أسطول المماليك وبذلك سيطروا على الخليج العربي. انظر نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 ـ 1574، ترجمة يوسف عطا الله، (بيروت، 1988)، ص34.

لبناء ثلاثين مركباً[1] لكن بعد أن تولّى السلطان سليم الأول السلطنة في الدولة العثمانية وبعد أن بدأت توسّعاته نحو الشرق أخذت العلاقات تسوء مع المماليك خاصة بعد انتصاره على الصفويين في موقعة جالديران(*) 1514م[2] إذ كان السلطان سليم قد طلب من قانصوه الغوري المساعدة في غزو بلاد فارس إلّا أنّ الغوري رفض بسبب تحالفه مع الصفويين. وبدأ السلطان سليم استعداداته للتوجه إلى الشام ومصر، إذ اتصل ببعض القادة المماليك من أمثال خاير بك وجان بردي الغزالي نائبي حلب ودمشق إذ كان للرسائل المتبادلة بينهما وبين السلطان سليم الأول دورها في هزيمة المماليك. كما كان لخداع خايربيك للسلطان الغوري عندما كان يخبره مخادعاً، بأنّ القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم لا تنوي التقدّم نحو الشام ومصر[3]، أثرٌ في هزيمة

---

(1) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث الشرق العربي من الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثاني عشر، (بيروت، 1971)، ص93.

(*) وهي المعركة التي حدثت بين القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول والقوات الصفوية بقيادة الشاه إسماعيل وقد التقى الطرفان في 24 آب 1514 وكانت النتيجة انتصار العثمانيين واندحار الصفويين ودخول سليم الأول تبريز في 5 أيلول 1514م. للتفاصيل انظر العدول، المصدر السابق، ص132 ـ 148؛ فاضل مهدي بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، (بنغازي: 2003)، ص17 ـ 18.

(2) العدول، المصدر السابق، ص169.

(3) محمد خلوص الناصري، البيان في تاريخ آل عثمان، (بغداد، 1912)، ص41؛ محمد عبد المنعم السيد الراقد، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، (مصر، 1972)، ص152 ـ 153.

المماليك عندما التقت مع القوات العثمانية في حلب بوادٍ يقال له مرج دابق[1] وقد حقق العثمانيون فيها نصراً على المماليك في 24 آب عام 1516م وقتل قانصوه الغوري في أثناء فرار الجيش المملوكي فدخل السلطان سليم مدن حماه وحمص ودمشق وعيّن بها ولاة من قبله وأمر بترميم الجامع الأموي الشهير وصلّى الجمعة[2]. وبعد وصول خبر موت الغوري تسلم السلطة في مصر طومان باي عند ذلك أرسل السلطان سليم يطلب الصلح مقابل الاعتراف بسيادة الباب العالي على المناطق المصرية فلم يقبل بذلك وإنما استعدَّ للقتال[3] وفعلاً التقى الطرفان عند مشارف القاهرة في الريدانية في 23 كانون الثاني 1517 وانتصر العثمانيون فيها على طومان باي الذي فرّ هارباً ونزل عند شيخ عربان من بني جدام عبد الدايم بن بقر[4] وقد حاول طومان باي أن يجمع فلول أعوانه إلّا أنّ القوات العثمانية قبضت عليه[5]. وتوجّهوا به إلى

---

(1) علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، (دمشق، 1991)، ص87؛ الناصري، المصدر السابق، ص41.

(2) الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج2، (د.م، د.ت)، ص390؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، (بيروت، 1981)، ص192؛ عمر أبو الناصر، سورية ولبنان حتى أول القرن التاسع عشر ويليها فصول في تاريخ العرب والإسلام، (بيروت، 1927)، ص77.

(3) إيفانوف، المصدر السابق، ص67 ـ 68؛ الناصري، المصدر السابق، ص42.

(4) عبد الهادي الأعظمي، دروس في التاريخ العثماني، (بغداد، 1912)، ص17.

(5) توماس آرنولد، الخلافة، ترجمة جميل معلى، (دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، د.ت)، ص85.

السلطان سليم وعندما وقعت عينا سليم عليه صاح قائلاً الحمد لله الآن أستطيع القول بأننا ملكنا ملك مصر. وقد تأكدت للسلطان سليم شجاعة طومان باي بعد أن قابله ورآه رابط الجأش وثابت القلب. وأوضح طومان باي أنّ ما قام به هو واجب مقدس أملاه عليه شرفه العسكري وعندما سأله السلطان سليم لماذا لم توافق على مقترحاتنا والاعتراف بالسيادة العثمانية وجعل الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني مقابل التخلّي عن غزو مصر ردّ طومان باي قائلاً[1] «الأنفس التي تربّت في العز لا تقبل الذلّ وهل سمعت أنّ الأسد يخضع للذئب؟ لا أنتم أفرس منّا ولا أشجع منّا وليس في عسكرك من يقايسني في حومة الميدان»[2] عند ذلك قال السلطان سليم إن مثل هذا الرجل لا يُقتل وأخّر الحكم عليه، ونقل إلى إحدى الخيم تحت حراسة القوات العثمانية وظلّ طومان باي في الخيمة لمدة سبعة عشر يوماً، وهذا يدلّ على أنّ السلطان سليم كان متردداً في الحكم عليه بالموت. إلّا أن خاير بك وجان بردي الغزالي حرّضا السلطان سليم على قتله إذ كتبا للسلطان سليم بأنّ أهالي مصر لا يصدقون مسألة وجود طومان باي لديكم أسيراً وأنهم منقسمون على أنفسهم كما أنك إذا رحلت من دون فعل شيء له فإنه سيقوم ويخرج ثانية للسيطرة على مصر ويذهب كل تعبك. لذلك وفي النهاية وبوشاية بعض الأمراء وافق السلطان

(1) الراقد، المصدر السابق، ص196.

(2) المصدر نفسه، ص197؛ إبراهيم علي طرخان، مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة 1382 ـ 1517، (القاهرة، 1960)، ص196.

سليم على الحكم بالإعدام على طومان باي في 23 نيسان سنة 1517 إذ أتوا به وبالقرب منه 400 عثماني إلى باب زويلة والناس على طول الطريق وأنزلوه عند باب زويلة وأرخوا له الحبال لشنقه وطلب من الناس أن يقرؤوا له سورة الفاتحة ثلاث مرات وقرأ هو كذلك ثم شنقوه عند ذلك صرخت الناس عليه[1] وبذلك أصبحت مصر تحت السيطرة العثمانية[2].

---

(1) جلال يحيى، مصر الحديثة 1517 ـ 1805، (الإسكندرية، د.ت)، ص112؛ إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي المالكي، قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، (مصر، 1899)، ص109.

(2) إبراهيم أفندي، مصباح الساري ونزهة القارئ، (بيروت، 1858)، ص23؛ برنارد لويس، العرب في التاريخ، تعريب نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، (بيروت، 1954)، ص230،

Stanford J. Shaw, History of the Ottman Empire and Modren Turkey, Vol. 1 (Cambridge, 1978), P.146.

المبحث الثاني

العثمانيون والحجاز

1 ـ الحجاز: الموقع والتسمية:

يقع الحجاز في الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب[1] وهو يمثل أحد الأقسام السّتّة لشبه جزيرة العرب وهي كلٌّ من الحجاز ونجد والإحساء واليمن وحضرموت وعُمان[2] ويحدّه من الشرق صحراء نجد ومن الشمال سوريا ومن الغرب البحر الأحمر ومن الجنوب منطقة عسير (المملكة العربية السعودية الآن)[3].

والحجاز هو الجبل الذي يحجز بين البلاد العالية نجد وبين ساحل البحر الأحمر المنخفض، ويمتد من خليج العقبة على خط عرض 29,30 شمالاً إلى خط عرض 20 شمالاً[4] والحجاز يشمل

---

(1) عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، ط2، (القاهرة، 1964)، ص129.

(2) المصدر نفسه، ص43؛ كرينيلوس فنديك الأميركاني، كتاب المرآة الوضية في الكرة الأرضية، (د.م، د.ت)، ص188.

(3) أندراوس كرشة ويورغاكي أبيض، الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية، (طرابلس الشام، 1912)، ص354؛ كحالة، المصدر السابق، ص131.

(4) مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب، موطن العرب ومهد الإسلام، ج1، (بيروت، 1965)، ص65 .

كذلك تهامة ويعدُّ بعض الدارسين كُلّاً من تبوك وفلسطين من أرض الحجاز، ويمتد طول الحجاز من الشمال إلى الجنوب إلى حوالي 1126,5 كيلومتراً وعرضه من الشرق إلى الغرب 563 كيلومتراً[1].

وقد سُمِّيت بالحجاز كما يقول الأصمعي «لأنها احتجزت بالحرار الخمس ومنها حرة بني سليم وحرة واقم»[2]. وكذلك سمّيت بهذا الاسم لأنّ جبل السراة وهو أعظم جبال العرب أقبل من قعرة اليمن فحجز بين تهامة ونجد فسمّيت بالحجاز[3].

ويعدّ الحجاز من المناطق المقدسة في العالم الإسلامي وسبب ذلك هو وجود الكعبة المقدسة فيه ومقام النبي إبراهيم عليه السلام وأنها مبعث الرسالة المحمدية الإسلامية وهي العاصمة الدينية للمسلمين التي ارتبطت بها جذور الإسلام[4].

وقد ظلّت منطقة الحجاز تحت سيطرة الحكومة الإسلامية منذ عهد الرسول والخلفاء الراشدين ثم الأمويين والعباسيين ثم

---

(1) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، (القاهرة، 1965)، ص23.

(2) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب أبي محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، (ليدن، 1951)، ص39.

(3) بكر بن عبد الله أبو زيد، خصائص جزيرة العرب، ط3، (الرياض، 2000)، ص22؛ كحالة، المصدر السابق، ص40.

(4) سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث 1516 ـ 1916، (الموصل، 1991)، ص120.

سيطر عليها الفاطميون الذين كانوا يحكمون مصر (910 ـ 1171م) ومن بعدهم المماليك[1].

2 ـ السيطرة العثمانية على الحجاز:

لقد أثمرت سيطرة العثمانيين على مصر نتائج وفوائد مهمة لصالح العثمانيين[2]. إذ دخلت الحجاز تحت سيطرتهم بشكل سلمي[3] ذلك أنه بعد السيطرة على مصر أرسل شريف مكة الشريف بركات الثاني ابنه (الشريف أبا نمي) مع وفد من الحجاز حاملاً معه مفاتيح الكعبة الشريفة[4] وتوجه الوفد إلى مصر لمقابلة السلطان سليم ووصل الوفد إلى مصر في آب 1517م وقابل السلطان الذي استقبلهم استقبالاً حسناً وبقي الوفد لمدة أربعة أيام[5] وسلم الشريف أبو نمي مفاتيح الكعبة

---

(1) خليل أدهم، دول إسلامية، (استانبول، 1927)، ص142.

(2) عبد الرحمن شرف، فذلكة تاريخ دولت عثمانية، (استانبول، 1897)، ص54؛ عمر فاروق، تاريخ أبو الفاروق تاريخ عثمانيده، (مطبعة امدى، 1910)، ص308؛ أحمد بن زيني دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج2، (مصر، 1935)، ص162.

(3) إبراهيم الشريفي، التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً، ط2، (د.م، 1971)، ص233؛ حميد أحمد حمدان التميمي، «خطوات السيطرة العثمانية في المشرق والخليج العربي 1514 ـ 1547»، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، سنة 19، 1994، ع47، ص101؛ أدهم، المصدر السابق، ص142.

(4) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط2، م5، (القاهرة، 1961)، ص190؛ الراقد، المصدر السابق، ص230.

(5) الراقد، المصدر السابق، ص230.

للسلطان سليم وأعلن الخضوع والولاء له، فاعترف السلطان سليم بإبقاء الشريف بركات أميراً على مكة[1]. واغتنم خطيب المسجد هذه المناسبة وسمّى السلطان سليم خادم الحرمين الشريفين[2]. وبهذا دخلت الحجاز تحت السيطرة العثمانية بشكل سلمي، ومن الجدير بالذكر أن تبعية الحجاز لمصر تعود لفترات سابقة عندما قبل أشراف مكة ذكر اسم السلطان المملوكي في الخطبة ونقش اسمه على السكة وكذلك هناك عوامل لسيادة مصر على الحجاز هي:

1 ـ كان الحجاز منطقة مهمة وحيوية لمصر من الناحية الاستراتيجية والدفاعية والهجومية.

2 ـ أن مصر مركز لقوافل الحج التي تكفلت الحكومة المصرية بحراستها.

3 ـ أن مصر كانت ترسل كسوة الكعبة وكذلك وجود الأوقاف المحبوسة على فقراء مكة والمدينة وعلى الحرمين الشريفين وقد احتفظ المماليك بلقب خادم الحرمين الشريفين ومن ثم انتقلت إلى العثمانيين بعد سيطرتهم على مصر[3].

---

(1) عبد الكريم رافق، دراسات في تاريخ العرب الحديث - بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (1516 ـ 1798)، ط2، (دمشق، 1968)، ص111؛ شرف، المصدر السابق، ص219.

(2) محمد توفيق، تاريخ عثماني، ط2، (مطبعة مكتب الفنون العربية، 1890)، ص124؛ نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة، (د.م، د.ت)، ص402.

(3) عمر، المصدر السابق، ص95.

3 ـ الأسر الحاكمة:

وقد حكم مكة(*) أربع أسر من الأشراف(**) في الفترة

(*) ذكرنا أن الأسر الأربع التي حكمت مكة حسب ما هو موجود في المصدر وهذا في الوقت نفسه يعني أنهم حكموا الحجاز ذلك لأنّ مكة هي مركز الحجاز والأشراف يحكمون من مكة.

(**)الأشراف جمع شريف وقد أطلق هذا اللقب على أحفاد الرسول محمد ﷺ من نسل الحسن والحسين ابني فاطمة الزهراء بنت الرسول وزوجها علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)

والشريف كلمة عربية تعني العلوّ وقد كان هذا اللقب موجوداً منذ زمن طويل يطلق على أولاد الحسن والحسين (رضي الله عنهما) وكان هناك لقب السيد أيضاً ذلك لأنّ الرسول ﷺ أطلق في الكثير من أحاديثه على الحسن والحسين اسم سيد إذ قال ﷺ: **(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**. وقد بقيت كلمة الشريف والسيد تطلقان على نسل الحسن والحسين وحتى على المنحدرين من هاشم جدّ الرسول ﷺ إلّا أنّه منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) خصص اللقب لأولاد الإمام علي عليه السلام والعباس عم الرسول ﷺ وفي زمن الدولة الفاطمية (910 ـ 1171م) أطلق لقب الشريف على أولاد الحسن ولقب السيّد على أولاد الحسين (رضي الله عنهما).

سيار كوكب علي الجميل، بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، (الأردن، 1997)، ص228 .

أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط2، (مصر، 1982)، ج7، ص160.

إسماعيل حقي أوزون جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، (البصرة، 1985)، ص14.

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (مصر، 1952)، ص189؛ دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، ج13، (القاهرة، د.ت)، ص270.
جارشلي، المصدر السابق، ص15.

(358هـ ـ 1344هـ) (969م ـ 1925م)[1] وهذه الأسر الأربع هي[2]:

1 ـ أسرة بني موسى وهم الموسويون.

2 ـ أسرة بني سليمان وهم السليمانيون.

3 ـ أسرة بني هاشم وهم الهاشميون.

4 ـ أسرة بني قتادة وهم القتاديون.

وقد حكمت الأُسر الثلاث الأولى مكة مدة 240 سنة من (358 ـ 598هـ) (969 ـ 1209م). أما الأسرة الرابعة وهم بنو قتادة فقد حكموا خلال المدة (598 ـ 1344هـ) (1209 ـ 1925م) أي حوالي 716سنة[3]. أي إلى أن سيطر آل سعود على الحجاز.

4 ـ الصرّة العثمانية:

أصبحت الحجاز تحت السيطرة العثمانية منذ أن دخلت مصر تحت السيطرة العثمانية عام 1517 في عهد السلطان سليم الأول وقد أبقى السلطان سليم الأمور الإدارية كما كانت على أيام المماليك[4]. إلّا أنّه قام بتقسيم الحجاز إلى ست مناطق، وهي

---

(1) الجميل، بقايا وجذور، ص228.

(2) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط3، (القاهرة، 1956)، ص142.

(3) الجميل، تكوين، ص121.

(4) توفيق، المصدر السابق، ص123 ـ 124.

مكة والمدينة والطائف وجدّة ورابغ وينبع وكانت جدّة هي المركز في البداية ثم أصبحت مكة هي المركز[1].

ومن الأمور الأخرى التي أبقاها السلطان سليم هي المحمل المصري[2] وهي أموال وصدقات كان الجراكسة يخرجونها من خزينة مصر لأهالي مكة سنوياً، وقد سار السلطان سليم على هذا النهج ووزَّعها على فقراء مكة[3] وكذلك أبقى على الصرّة الهمايونية أو كيس المال وهي الأموال التي كان يرسلها السلاطين العثمانيون إلى أشراف الحجاز وساداته وفقرائه بوصفها نوعاً من الاحترام المتبادل بين الطرفين، وكانت موجودة منذ زمن طويل حتى قبل السيطرة العثمانية، إذ يذكر أن أول سلطان عثماني أرسل الصرّة إلى الحجاز هو السلطان بايزيد الأول (1389 ـ 1402م) وسار على نهجه من بعده السلطان محمد الأول (1413 ـ 1421م) ثم السلطان مراد الثاني (1421 ـ 1444م / 1446 ـ 1451م)[*] الذي خصص إيرادات قرى منطقة بالق حصار وقفاً

---

(1) إبراهيم حلمي، ممالك عثمانية جيب اطلاسي، (باب عالي جاده سندة، 1905)، ص255؛ كحالة، المصدر السابق، ص141.

(2) الجميل، بقايا وجذور، ص232.

(3) أحمد ابن السيد زيني دحلان، أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول ﷺ حتى الشريف حسين بن علي، ط2، (بيروت، 1981)، ص74 .

(*) ذكرنا تاريخين لفترة سلطنة السلطان مراد الثاني ذلك لأنّه في سنة 1444م اعتزل الحكم والناس نتيجة لهزيمته أمام المجر ووفاة ولده علاء الدين وتولّى السلطة ابنه محمد الثاني (الفاتح) لغاية عام 1446 حين عاد مراد الثاني للسلطة، شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي سويدان، (دمشق - بيروت، 2001)، ص78.

لمكة[1] .وكذلك السلطان محمد الثاني (الفاتح) (1444 ـ 1446م/ 1451 ـ 1481م) إذ أرسل بعد فتح القسطنطينية رسولاً هو العالم الحاج محمد الزيتوني ليحمل بشرى الفتح مع رسالة وهدية إلى شريف مكة ومبلغ من المال قدره (7000) قطعة ذهبية ليوزعه على أهالي مكة[2].

وأرسل بعده بايزيد الثاني (1481 ـ 1512م) صرّة مناصفة بين مكة والمدينة وكان مقدارها 14000 دوكا[*] اما صرّة السلطان سليم (1512 ـ 1520م) فقد بلغت ضعف ما بعثه والده. وقد عيّن السلطان سليم أول أمين صرّة في عام 1517م وهو الأمير مصلح الدين الذي أُرسل من مصر بمعية اثنين من القضاة[3] وأصبحت الصرّة الهمايونية بعد هذا التاريخ ترسل سنوياً في شهر رجب ثم أصبحت ترسل في شعبان منذ أواخر القرن التاسع عشر وكانت ترسل من مصر حتى سنة 1714م حين صدر أمر بإرسالها من خزينة الحرمين الشريفين في البلاط السلطاني[4].

---

(1) خليل ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني ـ بحوث ووثائق وقوانين، (استانبول: 2000)، ص155؛ الجميل، بقايا وجذور، ص232.

(2) جارشلي، المصدر السابق، ص16 ـ 17.

(*) وهي عملة مدينة البندقية الإيطالية وكانت متداولة في الدولة العثمانية وكانت الذهبية منها تساوي 200 اقجة عثمانية والفضة 50 أقجة عثمانية أواخر القرن السادس عشر، عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، (بغداد، 1958)، ص129 ـ 130؛ جارشلي، المصدر السابق، ص26.

(3) دحلان، الفتوحات، ج2، ص163.

(4) خليل علي مراد، «صرّة الحرمين الشريفين في العهد العثماني»، مجلة الرسالة الإسلامية (العراق)، 2001م، ع267، ص17.

وكانت هذه الأموال ترسل بمراسيم خاصة إذ يقوم الشخص المعيَّن لوظيفة أمين الصرّة بلبس الخلع بوجود الصدر الأعظم ثم يرسل مع مسؤول مراسلات دار السعادة إلى البلاط الداخلي حيث يُلبسه آغا دار السعادة خُلعة أخرى[1] ثم يرسل الدعوات إلى المكتوبجي[2] والدفتردار[3] والنيشانجي[4] وإلى بعض المسؤولين ويرسل نائب الصدر الأعظم إلى بعض الأشخاص الذين يجب أن يحضروا مراسيم إخراج الصرّة وفي اليوم المحدد يأتي المدعوون إلى غرفة الآغا يازيجي[5] ويأتي بعد ذلك آغا دار السعادة عند ذلك يقوم رئيس الكتاب بجلب الكتاب السلطاني المعتاد إرساله إلى أمير مكة والمكتوب باللغة العربية في الباب العالي ويسلمه إلى آغا دار السعادة الذي يقوم بإلباس المدعوين الخلع ويقوم آغا دار السعادة ومفتش الحرمين الشريفين بالتوقيع على دفاتر الصرّة ويذيلها الدفتردار ويختمها النيشانجي وبعد هذا يأخذ آغا دار السعادة الكتاب ويذهب به إلى البلاط الداخلي ثم يذهب

---

(1) آغا دار السعادة: هو الشخص المسؤول عن العاملين داخل الحريم الهمايوني ويكون هذا الشخص من الأغوات السود. أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، (استانبول، 1999)، ص162.

(2) المكتوبجي: هو المسؤول عن قلم تحريرات الولاية. انظر سالنامه دولة علية عثمانية 1327هـ / 1909م، ص818.

(3) الدفتردار: هو رئيس المالية في منطقته، إحسان أوغلي، المصدر السابق، ص621.

(4) النيشانجي: هو المسؤول عن ختم الفرمانات الصادرة من الدولة وتوقيعها، إحسان أوغلي، المصدر السابق، ص189.

(5) الآغا يازيجي: هو رئيس الكتاب، جارشلي، المصدر السابق، ص52.

المدعوون إلى الخيمة المنصوبة في ميدان المراسيم وينتظرون خروج السلطان ثم يخرج السلطان من باب آق آغالار ـ باب السعادة[1] على ظهر جواده ثم ينزل ويجلس في مكان النيشانجي عند ذلك يقوم كبير معلمي الأمراء بحمل الكتاب السلطاني وأغوات الحرمين الشريفين بحمل أكياس الصرّة الهمايونية فتتم عملية حساب محتويات الأكياس[2].

وتختم الظروف بالشمع وتؤخذ إلى الصناديق المخصصة لها[3] بعد ذلك يأخذها آغا دار السعادة من كبير معلمي الأمراء ويسلمها إلى آغا السلحدار ـ حامل السيف ـ الواقف بجانب السلطان ثم يسلمها إلى السلطان وبعد ختمها بختم السلطان تسلم إلى آغا دار السعادة الذي يأخذها بدوره إلى الخيمة حيث يكون أمين الصرّة في استقباله ويلبس أمين الصرّة والسقاؤون الخلع ثم يبدأ بعد ذلك المشرف على الإسطبل بالدوران بالجمل الذي يحمل الشريف ثم بعد ذلك يخرج آغا دار السعادة من عند السلطان ويستلم رسن الجمل ويدور به دورتين ثم يسلم رسن الجمل الفضي إلى أمين الصرّة ويسلم رسن الجمل المعمول من الإبرسيم إلى آغا رؤساء السقائين ثم يسير ثلاث خطوات من المكان الذي يجلس فيه السلطان ويقبِّل الأرض بين يديه ثم يتحرك

(1) آق أغالار ـ باب السعادة: هو رأس العاملين عند باب الحريم السلطاني ويكون هذا الشخص من الأغوات البيض. إحسان أوغلي، المصدر السابق، ص162.
(2) جارشلي، المصدر السابق، ص51 ـ 53.
(3) مراد، المصدر السابق، ص18.

الموكب إلى أن يصل إلى أسكلة كرج ثم يعبر إلى أسكودار[1] ثم يواصل رحلته إلى الشام ثم إلى مكة وفي هذه الأثناء يرسل السلطان الرسائل إلى أمراء المناطق التي يمرّ بها المحمل الهمايوني بأن يستعدوا لاستقباله والتهيؤ لحمايته من الاعتداءات وكان والي كل منطقة يقوم بحماية الموكب إلى أن يصل إلى مكة[2] حيث يسلم أمين الصرّة الكتاب المرسل من السلطان باللغة العربية إلى أمير مكة ويقوم الأمير بتقبيل الكتاب ويضعه على رأسه ثم يقوم بقراءة الكتاب في منى ثم يسلم أكياس الصرّة إلى الشريف ليقوم بتوزيعها على الأشخاص المشمولين بالصرّة الهمايونية وإذا كان أحد المشمولين قد مات ترجع حصته إلى استانبول أما الصرّة المخصصة للمدينة المنورة فقد كانت توزع تحت إشراف وكيل أمير مكة المكرمة وقاضي المدينة وشيخ الحرم. وكذلك يخصص مبلغ من المال إلى البدو الذين يوجدون في طريق القافلة من استانبول إلى مكة حيث يقوم هؤلاء البدو بحماية القافلة من الاعتداءات والغارات وتسمى الأموال المخصصة لهم بصرة العربان. وبعد أداء مراسيم الحج يعود أمين الصرّة مع قافلة الشام حاملاً معه كتاباً من أمير مكة إلى السلطان مع بعض الهدايا[3].

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص53 ـ 55.

(2) المصدر نفسه، ص58.

(3) مراد، المصدر السابق، ص18 ـ 19.

المبحث الثالث

الصراع على الشرافة

أصبح الحجاز تابعاً للدولة العثمانية بعد إرسال الشريف بركات الثاني ابنه الشريف (أبا نمي) إلى مصر ليهنئ السلطان سليم بانتصاره وإعلان الاعتراف بالحكم العثماني لمنطقة الحجاز وكان الشريف بركات الثاني قد حكم الحجاز مناصفة مع أبيه منذ عام 1473م واستمر في الحكم إلى أن توفي والده واشترك معه في الحكم إخوته ونشب قتال فيما بينهم، وبعد أن توفي أخوه قايتباي سنة 1512م بقي هو وحده يحكم الحجاز إلى وفاته سنة 1525م عن عمر ناهز السبعين وتولّى بعده الشرافة ابنه أبو نمي بمرسوم من السلطان العثماني[1].

ومن الجدير بالذكر أن الشرافة في العهد العثماني كانت إما بالوراثة أو بالقوّة فبمجرد وصول (الشريف) إلى الشرافة يكتب بذلك إلى السلطان العثماني ليخبره بذلك فيرسل السلطان مرسوماً بذلك الأمر.

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص101.

وتولّى الشريف أبو نمي إمارة مكة وهو في العشرين من عمره، وكان هو أصغر أولاد الشريف بركات الثاني بعد أن توفّي أخواه علي وقايتباي في حياة والدهم[1]. وكان أبو نمي معروفاً بإدارته الجيدة وقوته حتى أن الدولة العثمانية كانت مطمئنة من جانب الحجاز في عهد إمارة أبي نمي. ويذكر أن البرتغاليين أنزلوا قواتهم في منطقة جدّة واحتلّوا قلعة جدّة في عهد إمارة أبي نمي سنة 1452م، فجمع أبو نمي قوة من البدو وبمساعدة والي جدّة استطاعوا أن يجبروا البرتغاليين على الانسحاب، وقد حصل أبو نمي بسبب موقفه هذا على نصف إيرادات جدّة[2]. وفي عام 1551م حصل نزاع بين أبي نمي وأمير الحج محمود باشا وبسبب شكوى محمود باشا عزل أبو نمي وعين محله زاير بن محرم إلّا أن أبا نمي رفض ذلك وأعلن التمرّد وتمرد البدو وقاموا بنهب قوافل الحج، ولذا وبناءً على طلب أهالي مكة المكرمة أعيد أبو نمي إلى إمارته بفرمان في السنة نفسها. لكن أبا نمي بعد فترة قصيرة طلب من الباب العالي تعيين ابنه أحمد محله، وقد استجيب طلبه إلّا أنّ وفاة أحمد سنة 1553م جعلت الشريف أبا نمي يطلب الشرافة لابنه الثاني الشريف حسن، وقد تمت الموافقة على طلبه سنة 1554م. وقد توفي أبو نمي عام 1584م عن عمر جاوز الثمانين سنة[3].

---

(1) محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، ط2، ج7، (بيروت، 1979)، ص131.

(2) دحلان، أمراء البلد، ص76 ـ 77.

(3) أحمد السباعي، تاريخ مكة، (مصر، 1952)، ص239 ـ 240.

انفرد الشريف حسن بالإمارة بعد أن كان قد شارك أباه في الإمارة منذ عام 1553م. وأراد تعيين ابنه الأكبر حسين نائباً له إلّا أنّ ابنه حسين توفي فعين ابنه الآخر مسعوداً نائباً له وبسبب وفاة مسعود عيّن الشريف ابنه أبا طالب نائباً أول له وابنه عبد المطلب نائباً ثانياً، ثم طلب الموافقة وقد وافق الباب العالي على هذا الطلب. وفي عام 1601م توفي الشريف حسن. وفي السنة نفسها توفي ابنه ونائبه الثاني عبد المطلب[1].

أصبحت الشرافة لابنه أبي طالب عام 1601م ومن ثم بدأت الخلافات بينه وبين اثنين من إخوته هما بشير وإدريس اللذين سافرا إلى استانبول مع عشرين شخصاً من أنصارهما يطلبان منصب الإمارة عند شغوره. ومنعاً للمشاكل خصصت الدولة لهم راتباً يتقاضونه من خزينة مصر، وبعد سنتين توفي أبو طالب[2]، وتولّى من بعده الشريف إدريس بن حسن عام 1603م، وقد نافسه في الإمارة أخوه فهيد وابن أخيه محسن، وقد أجبر على مشاركة الاثنين معه في الإمارة ثم ورد فرمان بذلك من السلطان أحمد الأول (1603 ـ 1617م) عام 1604 ينص على شرافة هؤلاء الثلاثة لمكة المكرمة. وبعد ذلك استطاع الشريف إدريس إزاحة أخيه فهيد عن الإمارة عام 1610م[3]. وفي عهد الشريف إدريس أرسل السلطان أحمد

(1) الجميل، بقايا وجذور، ص235.
(2) جارشلي، المصدر السابق، ص107 ـ 108.
(3) الجميل، بقايا وجذور، ص235.

الأول ميزاب الكعبة المصنوع من الذهب والذي سمي بميزاب الرحمة، وأرسل معه أيضاً الماسة التي كان يلبسها والده السلطان محمد الثالث (1595 ـ 1603م) في أصبعه إلى المدينة المنورة وعرفت هذه الماسة بشب جراغ (مصباح الليل) وأرسلت بعد أن وضعت في لوحة زينت أطرافها بـ 220 ماسة ثمينة وعلقت في مكان الكوكب الدرّيّ المعلق على جدار الروضة المطهرة، وأخذ ميزاب الكعبة والكوكب الدرّي القديمان إلى استانبول[1].

ولم يخلُ عهد الشريف إدريس من المشاكل والأعداء، وذلك بسبب تجاوزات رجاله وعبيده الأمر الذي أدّى إلى عزله بقرار من السادة والأشراف وتمّ إبلاغ الباب العالي بذلك الذي وافق على تعيين الشريف محسن على الإمارة بدلاً منه[2].

وبعد تعيين الشريف محسن على الإمارة حدث في عهده أن غرقت سفينة كورجي أحمد باشا والي اليمن قبالة ميناء جدّة، وقد طلب المساعدة والرجال من الشريف محسن فاستجاب لذلك وأرسل مجموعة من الهدايا إلى أحمد باشا مع مفتي مكة عبد الرحمن مرشدي، لكن أحمد باشا وقع تحت تأثير منافسي محسن وعين الشريف أحمد بن عبد المطلب أميراً على مكة وهو في جدّة وأعلن عزل الشريف محسن وحدث صدام بين الاثنين انتصر فيه

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص108.
(2) السباعي، المصدر السابق، ص247.

الشريف أحمد على محسن الذي ذهب مع بعض رجاله إلى اليمن، وتوفي في صنعاء عام 1629م[1].

تولّى الشريف أحمد بن عبد المطلب الشرافة عام 1628م واستمر فيها مدة سنة وأربعة شهور، وكان حكمه وتصرفاته تتصف بالطيش إذ قتل الكثير من الناس ومنهم مفتي مكة عبد الرحمن مرشدي بتهمة تأييده للشريف محسن وحاول قتل منافسه مسعود بن إدريس، إلّا أنّ الأخير استطاع الهرب واللجوء عند قانصوه باشا في ينبع. وبخطة ذكية من قانصوه استطاع أن يستدرج الشريف أحمد إلى جدّة، وفي أثناء الليل استطاع أن يخنق الشريف أحمد في خيمته ويعلن في الوقت نفسه الشرافة لمسعود بن إدريس عام 1629م[2]. ولم يحصل شيء مهم في فترة حكم مسعود التي استمرت سنة وثلاثة أشهر إلا حادثة واحدة وهي غرق المسجد الحرام بالسيول الذي أثّر كثيراً في الناس[3] وتولّى الشرافة بعد الشريف مسعود الشريف عبد الله بن حسن الذي بقي مدة تسعة أشهر فقط، ثم تخلى عنها لابنه محمد وللشريف زيد بن محسن وجاءت الموافقة من الباب العالي بشأن شرافتهما المشتركة[4] وبعد ثلاثة أشهر ونصف توفي الشريف عبد الله.

واستمرت إمارة الشريف محمد وزيد سبعة أشهر إذ حدث

---

(1) دحلان، أمراء البلد، ص96.

(2) طلس، تاريخ العرب، ج7، ص132 ـ 133.

(3) السباعي، المصدر السابق، ص251.

(4) دحلان، أمراء البلد، ص101.

في عهدهما أن تسلّط الأئمة الزيدية في اليمن وتمرّدوا ضدّ قانصوه باشا، وانسحبت قوة من اليمن وهي في حالة من الفوضى إلى مصر وفي الطريق اجتمعت تحت قيادة شخص يدعى كور محمود (محمود الأعور)، وبتوجيه من الشريف نامي بن عبد الله استطاع أن يوجه هذه القوات إلى مكة ثم طلبوا من الأميرين الدخول إلى مكة، إلّا أنّ محمداً وزيداً رفضا ذلك خوفاً من النهب والسلب، لكن محمود الأعور دخل مكة عنوة واستطاع أن ينتصر على محمد وزيد على الرغم من المساعدات التي تلقياها من والي جدّة مصطفى بك، وتوفي الشريف محمد وهرب الشريف زيد، وفي أثناء ذلك عيّن محمود الأعور كلّاً من الشريف نامي بن عبد المطلب وعبد العزيز بن إدريس على إمارة مكة مشاركة بين الاثنين، وبدأ نامي عهده بشن حملة ضد والي جدّة مصطفى بك واستطاع أن يقتل مصطفى بك بعد دخوله جدّة[1] ولم يستطع الشريفان نامي وعبد العزيز البقاء في الشرافة مدة طويلة ذلك لأنّ الشريف زيد الذي هرب إلى المدينة المنورة في أثناء دخول قوات كور محمود إلى مكة كان قد كتب إلى والي مصر خليل باشا يطلب منه المساعدة، وبعد وصول المساعدة هرب الشريف نامي مع أخيه ومحمود الأعور إلى قلعة تربة في وادي العباس بغية قيادة عمليات المقاومة من هناك، لكن العطش غلب عليهم واستسلموا وصدقوا الوعود إلّا أنهم اعتقلوا وحكم على نامي وأخيه بالإعدام لأنّهما قتلا والي جدّة مصطفى بك.

---

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص112.

أما بشأن الشريف عبد العزيز فإنه هو الآخر هرب إلى ينبع ثم إلى مصر وتوفي هناك، فأصبحت الإمارة لزيد بن محسن للمرة الثانية وامتازت مدة حكمه للحجاز بالأمن والاستقرار لأنّه بقي في الإمارة وحده مدة 35 عاماً إلى أن توفي عام 1666م تاركاً الشرافة لابنه سعد[1]. وحينما تولّى الشريف سعد الإمارة أراد حمود بن عبد الله منافسته لكن الباب العالي أرسل فرماناً بتولّي سعد فقط من دون مشاركة أحد معه. عند ذلك تمرّد حمود وحاول أمراء حج الشام ومصر إصلاح الأوضاع بين الشريف سعد وحمود إلّا أنّهم لم يستطيعوا. وبعد مدة قصيرة وتحديداً عام 1669م عيّن الشريف أحمد شقيق سعد أميراً معه إلّا أنّ الحكم الفعلي بقي بيد سعد. وعلى الرغم من جودة معاملة الدولة العثمانية إلّا أنّ الشريف سعداً عمل على مصادرة الصرّة المرسلة من استانبول، وتدهورت علاقته مع والي جدّة حسن باشا الذي جاء لتعمير مكة وتوزيع الصرّة لكن سعداً هجم عليه في منى وقتل حسن باشا ورجاله، وعند وصول هذه الأخبار إلى استانبول عيّن الباب العالي والي الشام صاري حسين قائداً عسكرياً، وطلب منه التوجه إلى مكة مع قوات من مصر[2].

وعند وصول حسين باشا إلى الحجاز لم يبادر إلى عزل الشريف سعد بل عامله معاملة حسنة وطلب منه أن يأتي لمقابلته وأن يلبس الخلعة إلّا أنّ سعداً وبسبب خوفه من جراء أعماله

---

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص113 ـ 114.

(2) دحلان، أمراء البلد، ص120 ـ 123.

السابقة أرسل مساعده إلى حسين باشا مع بعض الهدايا، وقبل حسين باشا الهدايا وأراد حسين باشا أن ينزل عند الشريف سعد بشكل مفاجئ وفعلاً نزل في بيته، عند ذلك تملك الشريف سعد الخوف، لكن حسين طمأنه وطلب منه أن يأتي لمقابلته في خيمته في اليوم التالي للبس الخلعة المرسلة من السلطان إلّا أنّ الشريف سعد لم يذهب، فأوصى حسين قادة الجيش بعزل الشريف سعد لكن حسين باشا أخذ الكتاب السلطاني وذهب مع مجموعة من رجاله إلى بيت الشريف سعد وقدم إليه الخلعة والكتاب[1].

رفض الشريف سعد ذلك وأراد أن يقطع مياه مكة المكرمة ليحل العطش بقوات حسين باشا، لكن حسين باشا استطاع أن ينتصر على قوات سعد الذي هرب، وقد اقترح قادة الجيش على حسين باشا تعيين أخيه أحمد على الإمارة لكنه رفض وعزل الشريف أحمد أيضاً من الإمارة، وعيّن بدلاً منه الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي أميراً على مكة المكرمة عام 1672م[2].

واستمر الشريف بركات في الحكم مدة عشر سنوات وامتاز حكمه بالهدوء والاستقرار، وبعد وفاته عام 1682م استلم الشرافة ابنه الشريف سعيد الذي كان مختلفاً عن أبيه إذ كان في صراعات ومشاكل مع الأشراف طيلة مدة حكمه التي استمرت سنة وسبعة

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص116.
(2) جارشلي، المصدر السابق، ص117.

أشهر، وكان كل طرف يرسل الرسائل إلى الباب العالي ضد الطرف الآخر، عند ذلك جاءت الأوامر من الدولة بعزل الشريف سعيد[1]. وتعيين الشريف أحمد بن زيد عام 1684م وكانت شرافته للمرة الثانية بعد أن كان شريكاً في الشرافة مع أخيه عام 1669 ـ 1672م واستمر إلى عام 1688م حيث توفي. ووجد الشرفاء أن يعين سعيد بن سعد ابن شقيق الشريف أحمد بن زيد وأرسلوا طلباً للباب العالي للحصول على الموافقة، وفي هذه الأثناء كان متصرف جدّة محمد بك أبو الشوارب قد حصل على رشوة من الشريف أحمد بن غالب فوزع قسماً منها على القادة وعلى بعض الشخصيات في مصر وبقرار من هؤلاء اقترح إعطاء إمارة مكة للشريف أحمد بن غالب بعد أن زوّر والي جدّة فرماناً جاء فيه أن سبب الفتنة في مكة هو الشريف سعيد الذي اضطر للهرب إلى اليمن وعين الشريف أحمد بن غالب وكان شخصاً غادراً وسيئاً فقبل أن يصل فرمان الولاية عمل على نهب غلال الأهالي وصرّة الحرمين الشريفين ونهب من مجوهرات الروضة المطهرة ومن ثم هرب إلى اليمن[2].

وقد أجمع الأشراف على تعيين الشريف محسن بن حسين على الإمارة وجاءت الموافقة من الباب العالي سنة 1690م، وقد حكم مدة سنة واحدة فقط لأنّ الشريف سعيد بن سعد الذي هرب إلى اليمن أيام تولّي الشريف أحمد بن غالب كان قد جمع قواتٍ

(1) دحلان، أمراء البلد، ص124 ـ 136.
(2) جارشلي، المصدر السابق، ص121 ـ 124.

من اليمن ودخل مكة في عهد الشريف محسن، ونتيجة للمشاكل وعدم الاستقرار فضلاً عن قيام البدو بمهاجمة قوافل الحج اضطرت الدولة إلى قبول إمارة الشريف سعيد بعد أن تعهد بأنه سيضمن الأمن والهدوء وأرسلت فرمان الولاية عام 1691م، وقد بقي الشريف سعيد في الولاية مدة عشر سنوات (1691 - 1717م) وقد تخلل هذه الفترة عزله لمرات عدة وإعادته إذ عزل في المرة الأولى بعد عام من تولّيه الولاية أي في عام 1691م وتسلم الولاية والده الشريف سعد بن زيد الذي بقي في الولاية إلى عام 1696م، وتسلم من بعده الشريف عبد الله بن هاشم لكنه لم يستمر طويلاً إذ استطاع الشريف سعد أن يخرجه بالقوة من الولاية، ويعود ثانية ليستمر في الحكم لحين استقالته عام 1702م حيث تولّى بعد ذلك الإمارة ابنه الشريف سعيد وبقي في منصبه حتى عام 1704م[1]. ومن ثم ورد فرمان بتعيين الشريف عبد الكريم بن محمد والياً. وبعد سنة أي في عام 1705م استطاع الشريف سعد مرة أخرى اغتصاب منصب الإمارة من عبد الكريم بالقوة وتوفي الشريف سعد بعد ثمانية عشر يوماً، وتولّى بعده الشريف سعيد الذي كانت مدة ولايته مليئة بالمشاكل مع بقية الأشراف، ونتيجة لخشية الدولة من تأزم الأوضاع بين الأشراف أمرت بحماية الشريف سعيد، وطلب الباب العالي من شيخ الإسلام علي أفندي أن يصلح بين الأشراف. إلّا أنّ مفتييّ المذاهب الأربعة اجتمعوا وأجازوا معاقبة الشريف سعيد. ونتيجة لهذا

---

(1) طلس، تاريخ العرب، ج7، ص136 - 137.

أصدر الباب العالي فرماناً بعزله وتعيين عبد الكريم بن محمد محله. ونتيجة لسوء علاقة الشريف عبد الكريم مع نصوح باشا رفع نصوح باشا تقريراً إلى الباب العالي أدّى إلى عزل عبد الكريم وتعيين الشريف سعيد للمرة الرابعة عام 1711م حيث بقي في الولاية إلى وفاته عام 1717م[1].

وبعد وفاة الشريف سعيد تولّى الإمارة ابنه الأكبر عبد الله الذي كانت بداية عهده جيدة وكان عادلاً ومستقيماً إلّا أنّ علاقته مع الشرفاء تغيّرت ممّا أدّى به إلى الاستقالة بعد سنة واحدة من تولّيه الإمارة في 1718م[2]. وعند ذلك نصَّب الأشراف الشريف عبد المحسن بن أحمد وكالة حتى ورد فرمان من الباب العالي بتعيين الشريف علي بن سعيد أميراً، ولم يستحسن الأشراف هذا التعيين، وفي تلك الأثناء جاء أمير حج الشام رجب باشا إلى مكة المكرمة ووجد أن الأشراف قد اتفقوا على تعيين يحيى بن بركات أميراً، ولذلك نصب يحيى للإمارة وكتب للباب العالي يطلب الموافقة وعزل علي بن سعيد، وجاء فرمان عزل علي بسبب صغر سنه، وبسبب عزله شيخ قبيلة حرب التي تنقل الغلال من ينبع إلى المدينة المنورة بلا سبب الأمر الذي أدّى إلى تمرد القبيلة[3].

وبعد تولّي يحيى بن بركات الإمارة بموجب الفرمان الذي ورد من الباب العالي عام 1720م والذي يقضي بأن يحكم

---

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص127 ـ 129.
(2) طلس، تاريخ العرب، ج7، ص140.
(3) جارشلي، المصدر السابق، ص130.

الحجاز بصورة مستقلة، استغل يحيى بن بركات هذه الثقة فوضع يده على أموال الصرّة المرسلة وكان يأخذ أموالاً من التجّار ولا يردّها إلى أصحابها ممّا أدّى إلى قيام الأشراف ضدّه[1]. وانتخاب الشريف مبارك للإمارة. وحاول متصرّف جدّة إبراهيم باشا إصلاح الأوضاع إلّا أنّه لم يستطع، وحدثت معركة بين يحيى وبقية الأشراف في موضع وادي مهنا انتهت بهزيمة يحيى بن بركات وانتصار الأشراف وعينوا الشريف مبارك للإمارة، وعندما عرض إبراهيم باشا الحالة على الدولة جاء الفرمان بعزل يحيى وتعيين الشريف مبارك أميراً على مكة، وقد بقي الشريف مبارك في الإمارة مدة عامين وكان الشريف يحيى يتصل ببعض الأشخاص في هذه الفترة أملاً في الحصول على الإمارة مرة أخرى[2]. إذ ذهب إلى استانبول وبعد فترة طلب إذناً بالسماح له بالسفر إلى الشام وحصل على ذلك وقابل السلطان أحمد الثالث (1703 ـ 1730م) في حديقة الترسانة الذي أكرمه وأعطاه بعض الهدايا، وعيّن يحيى متصرفاً للقدس سنة 1721م واستطاع أن يحصل على حظوة والي الشام ثم ضمن لنفسه فرمان إمارة مكة المكرمة وأصبح أميراً عليها للمرة الثانية محل الشريف مبارك عام 1723م إلّا أنّ الشريف يحيى لم يتخلَّ عن عادته إذ أخذ يعمل على نهب الأموال والأخذ من التجار مما أدّى إلى عزله عام 1725م وتعيين الشريف عبد الله ابن الشريف سعيد أميراً على مكة وبقي في الإمارة حتى

---

(1) الجميل، بقايا وجذور، ص244.

(2) جارشلي، المصدر السابق، ص131 ـ 132.

عام 1731م[1] حيث توفي وتولّى الإمارة ابنه محمد الذي كان عديم الخبرة في شؤون الإمارة وبتشجيع من بعض المقربين له عمل على اتخاذ إجراءات غير مدروسة أساءت إلى علاقته مع الشرفاء مما حدا بالشرفاء والوزير أبي بكر باشا الذي كان يتولّى متصرفية جدّة ومشيخة الحرم المكي على عزل الشريف محمد وتعيين عمه الشريف مسعود بن سعيد أميراً وعرض الأمر على الحكومة في استانبول وقد جاء الفرمان بتعيين مسعود مع فرمان ثانٍ ضم اسم محمد وذلك لأنّ الأشراف كانوا قد انقسموا قسمين فارتأت الدولة تعيين الاثنين منعاً من المشاكل. وبعد فترة قصيرة عزل محمد وبقي مسعود في الإمارة وحده حتى عام 1752، وقد حدث في عهده أن مرّت مكة بظروف مالية صعبة، مما اقتضى أن يمنحه والي الشام وأمير الحج الوزير سليمان باشا مبلغاً قدره 20،000 قرش[*] وصدر من السلطان العثماني أمر يقضي بإيقاف إرسال الهدايا من الحجاز والأشراف إلى الباب العالي والوزراء سنة 1735م[2] كما أرسل الشريف مسعود في عام 1749 برسالة إلى الباب العالي أشار فيها إلى وجود شخص من أهالي العيينية[**] يدعى محمد بن

---

(1) الجميل، بقايا وجذور، ص244.

(*) الليرة العثمانية تساوي 100 قرش، انظر: حسن محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي 1869 ـ 1914، (بغداد، 1980)، ص482.

(2) جارشلي، المصدر السابق، ص137 ـ 138.

(**)العيينية: إحدى القرى في شمال الرياض عاصمة نجد، انظر: مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول في القرن العشرين، (دار الشروق، 1980)، ص20.

عبد الوهاب يصدر اجتهادات مخالفة للمذاهب الأربعة فطلبت الحكومة إقناعه بالرجوع عما يفعله. إلّا أنّ الشريف مسعود توفي عام 1752م ورُشِّح أخوه للإمارة، وجاءت الموافقة من الباب العالي بتعيين الشريف مساعد بن سعيد للإمارة[1] وقد انتفض ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله ضده، لكن مساعداً استطاع أن ينتصر عليه ثم تصالح الطرفان، وخصص راتب لمحمد بن عبد الله وبقي الشريف مساعداً في إمارته حتى عام 1759م في المرة الأولى حيث عزل بعد ذلك نتيجة لسوء معاملته للتجار، مما حدا بالتجار إلى تقديم بعض الأموال إلى والي مصر كشكش حسين باشا وتحريكه ضد مساعد إلّا أنّ كشكشاً هُزم أمام قوات مساعد. عند ذلك أخبروا الدولة أن الحجاج المصريين لن يتوجهوا إلى مكة في حال بقاء مساعد في منصبه، وعند ذلك أرسل فرمان بعزل مساعد وتعيين أخيه جعفر مع والي الشام وأمير الحج عبد الله باشا، وجاء هذا إلى مكة، وتجنباً للمشاكل فإنه بادر بدعوة أمير مكة والبقية بحجة قراءة فرمان إبقاء الشريف مساعد. وعندما اجتمع الجميع قرأ فرماناً بعزل مساعد وتعيين أخيه جعفر. وقد فوجئ مساعد بهذا لكنه قبل الأمر على الرغم من وجود نفوذ قوي لمساعد عند البدو، لكنه بعد أن انسحب إلى منطقة أم عابدة حزن لهذا الأمر وأراد أن يرجع فطلب إذناً بالعيش في مكة في البداية. وعندما جاءت الموافقة انتقل إلى مكة وكان مؤيدوه من أصحاب الخبرة على العكس من مرافقي أخيه جعفر. وحالما خرج والي الشام

---

(1) الجميل، بقايا وجذور، ص245.

وأمير الحج عبد الله باشا من مكة بادر مساعد يخبر أخاه بأن يترك الإمارة له، ورأى جعفر أنه لا يستطيع المقاومة لذلك وافق على ذلك فأصبح مساعد هو صاحب الإمارة للمرة الثانية[1] وفور تسلمه الإمارة أرسل رسالة إلى الباب العالي يخبره فيها عما جرى وأعلن طاعته للدولة، لكنه كان يخشى جانب والي الشام عبد الله باشا فأرسل الرسالة عن طريق بغداد خوفاً من أن تقع بيد عبد الله باشا وبعد وصول الرسالة ونتيجة لخطورتها اجتمع السلطان مصطفى الثالث مع الصدر الأعظم وشيخ الإسلام والنيشانجي وقضاة العسكر ونقيب الأشراف وآغا الانكشارية ورئيس الحرس السلطاني، وبعد الاجتماع أُعطي الحق لمساعد ونقل والي الشام عبد الله باشا إلى حلب ثم إلى ديار بكر، مما جعل مساعداً يصاب بالغرور. وفي عام 1768 بدأ يتجاوز صلاحياته ودخل في صراع مع الشريف عبد الله بن حسين بعد عودته من مصر بغية الحصول على الإمارة وقد انتصر مساعد عليه واضطر للهرب إلى مصر ثانية. وبقي مساعد في الإمارة حتى وفاته عام 1770م[2].

وعلى الرغم من أنه أوصى بالإمارة لأخيه عبد الله بن سعيد إلّا أنّ الإمارة منحت لأخيه أحمد بن سعيد. وقبل وصول فرمان بتولّيه الإمارة ظهر منافس له هو عبد الله بن حسين حيث استغل والي مصر علي بك بلوط قابان هزائم الدولة العثمانية في حربها مع روسيا وأعلن التمرد ضد الدولة وعزل الشريف أحمد وعيّن

---

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص140 - 141.

(2) الجميل، المصدر نفسه، ص246.

الشريف عبد الله بن حسين آل بركات بفرمان مزوَّر وبمساعدة قوات لواء جدّة التي كانت بقيادة محمد بك أبو الذهب وأجبر الشريف أحمد على الهرب وقد بقي الشريف عبد الله مدة ثلاثة أشهر فقط في الإمارة إذ ورد من الباب العالي فرمان بتعيين أحمد على الإمارة بعد أن كشفت الحقيقة، وقد بادر الشريف أحمد إلى جمع قوات من البدو لمحاربة عبد الله بعد خروج قوات مصر، واستطاع أن ينتصر على عبد الله ويتولّى مقاليد الأمور. لكن بعد فترة قصيرة من تخلصه من عبد الله برز له منافس آخر هو سرور ابن أخي مساعد[1] الذي تصادم معه كثيراً ثم استطاع أن يحصل على فرمان الإمارة من الحكومة عام 1773م وقد استمرت مصادماته مع عمه أحمد حتى عام 1779م[2] حينما أسر عمه أحمد وأبناءه وأدخلهم السجن حيث بقي أحمد في السجن لحين وفاته عام 1781م [3]. ودخل الشريف سرور في صراع مع بعض قبائل البدو الذين ساندوا عمه أحمد ضده وكان سرور على الرغم من صغر سنه عند تولّيه الإمارة (18 سنة) فإنه كان ذا تدبير جيد إذ استتبَّ في عهده الأمن والاستقرار حتى في طريق الحج[4]. وبسبب انتصاراته تملكه الغرور إذ صنع على باب الروضة النبوية ألواح فضة كتب عليها هذا عمل السلطان سرور، فأثارت هذه

---

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص145 ـ 146.
(2) طلس، تاريخ العرب، ج7، ص142.
(3) دحلان، أمراء البلد، ص266.
(4) جارشلي، المصدر السابق، ص148 ـ 149.

العبارة غضب السلطان سليم الثالث (1789 ـ 1807) فأرسل بقلعها وتبديل كلمة السلطان بالشريف وبقي في الإمارة لحين وفاته سنة 1788م. وتولّى الإمارة من بعده أخوه عبد المعين بن مساعد لبضعة أيام فقط، وذلك بسبب انتخاب الأشراف أخاه الآخر غالب بن مساعد للإمارة وطلبوا من الباب العالي إرسال فرمان بذلك[1].

وافتتحت بداية حكم غالب بصراعه مع ابن أخيه عبد الله بن سرور لفترة إذ حدثت بينهما صدامات داخل مكة وكسر جزء من الحجر الأسود مما حدا بالأشراف إلى طلب نقل القتال خارج مكة، واستطاع الشريف غالب الانتصار على قوات ابن أخيه في موقعة وادي ريان وأسر ابن أخيه وعامله معاملة حسنة وخصّص له راتباً[2].

وحدث في عهده أيضاً تزايد انتشار خطر دعوة محمد بن عبد الوهاب وتوجه أنصارها نحو مكة المكرمة بقيادة ابن سعود[*] عند ذلك أرسل الشريف غالب يخبر الدولة العثمانية بذلك ويطلب المساعدة، ولكن انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها في تلك الفترة عام 1796 واحتلال نابليون بونابرت مصر، عمل على عدم اهتمام

(1) الجميل، بقايا وجذور، ص247.

(2) جارشلي، المصدر السابق، ص151 ـ 152.

(*) ابن سعود: هو ابن عبد العزيز محمد بن سعود تولّى الإمارة عام 1725 ـ 1765م وهو مؤسس الدولة السعودية الأولى (1745 ـ 1818م): انظر درويش، المصدر السابق، ص20 .

الدولة العثمانية بالأمر مما حدا بغالب أن يعقد الصلح مع ابن سعود وأتباع محمد بن عبد الوهاب الذين نقضوا العهد بعد ذلك وتحركوا نحو مكة المكرمة وهذا ما جعل غالباً يطلب المساعدة من والي جدّة وأمير الحج والشام ولما رأى أن المساعدة ستتأخر ترك مكة هو وعائلته وذهب إلى جدّة تاركاً أخاه الشريف عبد المعين نائباً عنه وقد رأى عبد المعين أنه تجنباً للقتال فإن عليه تسليم المدينة لهم سلماً[1]. وبعد فترة وجيزة استطاع الشريف غالب الحصول على المساعدة من جدّة وعاد إلى مكة، ثم اضطر ابن سعود للخروج من مكة وعمل على تجميع قواته وفرض حصاراً على مكة ثم دخلها وقرأ مبادئ دعوة محمد بن عبد الوهاب في الحرم الشريف، واضطر الشريف غالب إلى إلباسه الخلعة ومن ثم أعلن تبعيته لابن مسعود. وقد بقي الشريف غالب في إمارته لحين استرداد مكة من يد الوهابيين[2]. عن طريق والي مصر محمد علي[*] باشا عام 1813م الذي أعطته الدولة العثمانية

---

(1) الجميل، بقايا وجذور، ص251.

(2) جارشلي، المصدر السابق، ص155.

(*) محمد علي: ولد عام 1769م في مدينة قونية في ألبانيا وفي الرابعة من عمره توفي والداه فتكفله عمه إلّا أنّ عمه توفي بعد فترة وبقي عند أحد أصدقاء والده ثم تعرف على أحد التجار الفرنسيين المدعو ليون ثم عمل في التجارة وخاصة تجارة التبغ وعمل في سلك الجيش إلى أن جاء عام 1801م عندما أرادت الدولة العثمانية إرسال حملة إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها فكان هو من ضمن الكتيبة الألبانية ثم أصبح والياً لمصر. انظر سهير نبيل كمال، سياسة محمد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها 1816 ـ 1840م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2003، ص7 ـ 8.

كامل الصلاحيات من أجل استرداد الحجاز وعَدَّ محمد علي الشريف غالب مذنباً لذلك عزله عام 1813م وعمل على تنصيب الشريف يحيى بن سرور للإمارة، وقد حصل على الموافقة من الباب العالي بشأنه[1] ومنذ هذا التاريخ أصبح الحجاز تابعاً لولاة مصر، وكان محمد علي يعمل على عزل أو تعيين الأشراف وقادة حامية مكة العسكرية. وكان سبب ترشيح محمد علي الشريف يحيى بن سرور للإمارة هو شخصية يحيى البسيطة وإمكانية الإفادة منه. وعلى الرغم من منافسة أخيه عبد الله بن سرور الذي كان نشيطاً ومحاولاته لأخذ الإمارة له إلّا أنّه لم يستطع بسبب مساندة القوات المصرية للشريف يحيى. وقد حظي يحيى باهتمام كبير من الدولة وزادت المبالغ المرسلة من مصر للحجاز وقد أدّت هذه المعاملة الحسنة إلى غطرسة الشريف يحيى[2]. وقد ساءت علاقاته مع محمد علي باشا بعد فترة من الزمن (في حدود سنة 1826 ـ 1827م)[3]. وذلك بسبب قيام الشريف يحيى بقتل الشريف شنبر بن مبارك المنعمي إذ كانت ليحيى خصومة مع شنبر البالغ من العمر

---

(1) لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، مج2، ج3، (القاهرة، 1971)، ص165؛ فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، ط7، (بيروت، 1980)، ص105؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية 1234 ـ 1256هـ/ 1819 ـ 1840م، ج2، (القاهرة، 1981)، ص36.

(2) جارشلي، المصدر السابق، ص158.

(3) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، ط4، (المكتب الإسلامي، 2000)، ص246.

ثمانين سنة. وقد توجه يحيى مع جماعته في أحد الأيام إلى الحرم المكي وقتل شنبراً وهو يؤدي صلاة المغرب عند ذلك أبلغ محمد علي باشا الباب العالي بالأمر فصدرت الأوامر بعزل يحيى بن سرور من الإمارة ورشح الأشراف الشريف عبد المطلب بن غالب للإمارة وكتبوا بذلك لمحمد علي إلّا أنّ محمد علي لم يكن يرغب في تنصيب هذا الشخص. وعندما اقترب موسم الحج أصبح من الضروري تنصيب أحد الأشراف للإمارة عند ذلك أرسلت الحكومة فرماناً إلى محمد علي بشأن تعيين أحد الأشراف وتركت فراغاً مكان اسم الشريف لكي يقوم محمد علي بتعين الشريف عند ذلك وجد محمد علي أنه من الضروري تنصيب محمد بن عون للإمارة ذلك لأنّ محمد بن عون كان من الأشراف المقيمين في مصر. وعندما سمع عبد المطلب بهذا الأمر جمع قوّاتٍ من البدو بهدف دخول مكة وأخذ الإمارة قبل وصول محمد بن عون لكن القوّات المرسلة من مصر لحماية محمد بن عون وصلت قبل عبد المطلب واستطاعت أن تهزم قوات عبد المطلب. عند ذلك هرب إلى الطائف ودخل بعد ذلك الشريف محمد بن عون مكة أميراً عليها. وكان محمد من أحفاد الشريف عبد الله بن حسن الذي تولّى الشرافة عام 1631م لذلك، ونسبة إلى جده عبد الله سمّي أحفاده من بعده بالعبادلة[1]. وكان الشريف محمد بن عون تابعاً لوالي مصر محمد علي باشا لذلك عندما تمرّد محمد علي على

---

(1) عبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، (بيروت، 1984)، ص90؛ جارشلي، المصدر السابق، ص159 ـ 162.

الدولة العثمانية أرسلت الحكومة العثمانية أمراً بعزل الشريف محمد وتعين الشريف عبد المطلب الذي جاء إلى مكة عن طريق بغداد لكنه لم يستطع الدخول إلى مكة بسبب مقاومة محمد بن عون الذي استطاع أن ينتصر عليه، لذلك رجع الشريف عبد المطلب إلى استانبول وخصص له راتب مقداره 25000 قرش في الشهر[1].

بقي محمد بن عون في إمارته إلى سنة 1851م وفي هذه السنة استدعيَ محمد بن عون مع ولديه عبد الله وعلي إلى استانبول، وعين عبد المطلب لإمارة مكة[2]. لكن الأخير عزل عام 1856م بسبب تعامله بتجارة العبيد التي منعت عالميّاً وكذلك بسبب محاولته إخراج قوات الدولة من الحجاز، وعين بدلاً منه الشريف محمد بن عون[3] للمرة الثانية الذي بقي لحين وفاته عام 1858م عن عمر ناهز السبعين عاماً. وكان الشريف محمد ذكيّاً، فعلى الرغم من تبعيته لوالي مصر فإنه كان يعمل على توثيق علاقاته مع الباب العالي، وبعد وفاته خلفه ابنه الشريف عبد الله الذي كان قد حاز على مرتبة الوزارة في الدولة العثمانية وكان

---

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص164 ـ 165.

(2) سعيد عوض باوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط3، (عدن، 1966)، ص125؛ عبد الكريم غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث 1500 ـ 1918، ج1، (دمشق، 1960)، ص322.

(3) سنان معروف أغلو، نجد والحجاز في الوثائق العثمانية الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، (بيروت2002،)، ص69؛ جارشلي، المصدر السابق، ص166 ـ 178.

مولعاً بالمناظرات العلمية وكان على اطّلاع واسع في التفسير والحديث وقد بقي في الحكم 19 سنة إلى سنة 1877 فقد توفي في هذه السنة نتيجة لمرض (عرق النسا) الذي أصابه منذ عام 1869م[1].

(1) جارشلي، المصدر السابق، ص166 ـ 178.

الفصل الثاني

الإدارة والتعليم والطباعة والصحافة في الحجاز

المبحث الأول

الجهاز الإداري

احتلّ الحجاز مكانة متقدمة في سياسة العثمانيين وخاصة منذ مطلع القرن السادس عشر وذلك لأهميته لاسيما وأنه يحتضن الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد حرص العثمانيون على تنظيم أوضاع الحجاز بعد وقوعه تحت سيطرتهم عام 1517، ويحاول الفصل أن يتطرّق إلى الجهاز الإداري والتعليمي والصحي والثقافي في الحجاز هذه الفترة 1876 ـ 1918 لما لذلك من فائدة في فهم التطورات السياسية التي شهدها الحجاز خلال هذه الفترة.

1 ـ التقسيمات الإدارية في الحجاز:

خضع الحجاز للحكم العثماني عام 1517 وبموجب قانون الولايات(*) الصادر عام 1864 والهادف إلى تنظيم إدارة الولايات العثمانية، فقد أصبح الحجاز ولاية تتكوّن من:

(*) هو القانون الذي صدر عام 1864 في الدولة العثمانية لتنظيم الهيكل الإداري فيها وهي محاولة لإصلاح حال الولايات في النواحي السياسية والاقتصادية =

أ ـ ولاية الحجاز[1].

ب ـ إمارة مكة المكرمة وتلحق بها ناحية الطائف.

ج ـ متصرفية المدينة المنورة وتلحق بها ناحية خيبر، أمّا الأقضية التابعة لها فهي:

1 ـ ينبع البحر وتتبعها ناحية أملج.

2 ـ الوجه وتتبعه النواحي ضبا وعلا وعقبة.

3 ـ سوار قبة.

د ـ متصرفية جدّة وتلحق بها ناحية رابغ أمّا القضاء التابع لجدة فهو معمورة الحميد.

2 ـ الجهاز الإداري ومهماته:

كان هناك جهاز إداري كفوء في كل من الحجاز ومكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي الأقضية التابعة وهو يتكوّن من:

= والاجتماعية جميعها وتأكيد خضوعها للدولة. علي شاكر علي، «التشكيلات الإدارية العثمانية 1516 . 1918»، موسوعة الموصل الحضارية، ج4، (موصل: 1992)، ص ص167 . 168.

(1) س.د.ع.ع. 1326هـ ـ 1908م، ص ص692 ـ 699.

Saleh Muhamed Al-Amr, The Hijaz under the Ottman Rule 1869 -1914, (Riqad: 1978), P.71.

الصفصافي أحمد المرسي، «الدولة العثمانية والولايات العربية»، مجلة الدارة، (الرياض)، سنة 8، 1983، ع4، ص85.

أولاً: ولاية الحجاز[1]:

المنصب	الاسم
1 ـ والي الحجاز	عثمان نوري باشا
2 ـ قاضي الحجاز	مصطفى منيب أفندي
3 ـ الدفتردار	راشد أفندي
4 ـ المكتوبجي	عاطف بك
5 ـ مفتي الحنفية	عبد الرحمن سراج أفندي
6 ـ مدير الأوراق	نوري أفندي
7 ـ رئيس كتّاب مجلس إدارة الولاية	حسين حقي أفندي
8 ـ أمين سرّ الخزينة	سليم أفندي
9 ـ مدير البريد	علي رضا بك
10 ـ مفتش البريد	الحاج شفيق بك

ثانياً: إمارة مكة المكرمة[2]

المنصب	الاسم
1 ـ أمير مكة المكرمة	الشريف عون الرفيق
2 ـ قاضي مكة المكرمة	الشريف حسين أفندي بن يحيى
3 ـ شيخ الحرم المكي	الشيخ علي منصوري أفندي
4 ـ قائممقام مكة المكرمة	الشريف علي بن مهدي أفندي
5 ـ رئيس كتاب العرب	محمد علي أفندي
6 ـ كاتب الديوان	حسين حقي أفندي
7 ـ مدير الحرم الشريف	عثمان أفندي

---

(1) ح.و.س برنجي دفعة 1301هـ - 1883، (مطبعة ولاية الحجاز: 1883)، ص82 ـ 100

(2) ح.و.س، 1301هـ ـ 1883م، ص ص83 ـ 120.

8 ـ المسؤول عن البيت الحرام	الشيخ عمر شيبي أفندي
9 ـ مفتي الحنفية	عثمان أفندي
10 ـ مفتي الشافعية	أحمد دحلان
11 ـ مفتي المالكية	محمد أفندي
12 ـ مفتي الحنابلة	خلف أفندي
13 ـ حرم شريف روزنامجة سي (مسؤول الوقوعات اليومية في الحرم الشريف)	حقي بك

وكانت تتبع إمارة مكة المكرمة ناحية الطائف التي يتكوّن الجهاز الإداري فيها من[1]:

1 ـ مدير الناحية	أحمد شوقي أفندي
2 ـ نائب المدير	أحمد أفندي
3 ـ كاتب الناحية	
4 ـ ضابط اليوزباشي[*]	أدهم آغا

ثالثاً: متصرفية المدينة المنورة[2]

أ ـ الحضرة النبوية الشريفة:

1 ـ شيخ الحرم الشريف (الحضرة النبوية)	محمد عادل باشا
2 ـ نائب الحرم الشريف	محمد تحسين آغا

---

(1) ح.و.س، المصدر نفسه، ص135.

(*) يوزباشي كلمة تركية تعني قائد المائة شخص وهو من الرتب العسكرية (نقيب)، يوسف الحكيم، سورية والعهد العثماني، ط2، (بيروت: 1980)، ص46.

(2) س.د.ع.ع. 1311هـ ـ 1893م، ص492.

3 ـ أمين الخزنة في الحضرة الشريفة محمد مرجان آغا
4 ـ متسلم الحضرة الشريفة عبد السلام آغا
5 ـ مدير الحضرة الشريفة محمد وهبي أفندي
6 ـ مسؤول الوقوعات اليومية في الحضرة الشريفة فخر الدين بك

ب ـ متصرفية المدينة المنورة[1]:

1 ـ متصرف المدينة المنورة عثمان فريد باشا
2 ـ قاضي المدينة المنورة عمر خلوصي أفندي
3 ـ نائب المتصرف سليمان شكري أفندي
4 ـ مسؤول الحسابات عثمان عارف أفندي
5 ـ مدير الرسائل عزت أفندي
6 ـ مدير البريد والتلغراف عبد الله فكري أفندي

وتتبع المدينة المنورة ناحية خيبر التي يتكون الجهاز الإداري فيها من مدير الناحية ونائبه والكاتب وضابط اليوزباشي.

أمّا بالنسبة للأقضية التابعة للمدينة المنورة[2] فهي:

أ ـ قضاء ينبع البحر:

1 ـ قائممقام مصطفى فرهاد أفندي
2 ـ نائب القائممقام
3 ـ مدير الرسومات محمد جمال أفندي

ويتبع هذا القضاء ناحية أملج.

---

(1) س.د.ع.ع. 1311هـ -1893م، ص492.
(2) س.د.ع.ع. 1326هـ -1908م، ص698.

ب ـ قضاء الوجه:

1 ـ قائممقام — حسن طيب أفندي

2 ـ نائب القائممقام — تاج الدين أفندي

3 ـ مدير الرسومات

ويتبع هذا القضاء النواحي ضبا وعلا وعقبة.

ج ـ قضاء سوار قبة:

1 ـ قائممقام

2 ـ نائب القائممقام

رابعاً: متصرفية جدة[1]

1 ـ المتصرف	حسين حسني أفندي
2 ـ نائب المتصرف	سالم أفندي
3 ـ مسؤول الحسابات	علي رضا أفندي
4 ـ مسؤول الرسائل	فائق بك
5 ـ مسؤول الرسومات	الحاج علي أفندي
6 ـ رئيس المحكمة البدائية	مسعود أفندي
7 ـ معاون المدعي العام	أبو السعود أفندي
8 ـ رئيس المحكمة التجارية	بهاء الدين أفندي
9 ـ محاسب الأوقاف	حسين حسني أفندي
10 ـ مدير الرسائل والتلغراف	أحمد رامز بك
11 ـ رئيس كتاب الرسومات الحسابية	حسين جميل أفندي

(1) س.د.ع.ع. 1326هـ ـ 1908م، ص698 ـ 699.

12 ـ مأمور الجوازات (بسابورط)	أحمد ناصر أفندي

ويتبع هذه المتصرفية قضاء معمورة الحميد.

1 ـ قائممقام	ياسين بك

2 ـ نائب القائممقام

3 ـ مدير الرسومات

أمّا الناحية التابعة لمتصرفية جدّة فهي ناحية رابغ التي يتكوّن الجهاز الإداري فيها من مدير الناحية وكاتب الناحية.

3 ـ مهام الجهاز الإداري:

1 ـ الوالي:

هو على رأس الجهاز الإداري في الولاية ويجري تعيينه بفرمان سلطاني ويحمل رتبة وزير ويمنح صلاحيات واسعة لتيسير شؤون الولاية ويستعين بمجلس إداري ينتخبه الأهالي ويساعده عدد من الموظفين الإداريين[1].

2 ـ الدفتردار:

هو يلي الوالي في السلَّم الوظيفي من حيث الأهمية وهو مدير المالية وممثل السلطة المركزية العليا في كل ما يتعلق بمالية الولاية ويرتبط بوزارة المالية في العاصمة وهو من الأعضاء الرئيسيين في مجلس إدارة الولاية[2].

---

(1) س.د.ع.ع. 1326هـ - 1908م، ص692.

(2) ألكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ط1، ج1، (البصرة: 1982)، ص77.

3 ـ معاون الوالي:

مهمته معاونة الوالي في كل الأمور ومطالعة الرسائل الواردة إلى مكتب الوالي من دوائر الولاية وإحالتها إلى الدوائر المختصة وتقديم خلاصة عنها للوالي[1].

4 ـ المكتوبجي:

هو المشرف على تحريرات الولاية وكان يعمل بمعيته قلم تحريرات لإجراء مكاتبات الدائرة الرسمية والمحافظة على أوراقها ويشرف المكتوبجي على مطبعة الولاية ووسعت صلاحيات المكتوبجي بموجب نظام الإدارة العمومية لعام 1871م حيث جعل تحت إمرته عدد كبير من الموظفين موزعين على قلم التحريرات وقلم أوراق الولاية وإدارة مطبعة الولاية وكذلك يشرف على نشر أوامر الحكومة وتعليماتها في صحف الولاية[2].

5 ـ القاضي:

هو عضو مجلس الولاية ويعينه شيخ الإسلام. وكان قاضي مكة من علماء العثمانيين وكان يمثل سلطة العثمانيين الدينية في الحجاز[3].

---

(1) نوفل نعمة الله نوفل، الدستور، مجلد 1، (بيروت: 1883م)، ص ص401 - 402.

(2) إبراهيم خليل أحمد، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية 1908 - 1922، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1975)، ص19.

(3) السباعي، المصدر السابق، ج2، ص420.

6 ـ أمير مكة المكرمة:

هو الذي يُنصب من بين الشرفاء بفرمان خاص ويتولّى الإشراف على شؤون الحجّاج والنظر في قضايا العشائر[1].

7 ـ القائممقام:

هو الذي يكون على رأس الجهاز الإداري في القضاء وتعينه الدولة للنظر في جميع الأمور المالية والضابطة في القضاء ومرجعه الأول متصرف اللواء. وقد خول القائممقام بموجب المادة 44 من نظام الولايات 1864م تحصيل واردات الدولة وإرسالها إلى مركز اللواء وترؤس مجلس إدارة القضاء ويعد قائداً للعساكر الضابطة التي توجد في القضاء[2].

8 ـ مدير الناحية:

ويكون على رأس الجهاز الإداري في الناحية ووظيفته إعلامية محضة فهو ينشر أنظمة الدولة وقوانينها ويعلن أوامرها وتنبيهاتها في القرى التابعة لناحيته.

9 ـ مدير الدفتر الخاقاني:

اختصاصه تفتيش وإجراء أحكام القوانين والأنظمة والتعليمات التي تتعلق بحق إدارة الأملاك والأراضي والنفوس والإشراف على معاملات الموظفين الموجودين في الأقضية وإبلاغ

---

(1) س.د.ع.ع. 1311هـ - 1893م، ص490.

(2) نوفل، المصدر السابق، ص389.

الوالي عن كل موظف يتصرف بخلاف النظام ويبدي للوالي ملاحظاته حول انتخاب موظفي الدفتر الخاقاني وعزلهم. ويقدم تقريراً إلى الوالي يتضمن خلاصة الإجراءات التي قام بها خلال السنة[1].

..وفضلاً عن أركان الجهاز الإداري في الولاية والمتصرفية والناحية فقد كان يوجد كذلك مفتي الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ورئيس الأملاك السنية وأمين سر الخزينة ومدير البريد ومفتش البريد ومدير الحرم الشريف والمسؤول عن مفاتيح الحرم الشريف ومسؤول الرسائل ومحاسب الأوقاف ومأمور النفوس ومسؤول الحسابات ومدير التحريرات[2].

4 ـ المجالس الإدارية

إنّ وجود مجالس إدارية محلية في الولايات والأقضية والنواحي يكون لغرض تسهيل مهامّ الجهاز الإداري.

أولاً: مجلس إدارة الولاية:

ويتكون من الوالي ومعاونه والقاضي والدفتردار ومدير الحرم والمكتوبجي ونقيب الأشراف ونائب الحرم وصاحب سدانة البيت المعظم ومفتي الحنفية ومدير الصحة ونقيب السادة الحسينية[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص ص404 ـ 409.
(2) س.د.ع.ع. 1326هـ - 1908م، ص ص692 ـ 699.
(3) كحالة، المصدر السابق، ص141.

ويعقد المجلس اجتماعات أسبوعية ويستبدل ثلث أعضاء المجلس كل عام، أمّا مهام المجلس فقد كانت:

أ ـ الأمور الإدارية:

1 ـ تنظيم المبايعات والمقاولات وإنشاء الأبنية وتفتيش المخصصات والمصاريف العائدة للضابطة.

2 ـ التدقيق في قرارات مجالس الدوائر البلدية وإنشاء الطرق اللازمة بين الألوية وسائر الأمور الزراعية والتجارية والمنافع العمومية في داخل الولاية.

3 ـ تخصيص مأوى للغرباء وبناء المحلّات والأسواق.

4 ـ تقسيم الضرائب التي تفرض على أهالي الولاية بين الألوية وتحصيلها منها سواءٌ تلك التي تفرضها الدولة أم التي تفرض باقتراح من مجلس الولاية العمومي بعد التصديق عليها من الباب العالي[1].

ب ـ الدعاوى الإدارية:

1 ـ استنطاق موظفي الولاية فيما يقع عليهم من التهم وإجراء محاكمتهم على وفق أحكام النظام المخصوص بهم.

2 ـ النظر في الاختلافات التي تحدث بين دوائر الولاية ومجالسها والمحاكم وموظفي الولاية وذلك حسب مأمورياتهم والصلاحية العائدة لوظائف المأمورين بها.

---

(1) صالح محمد العابد، النظام الإداري من الاحتلال المغولي حتى السيطرة العثمانية 1258 ـ 1534، حضارة العراق، ج10، (بغداد: 1985)، ص29.

3 ـ الشكاوى التي تقع من الأهالي ضد موظفي الحكومة والمنازعات التي تحدث بسبب تقسيم الضرائب فيما بين الأهالي.

4 ـ الدعاوى التي تكون بين الناس من جهة التزامات الأموال الأميرية أو غيرها من المقاولات[1].

ثانياً: مجلس إدارة اللواء:

ويتكوّن من المتصرف ونائبه والقاضي الشرعي والمحاسب والمفتي الموجودين في مركز اللواء مع كاتب التحريرات أمّا مهام المجلس فهي:

1 ـ التدقيق في إيرادات اللواء ومصاريفه.

2 ـ المحافظة على أملاك الحكومة المنقولة وغير المنقولة.

3 ـ إجراء محاكمة موظفي الدوائر في اللواء.

4 ـ إنشاء طرق وتأسيسات صحية ومتابعة أمور التعليم والزراعة والتجارة[2].

ثالثاً: مجلس إدارة القضاء:

ويتكوّن من قائممقام القضاء والقاضي الشرعي والمفتي وكتّاب القضاء[3].

---

(1) نوفل، المصدر السابق، ج1، ص ص412 ـ 415.

(2) نوفل، المصدر السابق، ج1، ص ص414 ـ 415.

(3) ذنون يونس الطائي، الأوضاع الإدارية في الموصل 1926 ـ 1958، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 1998)، ص10.

أمّا مهامّ المجلس فهي:

1 ـ فحص إيرادات القضاء ونفقاته.

2 ـ إدارة أموال الحكومة المنقولة وغير المنقولة.

3 ـ تقسيم الضرائب المفروضة بقرار من مجلس إدارة اللواء على المحلات.

4 ـ اتّخاذ التدابير المتعلّقة بالصحة العامة.

5 ـ إنشاء الطرق بين القرى.

6 ـ النظر في المبايعات والمقاولات والصرفيات العائدة للحكومة التي تقع ضمن صلاحية القائممقام[1].

رابعاً: مجلس إدارة الناحية:

يتكوّن من أعضاء منتخبين عن كل قرية على أن لا يتجاوز عددهم أربعة من كل قرية ويرأس هذا المجلس مدير الناحية[2]. ويجتمع مجلس الناحية أربع مرات في السنة بحيث لا تتجاوز مدة انعقاده في كل دورة أسبوعاً واحداً.

أمّا مهامّ المجلس فهي:

1 ـ إجراء المذكرات في الطرق التي يرغب المجلس في إنشائها

---

(1) نوفل، المصدر السابق، ص ص415 ـ 418.

(2) محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا (1869 ـ 1872)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1989)، ص93.

بالإعانات المادية أو النقدية من أهالي القرى الموجودين داخل دائرة الناحية.

2 ـ النظر في الأمور المتعلقة بالمراعي والمواد المتعلقة بزيادة عدد الآلات الزراعية.

3 ـ منع أعضاء مجلس الناحية من عقد أي اجتماع لهم من دون إذن مدير الناحية.

خامساً: مجلس الاختيارية في القرى:

وكانت مهامّه تنقسم إلى نوعين:

الأول: النظر في الدعاوى التي تقع بين الأهالي صلحاً.

والآخر: النظر والمذاكرة في كل احتياجات القرية وسكانها وكل ما يعود بالنفع عليهم[1].

سادساً: المجلس البلدي:

أُسست دوائر البلدية في الولايات العثمانية تطبيقاً للإصلاحات الإدارية التي جاءت ضمن قانون الولايات الصادر عام 1864[2]. وقد أُسس أول مجلس بلدي في الحجاز عام 1908[3]. وهو يتكوّن من رئيس ومعاون وستّة أعضاء وعدد من

---

(1) نوفل، المصدر السابق، ج1، ص ص415 ـ 418.

(2) عصمت برهان الدين عبد القادر، «أوضاع ولاية الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال سالنامات الموصل العثمانية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج2، م45، بغداد، 1998، ص167.

(3) السباعي، المصدر السابق، ج2، ص401.

الأعضاء الاستشاريين ومن بينهم طبيب المدينة ومهندسها، ويوجد في المجلس البلدي كاتب واحد وأمين صندوق واحد. وهؤلاء ينتخبهم الأهالي على أن لا يقل عمر الأعضاء عن عشرين سنة. ولا يتقاضى رئيس المجلس البلدي وأعضاؤه مرتبات، ويعقد المجلس البلدي اجتماعين في الأسبوع برئاسة رئيس المجلس أو معاونه في حالة غيابه وإذا غاب الاثنان فتكون رئاسة المجلس لأكبر الأعضاء سنّاً[1].

أمّا اختصاصات مجلس البلدية فتتلخص بالإشراف على إنشاءات الأبنية في البلدة أو الولاية كافة والمصالح المتعلقة بالمياه والعمل على إزالة خطر الأبنية الخربة وهدمها والإشراف على التدابير اللازمة لتسهيل المرور وأعمال النقل ضمن دائرة البلدية والإشراف على تنظيف المدينة والإشراف على المقاييس والأوزان والأسعار[2] ومنع التلاعب بها وأخذ الجزاء النقدي من المخالفين للأنظمة وتعليمات المجالس البلدية.

وكانت إيرادات البلدية عن طريق:

1 ـ الأموال التي تؤخذ من المستفيدين من تنظيمات البلدية.

2 ـ الجزاء النقدي ورسوم قيد عقود الأجور.

3 ـ الإعانات والهبات[3].

---

(1) نوفل، المصدر السابق، ج1، ص419.

(2) عبد القادر، أوضاع، ص167.

(3) نوفل، المصدر السابق، ج1، ص ص420 ـ 421.

المبحث الثاني

التعليم والطباعة والصحافة

أولاً: التعليم:

كانت حلقات الدروس التي ينظمها العلماء في المسجد الحرام أو في المدارس التي يُنشئها المحسنون مراكز للتعليم في الحجاز فضلاً عن المدارس الحكومية والأهلية، ويمكن تقسيم مراكز التعليم في الحجاز كما يأتي:

1 ـ التعليم في الحرم المكي والمسجد النبوي.

2 ـ التعليم الحكومي والأهلي[1].

1 ـ التعليم في الحرم المكي والمسجد النبوي:

لقد كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة أكثر أجزاء الجزيرة العربية اهتماماً بالعلم واتصالاً بالثقافة وذلك بفضل وجود الحرمين

---

(1) محمد عبد الرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، (الرياض: 1973م)، ص ص181 ـ 182؛ السباعي، المصدر السابق، ج2، ص412.

الشريفين اللّذين كانا منذ القرن الأول الهجري بعد الرسالة المحمدية من أهم مراكز الدراسات الإسلامية والعربية[1].

وقد بقي هذا الاهتمام بالعلم في الحرم المكي حتى أواخر العهد العثماني. إذ اشتهر الحرم المكي بكثرة الحلقات الدراسية فيه، إذ قدرت بحوالي (120) حلقة وكان على المدرس، الذي يدرس مجموع الطلبة في الحلقة أن يكون قد نجح في الامتحان العلني في التفسير والحديث والفقه والنحو على يد مجموعة من العلماء برئاسة شيخ العلماء في الحرم المكي وكان كل مدرّس يلقي محاضراته للطلاب في المواد التي يضطلع بها[2]. أي إنّ التدريس في الحرم المكي لم يكن على وفق منهج معيّن وإنما حسب قدرة المدرّس في بعض المواد مثل التفسير والحديث والفقه والنحو[3].

كان عدد المدرّسين عام 1886 حوالي 107 مدرّسين[4]. وكانت أوقات التدريس بعد كل فرض يؤدّى في المساجد وكان عمل المدرّسين في الحلقات طوعياً الغرض منه التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، إلّا أنه مع تقدم الزمن وفي العقد الأول من القرن

---

(1) الشامخ، التعليم، ص9.

(2) الشامخ، التعليم، ص ص9 ـ 11.

(3) Jamal Alami, «Education in the Hijaz under Turkish and Sharifian rule» The Islamic Quarteri, (London), Vol. XIX, No.1-2, 1975, P.42.

(4) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ج1، (القاهرة: 1925)، ص260.

العشرين وبسبب ضيق العيش أصبح من الضروري تخصيص مرتب شهري لبعض المدرّسين، وكان الإشراف على النمط التعليمي في الحرم المكي عن طريق هيئة مكونة من مفتي الشافعية ومفتي الحنابلة والمالكية وبرئاسة مفتي الأحناف[1].

أمّا اللغة التي كانت تدرّس بها المواد فكانت اللغة العربية وكان الطلاب المجتهدون النابهون الذين ينهون دراستهم وبشهادة العلماء يمنحنون إجازة علمية وهي تُشابه شهادة التخرّج[2]. أمّا المسجد النبوي فإنّه لا يختلف من ناحية التعليم عمّا كان عليه في الحرم المكي من حيث المواد التدريسية[3].

وبالنسبة لطريقة التدريس فإنها لم تكن تقوم على نظام معيّن وإنّما كانت الدروس تلقى في المسجد ويأتي إليها الكثير من العامة، بعضهم يأتي لغرض التعلّم وبعضهم للاستماع والتبرّك فقط. ولم تكن هناك اختبارات للطلاب إلّا أنّ المدرّس إذا آنس من الطالب الكفاءة في التعلّم والتدريس فإنه يمنحه شهادة خاصة بصلاحيته للتدريس[4] وقد قدّر عدد المدرّسين في المسجد النبوي عام 1883م بثمانية عشر مدرّساً يدرّسون المذاهب الثلاثة المالكية والشافعية والحنبلية[5].

---

(1) الشامخ، التعليم، ص ص12 ـ 14 .

(2) المصدر نفسه، ص ص18 ـ 19.

(3) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، (جدة: 1968)، ص219.

(4) الشامخ، التعليم، ص65.

(5) ح.و.س 1301هـ -1883م، ص151.

2 ـ التعليم الحكومي والأهلي:

كان التعليم الحكومي في الحجاز يسير على وفق النظام الموجود في باقي الولايات العثمانية إذ كانت هناك في أوائل القرن التاسع عشر كتاتيب ومدارس دينية ثم أسّست في أواخر القرن التاسع عشر مدارس نظامية منها: مرحلة ابتدائية مدتها ثلاث سنوات ثم مرحلة رشدية مدتها ثلاث سنوات ثم مرحلة إعدادية[1]. وهي على نوعين الأولى مدتها خمس سنوات والثانية مدتها سبع سنوات خصصت السنوات الثلاث الأول لكل منهما للمرحلة الرشدية كما كانت هناك مدارس صناعية وزراعية ودار معلمين[2]. وكان عدد الكتاتيب في مكة المكرمة عام 1883م (33) وبلغ عدد التلاميذ (1150) تلميذاً[3]. وازداد عدد الكتاتيب في السنوات اللاحقة إذ أصبح في السنوات 1887 و1888 و1891 (43) كُتّاباً[4]. وبالنسبة للمدارس الدينية فقد كان عددها (4) في عام 1883 وأصبحت (3) عام 1885 ثم ازدادت عام 1887 لتصبح (6) مدارس دينية وبقي هذا العدد حتى عام 1891. أمّا المدارس الرشدية فقد افتتحت واحدة منها عام 1885 وكان عدد طلابها (65) طالباً وعدد المدرسين (3) وفي الأعوام 1887 و1888 و1891 بقي عدد المدرّسين كما هو إلّا أن أعداد الطلّاب كانت

---

(1) Alami, Op. Cit, P.43.

(2) الشامخ، التعليم، ص27.

(3) ح.و.س 1301هـ - 1883م، ص63.

(4) الشامخ، التعليم، ص29.

مختلفة إذ وصلت إلى (70) طالباً. وكان المدرّسون الثلاثة قد قدموا من استانبول لتدريس الطلاب[1]. وكانت لغة التدريس هي اللغة العثمانية في المدارس الرشدية لذلك كان أكثر الطلاب الملتحقين بها من أبناء الموظفين العثمانيين[2].

وبعد عام 1908 كان هناك شعور قوي في ولاية الحجاز لرفع مستوى التعليم حتى إن والي الحجاز كاظم باشا اهتم بأمر التعليم كثيراً وبحث موضوع إيجاد مكان فسيح يصلح لأن يكون مدرسة ابتدائية ورشدية وإعدادية وتأسيس مدرسة صناعية[3].

وقد ذكرت جريدة الحجاز أنه قد تكونت هيئة للمعارف في مكة برئاسة أمين بك أفندي مدير الحرم وقد قررت هذه الهيئة تأسيس أربع مدارس ابتدائية في مكة يقبل فيها تلميذان من كل قبيلة من القبائل المجاورة ويقبل فيها كذلك (100) طالب في كل سنة وكذلك افتتاح مدرسة مسائية تضم (100) طالب[4].

كما أسس فرع جمعية الاتحاد والترقي بمكة مدرسة برهان الاتحاد عام 1910 التي التحق بها خمسون طالباً في السنة الأولى من افتتاحها[5]. أمّا بالنسبة للتعليم الأهلي فقد كانت الكتاتيب هي

---

(1) المصدر نفسه، ص30.

(2) Alami, Op. Cit, P.43

(3) الشامخ، التعليم، ص33.

(4) جريدة حجاز، عدد 45، 23 محرم 1328هـ-4 شباط 1910م. نقلاً عن الشامخ، التعليم، ص34.

(5) السباعي، المصدر السابق، ص413.

القاعدة الأولى للتعليم الأهلي وكانت منتشرة في أحياء مكة ومن أشهرها كُتّاب الشيخ عبد المعطي النوري في الشبيكة وكُتّاب الشيخ إبراهيم فودة في أجياد وكُتاب الشيخ أحمد حمام في حارة الباب ولم تخلُ محلة إلّا وكان فيها كُتّاب وقد كان التعليم في الكتاتيب يقتصر على حفظ القرآن الكريم والإملاء والخط والحساب. وكان يقام احتفال للطلاب الذين يختمون القرآن غيباً أو نظراً وكان الحفل يقام في دار الطالب الذي يتفوق على الجميع ويُسمى هذا الاحتفال بـ (أصرافة) لانصراف الطلاب بعدها إلى العطلة[1].

كما وجدت في مكة بعض المدارس الدينية ومنها المدرسة الصولتية التي أسّسها الشيخ محمد رحمة الله العثماني عام 1875 والتي اعتمدت على المساعدات الخيرية التي كان يقدمها مسلمو الهند[2]. وكان عدد طلابها يتراوح بين (150 ـ 200) طالب وعدد مدرسيها عشرة على عهد مؤسسها. أمّا النظام الذي كان مستخدماً في المدرسة الصولتية فقد كان قبل عام 1907 يتألف من عدة مراحل وبعد التاريخ السابق انتظمت الدراسة فيها بحيث أصبحت على أربع مراحل:

1 ـ القسم التحضيري ومدته أربع سنوات.

2 ـ القسم الابتدائي ومدته أربع سنوات.

---

(1) الشامخ، التعليم، ص ص37 ـ 39.

(2) السباعي، المصدر السابق، ص412.

3 ـ القسم الثانوي ومدته أربع سنوات.

4 ـ قسم التكميل «القسم العالي» ومدته سنتان[1].

وبعد نجاح المدرسة الصولتية أسس الشيخ عبد الحق قاري أحد أساتذة المدرسة الصولتية، المدرسة الفخرية عام 1876 وكانت تشبه في نظامها ومواد تدريسها المدرسة الصولتية[2].

كذلك أسّس الشيخ محمد حسين الخياط عام 1908 المدرسة الخيرية وكانت هذه المدرسة تدرس العلوم الدينية والجغرافيا والتاريخ والرسم والأدب واللغة العثمانية وقد بلغ عدد طلابها سنة 1910 نحو (300) طالب وكانت الدراسة فيها مجاناً وكانت تلقى العون والتشجيع من أولي الأمر في مكة المكرمة[3].

وأُسّست مدرسة الفلاح في مكة عام 1912 على يد محمد علي زينل الذي كان قد أسّس قبلها مدرسة الفلاح بجدة عام 1905، وقد أُسّست هذه المدرسة لرفع مستوى طلاب العلوم الدينية والدنيوية وتعليمهم العلوم العالية. وكان عدد الطلاب عند نشأتها (200) طالب ثم ازداد بعد ذلك بسبب الإقبال الشديد عليها. وكانت الدراسة فيها على ثلاث مراحل الأولى هي التحضيرية والثانية هي الابتدائية والثالثة هي الرشدية ومدة الدراسة في جميع هذه المراحل ثلاث سنوات[4].

---

(1) الشامخ، التعليم، ص40.

(2) السباعي، المصدر السابق، ص413.

(3) الشامخ، التعليم، ص ص50 ـ 51.

(4) Alami, Op. Cit, P.44 السباعي، المصدر السابق، ص ص414 ـ 415

أمّا في المدينة المنورة فقد كان هناك بعض المدارس الحكومية والأهلية إذ ورد في سالنامه ولاية الحجاز عام 1883م أنّ عدد الكتاتيب المجيدية كان (13) كُتّاباً وعدد المدرسين فيها (12) مدرساً و (250) طالباً[1]. وفي عام 1885 أصبح عدد الكُتاب (24) كتاباً في المدينة المنورة. أمّا عدد المدارس الدينية الأولية فقد كانت في عام 1891م (17) مدرسة أمّا المدارس الرشدية فكانت (4) مدارس وعدد طلابها (55) طالباً[2].

وفي عام 1909 بلغ عدد المكاتب في المدينة المنورة (17) مكتباً لتعليم مبادئ العلوم البسيطة وكانت هناك مدرستان ليليتان لتعليم الأميين كما كانت هناك المدرسة الإعدادية وهي على نوعين قسم بدرجة الرشدية وهي ثلاثة صفوف والإعدادية ذات الدرجة الثانوية أربعة صفوف وكان بعض مناهجها يرسل من استانبول وكانت تدرس باللغة العثمانية وتحولت في الفترة الأخيرة إلى اللغة العربية ما عدا اللغة العثمانية وآدابها وكانت المواد التي تدرس في المرحلة الإعدادية هي العلوم الدينية والمعلومات المدنية، ونحو اللغة العربية وصرفها، ونحو اللغة العثمانية وصرفها، واللغة الفارسية والجبر والحساب والتاريخ الإسلامي والعثماني والجغرافيا العامة والهندسة الخطية والسطحية وتحسين الخط، وكانت نتائج الامتحانات تعطى كتقديرات مثل (على الأعلى) ثم (أعلى) ثم (قريب أعلى). وبعد ذلك دعت الحاجة إلى إنشاء معهد

---

(1) ح.و.س 1301هـ - 1883م، ص151.

(2) الشامخ، التعليم، ص69.

دراسي يلتحق به خريجو الدراسة الإعدادية فقد افتتحت حوالي عام 1909 دار للمعلمين لتعليم الطلاب أصول التدريس وكانت الدراسة فيها باللغتين العربية والعثمانية[1].

كما افتتحت دار الفنون في المدينة المنورة عام 1913[2]. في وقت كانت الدراسة في بقية المراحل الابتدائية والتحضيرية والإعدادية كلها باللغة العثمانية. إلّا أنّ دار المعلمين وعلى الرغم من إعطاء الحكومة العثمانية مكافأة شهرية للطلاب لم يزد عدد طلابها عن (50) طالباً. وقد أغلقت هذه الدار وانتقل بعض طلابها إلى كلية صلاح الدين الأيوبي بالقدس والمدرسة السلطانية بدمشق. وعلى الرغم من كثرة المدارس الحكومية والأهلية إلّا أنّ إفادة أهل المدينة منها كانت قليلة نسبياً[3] والسبب في ذلك يعود إلى أن أهل المدينة أحسوا بشيء من الريبة من المدارس ذلك لأنّ الفكرة التي كانت لديهم هي أنّ المدارس تعمل على إلحاق أبناء المدينة بالخدمة العسكرية[4] ولما اطمأن الأهالي لهذه المدارس ووعوا فائدتها كان الوقت قد تأخّر بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى 1914 حيث أغلقت الكثير من المدارس عام 1916[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص ص74 ـ 76.

(2) محمد جميل بيهم، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، (مصر: 1950)، ص225؛

Alami, Op. Cit, P.44

(3) الشامخ، التعليم، ص77.

(4) Alami, Op. Cit, P.43.

(5) الشامخ، التعليم، ص78.

وأما جدّة فقد كان قربها من مكة والمدينة قد جعلها تهتمّ بمسألة التعليم إذ ذُكر أنه كان فيها عام 1890 مدرسة رشدية وعدد طلابها (38) طالباً ومُعلمَين، وفي عام 1909 أصبح عدد الطلاب (120) طالباً وكانت تدرس مواد الحساب والكتابة والقراءة العربية والعثمانية والجغرافيا والنحو والتوحيد[1]. إلّا أنّ المستفيدين منها هم أولاد الموظفين، وذلك لأن التدريس كان باللغة العثمانية كما أنّ بعض الأهالي لم يرسلوا أولادهم خوفاً من تسجيل أسمائهم فيما بعد للالتحاق بالمدارس العسكرية[2]. وقد افتتحت في عام 1910 مدرستان ابتدائيتان في قريتي النزلة وبني مالك القريبتين من جدة. أمّا بالنسبة للتعليم الأهلي في جدّة فقد كانت هناك (9) كتاتيب عام 1887 وقد أصبحت (10) عام 1891[3]. ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين دبّ النشاط في جدّة لإنشاء المدارس الأهلية. إذ أُنشئت عام 1899 مدرسة النجاح الأهلية، وكان من المؤسسين لهذه المدرسة أحمد شاهين المصري ومحمد أفندي المفتي الإسكندراني وثلاثة من جدّة هم عبد العزيز شمس وعبد الرحمن شمس وعبد المقصود خوجه[4]. وكانت المواد التي تُدرس فيها هي مبادئ العلوم العربية من نحو وصرف والفقه الحنفي والتجويد والحساب والتاريخ والمطالعة العربية

---

(1) Alami, Op. Cit, P.45.

(2) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، «المدارس الأهلية بجدة والطائف في أواخر العهد العثماني»، مجلة الدارة، ع3، السنة العاشرة، 1984، ص153.

(3) الشامخ، التعليم، ص ص82 ـ 83.

(4) دهيش، المصدر السابق، ص154.

وكانت طريقة التدريس فيها على طريقة السؤال والجواب وكانت المدرسة تعتمد على تبرعات أولياء أمور الطلاب[1]. وعندما مرت بضائقة مالية استعانت إدارتها بالحكومة العثمانية، وقد وافقت الحكومة العثمانية على مساعدتها بشرط ان تدخل اللغة العثمانية في منهجها وقد وافقت إدارة المدرسة على هذا الطلب واستمر التدريس فيها إلّا أنّها على الرغم من المساعدات والتبرعات لم تستطع أن تستمر إذ أغلقت عام 1907 بسبب الضائقة المالية[2].

كما أنشأ الشيخ عبد الكريم مراد الطرابلسي مدرسة أهلية عام 1902 وهي مدرسة الطرابلسي وكانت تدرس الأبجدية والقرآن الكريم والفقه والتوحيد والخط والحساب وكانت تقبل التلاميذ الذين ينهون دراستهم في الكتاتيب وكانت تشبه مدرسة النجاح في اعتمادها على الإعانات، وقد أغلقت عام 1905[3].

وكانت هناك مدرسة الإصلاح الأهلية. إلّا أنّ أهم مدرسة أهلية كانت هي مدرسة الفلاح التي افتتحت عام 1905 على يد منشئها محمد علي زينل وكانت طريقة الدراسة فيها على ثلاث مراحل الأولى هي التحضيرية والثانية هي الابتدائية والثالثة هي الرشدية ومدة الدراسة في هذه المراحل جميعها ثلاث سنوات. وقد أسس مدرسة على غرارها في مكة عام 1912.(مدرسة الفلاح)[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص156.

(2) الشامخ، التعليم، ص85.

(3) دهيش، المصدر السابق، ص ص156 ـ 157.

(4) السباعي، المصدر السابق، ج2، ص ص414 ـ 416.

وقد كان عدد الطلاب في مدرسة الفلاح بجدّة في تزايد مستمر منذ تأسيسها إذ كان عدد الطلاب في السنة الأولى من افتتاحها (24) طالباً ثم أصبح عددهم (300) طالب عام 1915. وقد امتازت هذه المدرسة بكثرة التبرعات والمساعدات التي تأتي إليها من الهند وبعض التجار في جدّة وكذلك بعض الأوقاف. كما ذكر أنّ الدراسة فيها لم تكن مجانية وإنما يدفع الطلاب كل بقدر استطاعته[1].

وإلى جانب هذه الكتاتيب والمدارس الأهلية كانت هناك حلقات تدريسية في جدّة حيث يقوم بعض علماء جدّة بنشر العلم عن طريق الحلقات الدراسية ومن هؤلاء العلماء مثلاً الشيخ أحمد بن سلمان الحضرمي الشافعي والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باجنيد والشيخ أحمد بن عثمان بن محمد باعثمان وغيرهم[2].

أمّا في الطائف فقد كانت هناك أربعة كتاتيب ومدرسة دينية واحدة عام 1891. كما قامت الجهات الرسمية الحكومية بافتتاح مدرسة رشدية وفي عام 1911 افتتحت مدرسة ابتدائية في ناحية أسفل[3].

وأما في الوجه وينبع فقد ذكر إبراهيم رفعت أنه زار الوجه عام 1901 ولم يجد فيها سوى كُتّاب واحد ولم يجد فيها شيئاً من

---

(1) دهيش، المصدر السابق، ص ص157 ـ 159.

(2) الشامخ، التعليم، ص86.

(3) المصدر نفسه، ص90.

كتب. لذلك أرسل مصحفاً مجزّءاً وعدداً كبيراً من نسخ جزأي عمَّ، وتبارك لتعليم أولاد الفقراء[1].

أمّا ينبع فقد كان يوجد فيها مكتب واحد للتعليم[2].

ثانياً: الطباعة:

كانت مطبعة الولاية في الحجاز هي أول مطبعة أُسّست بمكة عام 1883 على عهد واليها عثمان نوري باشا وسميت (حجاز ولايتي مطبعة سي) أي مطبعة ولاية الحجاز[3]. وكان عبد الغني أفندي مديراً للمطبعة وعلي أفندي معاوناً له[4]. وكانت المطبعة يدوية حين إنشائها وبعد عام زوَّد الباب العالي هذه المطبعة بآلة طباعة متوسطة ثم بعد ذلك بسنوات زوّدت بماكينة حجرية أُطلق عليها اسم المطبعة الأميرية[5]. وجلب الباب العالي آلة طبع ذات عجلة واحدة وكمية من الحروف من ڤيينا إلى الحجاز ونتيجة لهذه المساعدة من الدولة العثمانية تطورت مطبعة الولاية واتّسع عملها[6].

وكانت أولى ثمرات مطبعة الولاية صدور الحولية السنوية

---

(1) رفعت، المصدر السابق، ج1، ص490.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص13.

(3) محمد عبد الرحمن الشامخ، الصحافة في الحجاز 1908 ـ 1941 دراسة ونصوص، (بيروت: 1971)، ص13.

(4) ح.و.س 1301هـ -1883م، ص89.

(5) خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، (القاهرة: 1958)، ص310 .

(6) الشامخ، الصحافة، ص15.

لولاية الحجاز المسماة «حجاز ولايتي سالنامه سي» أي سالنامه ولاية الحجاز التي تحتوي على معلومات وإحصائيات عن مختلف نواحي الحياة في الولاية وكانت تصدر باللغة العثمانية وأحياناً تنشر باللغة العثمانية واللغة العربية وصدر منها العدد الثاني من السالنامه (سالنامه 1886) وكان مجموع ما صدر منها خمسة أعداد من السالنامات ثم توقفت[1] وكانت الخامسة قد صدرت عام 1892[2]. ولم يكن صدور السالنامات بوقت معيّن أو طريقة منتظمة إذ كانت الفترة بين العدد الأول والثاني سنتين مثلاً. وفضلاً عن طبع هذه السالنامات فإنّ مطبعة الولاية عملت على طبع العديد من مؤلفات علماء الحرم المكي الذين كانوا يطبعون مؤلفاتهم سابقاً في مصر. وحينما ظهرت الصحافة في الحجاز بعد عام 1908 قامت مطبعة الولاية بطبع بعض الصحف[3].

وقد بقي دور هذه المطبعة مستمرّاً حتى بعد سيطرة الحكومة الهاشمية على الحجاز إذ كانت تطبع فيها جريدة القبلة وقد بقيت هذه المطبعة مدة تزيد على ربع قرن[4].

وفضلاً عن هذه المطبعة ظهرت في الحجاز بعض المطابع الأخرى إذ أنشئت في عام 1909 المطبعة الماجدية ومطبعة شمس الحقيقة في مكة المكرمة. أمّا في جدّة فقد أنشئت مطبعة الإصلاح

---

(1) المصدر نفسه، ص ص20 ـ 22.
(2) رفعت، المصدر السابق، ج2، ص363.
(3) الشامخ، الصحافة، ص ص19 ـ 22.
(4) المصدر نفسه، ص20.

عام 1909. وفي عام 1910 أنشئت مطبعة أهلية في المدينة المنورة وهي المطبعة العلمية وفي عام 1916 أسّست في المدينة المنورة مطبعة حكومية وقد ساعدت هذه المطابع على إنعاش الحركة الفكرية في ولاية الحجاز إذ طبعت فيها العديد من الصحف[1].

ثالثاً: الصحافة في الحجاز 1908 ـ 1918:

عرفت الحجاز أول نشاط صحفي في عام 1908 حينما صدرت صحيفة (حجاز) في مكة وقد طبعت في مطبعة الولاية[2] وصدر العدد الأول في 3/ 11/ 1908 وكانت تتكون من أربع صفحات، الصفحة الأولى والرابعة كانت تكتب باللغة العربية أمّا الثانية والثالثة فكانت تكتب باللغة العثمانية وكانت النسخة العثمانية تسمى حجاز أمّا العربية فقد كانت في أعدادها الأربعة الأول تسمى الحجاز ثم أصبح اسم حجاز هو الاسم الرسمي للصحيفة، وكانت هذه الصحيفة أسبوعية غير أنه لم يكن لها يوم معيّن للصدور إذ كانت تعاني من قلة الموظفين ومن الصعوبات المطبعية حتى أنّها كانت تعجز عن الصدور في بعض الأسابيع أو تتوقف لمدة شهر ولاسيما أيام الحج وكانت توصف في البداية بأنها صحيفة الولاية الخادمة لعموم منافع الدولة والملة إلّا أنّه بعد ذلك وصفت بصحيفة الولاية الرسمية. وكان أبو الثريا سامي (مكتوبجي

(1) الشامخ، التعليم، ص113.
(2) السباعي، المصدر السابق، ج2، ص401.

الولاية) هو المؤسس الأول لهذه الصحيفة وكان مكتب تحريرات الولاية هو المشرف عليها[1]. كانت الصحيفة تنشر أخباراً عن الحكومتين المركزية والمحلية والمقالات المتنوعة والإعلانات الرسمية أمّا الإعلانات التجارية فكانت قليلة، وكانت الأخبار والدعاية الحربية لا تشغل حيزاً كبيراً في البداية في صفحاتها إلّا أنّه بعد الغزو والاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب عام 1911 وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبحت الموضوعات والمقالات والدعاية الحربية هي الموضوعات المهيمنة التي انشغلت بها صحيفة (حجاز)[2]. وقد استمر صدورها حتى عام 1916[3].

وفي 16/ 2/ 1909 صدرت ثاني صحيفة في مكة هي شمس الحقيقة[4] وكانت تصدر كل يوم ثلاثاء من الأسبوع وقد طبعت في بادئ الأمر في مطبعة الولاية ثم أنشئت مطبعة خاصة بها فيما بعد. وقد وصفت الصحيفة نفسها في بعض الأعداد بأنّها صحيفة وطنية يومية سياسية تجارية انتقادية فكاهية تنشر مرة في الأسبوع مؤقتاً واتخذت عبارة حب الوطن من الإيمان شعاراً لها، وكانت تطبع باللغتين العربية والعثمانية وكانت العثمانية تسمى (شمس حقيقت)[5]. وقد نشرت هذه الصحيفة العديد من الموضوعات

---

(1) الشامخ، الصحافة، ص ص30 ـ 31.
(2) الشامخ، الصحافة، ص31.
(3) المصدر نفسه، ص37.
(4) فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج4، (بيروت: 1913)، ص92.
(5) الشامخ، الصحافة، ص38.

الهجائية السياسية ضد الموظفين والمسؤولين إذ تعرضت للشريف حسين وموظفيه حتى اضطر الشريف حسين إلى رفع شكوى ضدها لدى الباب العالي في استانبول فأمر بإغلاق الصحيفة ونقل رئيس تحريرها عبد الله قاسم إلى وظيفة أخرى خارج ولاية الحجاز. كما قيل إن الشريف حسين غضب من سياسة الصحيفة وهدد صاحبها محمد توفيق مكي بالقتل فهرب من الحجاز[1]. وقد أنشأ أهالي جدّة صحيفة الإصلاح الحجازي التي صدرت يوم الإثنين 17/ 5/ 1909م وكان صاحب امتياز الصحيفة ومديرها السوري راغب مصطفى توكل ومحررها اللبناني أديب داود هراري وكانت الصحيفة سياسية أدبية تجارية تصدر مرة في الأسبوع وكانت تتخذ من الآية الكريمة ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ شعاراً لها وتتكوّن من أربع صفحات وتطبع بمطبعة خاصة لها في جدّة[2].

ويذكر أن الشريف حسين كان يساعد هذه الصحيفة ويرعاها وكانت الصحيفة تدافع عنه وترد على هجمات صحيفة (شمس الحقيقة) وقد بقيت هذه الصحيفة لبضعة شهور وتوقفت بعد ذلك عن الصدور[3].

كذلك صدرت صحيفة صفا الحجاز في الحجاز التي وصفت بأنّها صحيفة يومية وصاحب امتيازها أحمد رأفت الإسكندراني

---

(1) السباعي، المصدر السابق، ج2، ص401.

(2) الشامخ، الصحافة، ص46.

(3) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، ط2، (مصر: 1911)، ص9.

وكانت صغيرة الحجم وتوقفت عن الصدور بعد مدة قصيرة من صدورها[1].

كما أن المدينة المنورة أسهمت في إصدار بعض الصحف في هذه الفترة إذ أصدرت صحيفتين هما الرقيب والمدينة المنورة أما صحيفة الرقيب فقد كان إبراهيم خطاب وأبو بكر الداغستاني هما اللذان أصدرا هذه الصحيفة في كانون الثاني عام 1909. وكانت الصحيفة خطية تطبع على الجلاتين لأنه لا توجد مطابع في المدينة[2].

أمّا صحيفة المدينة المنورة فقد أصدرها محمد مأمون الأرزنجاني في 16/ 11/ 1909 وكانت الصحيفة تصدر باللغتين العثمانية والعربية[3].

إن هذه الصحف الست هي التي كانت موجودة في الحجاز خلال المدة 1908 ـ 1916[4]. أما بعد عام 1916 فقد ظهرت صحف أخرى بعد انقطاع الصحف السابقة لاسيما بعد قيام الثورة العربية إذ صدرت صحيفة القبلة في 15/ 8/ 1916 بمكة المكرمة وكانت تصدر مرتين في الأسبوع وكانت هذه الصحيفة دينية ـ

---

(1) طرازي، المصدر السابق، ص ص92 ـ 93.

(2) المصدر نفسه، ص93.

(3) البتنوني، المصدر السابق، ص255.

(4) محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، (دمشق: 2004)، ص108؛ موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، (الكويت: 1984)، ص195.

سياسية ـ اجتماعية[1]. وتتكون من أربع صفحات كبيرة وهي ناطقة بلسان الشريف حسين. وعلى الرغم من أنّ محب الدين الخطيب كان أول مدير مسؤول لها حتى عام 1920[2] إلّا أنّ الشريف حسين كان هو المشرف العام على الصحيفة ولكن بصورة غير رسمية إذ إنها كانت تمثّل لسان حال الشريف حسين وكان هو الذي يرسم سياستها وكانت المعبرة عن آرائه وأفكاره والمدافعة عن حركته والدعاية لها[3]. وقد أسهم بعض الكتاب في كتابة المقالات فيها منهم فؤاد الخطيب وعبد الله الخطيب ومصطفى فهمي والطيب الساسي. وبقيت تصدر لمدة ثماني سنوات حتى العدد 823 في عام 1924 ثم توقفت بعد ذلك[4].

وفي الوقت الذي صدرت فيه صحيفة القبلة في مكة الناطقة بلسان الشريف حسين فإن المدينة المنورة لم تخلُ من إصدار صحيفة موالية للسلطات العثمانية الموجودة في المدينة لأنّ المدينة بقيت بيد السلطات العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وقد كانت الصحيفة التي صدرت في المدينة تحمل اسم الحجاز إذ صدر العدد الأول منها في 7/ 10/ 1916 بوصفها صحيفة سياسية ـ أدبية ـ اقتصادية ـ اجتماعية وكانت في بداية صدورها تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ثم أصبحت خمساً وبعد ذلك أصبحت

---

(1) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز 1916 ـ 1925 دراسة في الأوضاع السياسية، (مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة: 1982)، ص ص66 ـ 67.

(2) الشامخ، الصحافة، ص ص90 ـ 98.

(3) السباعي، المصدر السابق، ج2، ص433.

(4) وهيم، مملكة، ص ص66 ـ 67.

يومية وكان حمزة غوث هو المدير المسؤول وكانت شؤون التحرير بيد الصحفي السوري بدر الدين النعساني[1]. وكانت هذه الصحيفة تشبه في عملها صحيفة القبلة ففي الوقت الذي كانت القبلة ناطقة بلسان الشريف حسين وتتحدث عن أعماله وانتصاراته، فإن صحيفة الحجاز كانت ناطقة بلسان السلطات العثمانية الموجودة في المدينة على الرغم من ادّعائها أنها صحيفة غير رسمية وقد استمرّت في الصدور حتى سلّم العثمانيون المدينة المنورة للشريف حسين في 13 شباط 1919[2].

---

(1) الشامخ، الصحافة، ص ص99 ـ 100.

(2) المصدر نفسه، ص ص100 ـ 103.

المبحث الثالث

الصحة في الحجاز

تمثّل الأوضاع الصحية مسألة مهمّة في الحجاز لما لها من أثر كبير في المجتمع ولاسيما أنّ وجود مكة والمدينة المنورة قد جعل للمنطقة قدسية لدى المسلمين الذين تتجه أفئدتهم إليها من مشارق الأرض ومغاربها، كما يأتيها الآلاف منهم سنوياً لأداء العمرة أو أداء فريضة الحج، مما يسهل عملية انتقال مختلف الأمراض نتيجة الاختلاط والتزاحم في هذه المواسم[1].

لذلك اهتمّت الدولة العثمانية بالحالة الصحية في الحجاز خاصة في نهاية القرن التاسع عشر حينما أصبح هناك صراع بين الدول الاستعمارية عموماً وبريطانيا على وجه الخصوص التي كانت تسعى لتجد لها موطئ قدم في الحجاز لاستغلال مكانتها الاستراتيجية والاقتصادية إذ اتخذت من الجانب الصحي وظهور موجات الكوليرا ذريعة لذلك وادّعت أنّ الحجاز موطن الكوليرا

(1) Gülden Sariyildiz, Hijaz karantina Teskilâti (1865-1914), (Ankara: 1996). SS, 1-4

وأنّ ماء زمزم أكبر مصدر للوباء وأنّ هدي الحجاج في منى يتعفّن ويسبّب انتشار الأمراض[1].

ونتيجة لهذه الادعاءات سارعت فرنسا إلى عقد مؤتمرات صحية دولية في استانبول وباريس والبندقية لمناقشة قضية الحج وانتشار الأوبئة وكتب بعض الأطباء الفرنسيين للردّ على الادعاءات البريطانية وقالوا إنّ الكوليرا لم تنشأ في الحجاز وإنّما يحملها معهم الحجاج القادمون إليه وفي مقدمتهم الحجاج الهنود. وإنّ الذين يشكون من الوباء عليهم أن يتّخذوا الحيطة خاصة أنّ الهنود من رعايا بريطانيا[2].

ونتيجة لهذه الدعايات السيّئة أوفد السلطان عبد الحميد الثاني الطبيب شاكر القيساري، الذي كان يعمل في مستشفى حيدر باشا في استانبول، ليرافق الحجاج العثمانيين إلى الحجاز عام 1890 من أجل توفير الرعاية الصحية وتقصّي الأحوال الصحية في الحجاز[3].

وبعد العودة من الحجاز قدّم الطبيب شاكر القيساري تقريره للسلطان عبد الحميد الثاني دوّن فيه مقترحاته لتحسين الحالة الصحية في الحجاز فقد بيّن أنّه يجب الاهتمام بالسفن التي تنقل الحجاج ومنع الازدحام على سطحها[4].

---

(1) A.E, S94

(2) Sariyildiz, A.G.E, SS, 102-105.

(3) حاتم الطحاوي، «السلطان العثماني وصحة الحجاج: قراءة في تقرير الطبيب شاكر القيساري»، جريدة الحياة، (بيروت)، العدد 15265، كانون الثاني، 2005.

(4) باب عالي، دائرة صدارت، أفندي ديوان همايون 16، سنة 1895 =

وأوصى بعدم منح الإذن بالحج للمرضى وإطالة ملابس الإحرام وأن تكون سميكة لكي تكون مناسبة لتقلّبات الجو[1].

واقترح القيساري إنشاء دار للحجاج تتألف من الأكواخ الخشبية لإيواء الحجاج المرضى والفقراء الذين يفترشون شوارع مكة، وأوضح أنّ وباء الكوليرا الذي ظهر في أثناء موسم الحج قد انتقل عن طريق الحجاج الهنود[2].

وأخذ الطبيب شاكر عيّنة من ماء زمزم لإجراء التحليلات والفحوصات المختبرية عليه للردّ على ادّعاءات الأوروبيين الذين قالوا إنّ ماء زمزم هو مصدر التلوّث وعندما أجرى الطبيب واصل نعوم أفندي التحليلات، ظهرت النتيجة إيجابية[3].

وأوصى شاكر القيساري بضرورة إقامة مستشفى متكامل في حي الأنصار في المدينة وبجانبه مستشفى عسكري للجنود والحرس الذين يقومون بتنظيم أمور الحجاج[4].

والجدير بالذكر أنّ ولاية الحجاز تمتّعت بنوع من النشاط الصحي إذ ذكر في سالنامه ولاية الحجاز لعام 1883 وجود مستشفى في مكة المكرمة تتكون هيئتها من[5]:

= Vesikanr.6, S.231 BOA, Y.A-Res, Nr 5818

للتفاصيل انظر ملحق (1)

(1) المصدر نفسه.

(2) الطحاوي، المصدر السابق.

(3) باب عالي، دائرة صدارت، أفندي ديوان همايون 16، سنة 1895.

(4) الطحاوي، المصدر السابق.

(5) ح.و.س 1301هـ -1883م، ص89.

مدير المستشفى	حسيب آغا
الطبيب	مصطفى أفندي
الجراح	جوهر أفندي
الكاتب	توفيق أفندي
مسؤول الإجازات	أحمد جلال الدين أفندي

كما ذكر وجود مستشفى في جدّة تتكوّن هيئتها من[1]:

أول وكيل	الطبيب يوسف أفندي
الكاتب	نوري أفندي
مسؤول الإجازات	محمد أفندي
مسؤول المرضى	محمد كامل أفندي

ثم قامت الدولة بعد ذلك بسنوات بتشكيل مجلس صحة الحجاز عام 1895 ليُشرف على الحالة الصحية في الحجاز[2].

وذكر فيما بعد وتحديداً في سالنامه الدولة العلية العثمانية لعام 1908 وجود مستشفى في الحجاز مديرها ثروت أفندي وذكر أيضا اسما طبيبين هما فؤاد أفندي وخيري أفندي في مكة المكرمة وذكر وجود مستشفى في المدينة المنورة ومديرها محمد أمين أفندي ووجود مركز صحي فيها أيضاً والمسؤول عنه هو الطبيب إبراهيم بهلول بك[3].

---

(1) ح.و.س، 1301هـ ـ 1883م، ص129.

(2) Sariyildiz, A.G.E, SS, 113-115.

(3) س.د.ع.ع. 1326هـ ـ 1908م، ص ص692 ـ 696.

الفصل الثالث

التطورات السياسية في الحجاز
1876 ـ 1914

المبحث الأول

الأشراف في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(*)

كان الشريف عبد الله ابن الشريف محمد يشغل منصب الشرافة في الحجاز حينما اعتلى عبد الحميد الثاني السلطنة في

(*) وُلد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1842 وهو ابن السلطان عبد المجيد الأول (1839 ـ 1861) ووالدته تيري موجغان إحدى الجواري الجركسيات وقد بويع بالسلطنة في 31 آب 1876 في سراي طوب قبو ثم انتقل إلى سراي بشكطاش، وتقلّد السيف العثماني في جامع أبي أيوب الأنصاري حسب التقاليد المتبعة بحضور الأعيان وكبار الموظفين وقد أعلن الدستور العثماني في السنة نفسها التي تسلم بها السلطنة ثم أمر بتعليق الدستور بعد سنة واحدة ثم أعيد العمل به عام 1908 اثر الانقلاب العثماني وخلع عام 1909 وقضى بقية حياته في سلانيك ثم في قصر بكلربكي في استانبول إلى أن توفي عام 1918م. انظر مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة صالح سعداوي صالح، (الأردن: 1991)، ص11؛ انكه لهارد، تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك تاريخ إصلاحاتي، ترجمة علي رشاد، (باب عالي جاده سنده: 1910)، ص346؛ يمن سالنامه سي، (ولايت مطبعة سندة: 1895)، ص441؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، (مصر: 1894)، ص728؛ إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، (القاهرة: 2004)، ص371 ـ 372.

الدولة العثمانية عام 1876، إذ كان الشريف عبد الله يشغل هذا المنصب منذ عام 1858 وكان مشهوراً بكمال العقل وحسن التدبير واطلع على الكثير من كتب التفسير والحديث والفقه(1)، وحدثت في عهده فتنة جدة(*) وفتنة حوا(**) والاستيلاء على عسير عام 1871. وشرع عام 1877 في تعليم أهالي مكة حركات الجيش النظامية وكيفية الرمي بالبنادق واستمر التعليم مدة أربعة أشهر. وتوفي بعد ذلك في السنة نفسها بمرض عرق النسا الذي أصيب به منذ عام 1873(2).

1 ـ ولاية الشريف حسين بن محمد عون (1877 ـ 1880):

تولّى الشرافة عام 1877 بعد وفاة أخيه عبد الله وكان آنذاك في استانبول يشغل منصب رئيس دائرة مجلس الدولة المدني(3). ولم يستمر في منصبه شريفاً لمكة إلّا مدّة قصيرة استغرقت ثلاث

---

(1) أحمد بن زيني دحلان، تاريخ أشراف الحجاز 1840 ـ 1883 خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق محمد أمين توفيق، (بيروت: 1993)، ص47.

(*) هي الفتنة التي حدثت عام 1858 عندما أراد أحد التجّار إنزال العلم البريطاني من أحد المراكب ووضع العلم العثماني بدلاً منه وعندما سمع القنصل البريطاني أنزل العلم العثماني ويقال إنه وطئه بقدمه فحدثت الفتنة، للتفاصيل انظر دحلان، أمراء البلد، ص367 ـ 371.

(**) هي الفتنة التي حدثت بين الأهالي والعسكر في سوق المعلى عندما تشاجر شخص يدعى حوا مع العسكر في السوق فثار أهل السوق وقتلوا بعض العسكر، للتفاصيل انظر، دحلان، تاريخ أشراف الحجاز، ص56.

(2) السباعي، المصدر السابق، ص379؛ شاكر، المصدر السابق، ج8، ص249.

(3) جارشلي، المصدر السابق، ص179.

سنوات إذ طعنه رجل أفغاني الأصل تظاهر بتقبيل يده[1]. وعلى الرغم من إلقاء القبض على القاتل واستجوابه وتعذيبه إلّا أنّه لم يعترف بسبب طعنه للشريف ولم يبح بشيء عن بواعث الجريمة[2].

2 ـ ولاية عبد المطلب بن غالب الثالثة (1880 ـ 1882):

تولّى الشرافة بعد ذلك الشريف عبد المطلب للمرة الثالثة إذ كانت الأولى عام 1832 والثانية في عام 1851. وقد كان كبير السن عند تولّيه للمرة الثالثة. ولم تكن علاقاته مع الولاة العثمانيين جيدة في الحجاز إذ عمل على عزل كلٍ من الوالي ناشد باشا وصفوت باشا وجعل الحاج عزت باشا الأرزنجانلي تحت سيطرته إلّا أنّه اصطدم بعثمان باشا الذي عيّن بدلاً من عزت باشا[3].

وكان الاثنان على خلاف كبير كل منهما يريد السيطرة لنفسه وقد جاءت الفرصة لعثمان باشا عندما ادعى بأنّه حصل على رسائل كان قد أرسلها عبد المطلب إلى القنصل البريطاني في جدّة ضد الدولة العثمانية وعلى هذا فقد اجتمع عثمان باشا مع كبار مسؤولي الولاية واتخذوا قراراً بعزل الشريف عبد المطلب وقد هيأ عثمان باشا فرماناً مزوراً عزل بواسطته عبد المطلب وبعد عزله بقي تحت المراقبة وهو في الطائف ثم في مكة المكرمة في بيته. عند

---

(1) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بغداد: 1979)، ملحق ج6، ص41.

(2) كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين 1908 ـ 1918، (د.م: د.ت)، ص39.

(3) جارشلي، المصدر السابق، ص173.

ذلك أرسلت الدولة العثمانية (لبيب أفندي) للتحقيق في الموضوع وقد توصل إلى نتيجة وهي أنّ ما نسب لعبد المطلب لا أساس له من الصحة وأنّ تعيين الشريف عبد الإله شريفاً لمكة من لدن عثمان باشا فيه تزوير لم يُصادق عليه الباب العالي بل إنّ الدولة عيّنت أخاه الموجود في استانبول الشريف عون الرفيق[1]. وقد بقي عبد المطلب في بيته لحين وفاته عام 1887 عن عمر جاوز المائة عام[2].

3 ـ ولاية عون الرفيق (1882 ـ 1905):

هو ابن الشريف محمد بن عون وأخو الشريف حسين باشا تولّى الشرافة وكالة عام 1877 لحين وصول أخيه من العاصمة وبعدها سافر إلى استانبول وبقي فيها لحين تعيينه شريفاً لمكة عام 1882 وعلى الرغم ترشيح عثمان باشا والي جدّة لعبد الإله أخي عون الرفيق ليكون شريفاً إلّا أنّ السلطان عبد الحميد الثاني أصدر أوامره بتعيين عون الرفيق شريفاً لمكة[3].

كان عون أسمر اللون صغير الجسم ذا بنية قوية، قوي الإرادة لا يأبه بعزل أية شخصية كانت في مكة ويصفه بعض الدارسين بأنّه صديق وفيّ وعدوّ لدود. وكانت علاقة عون الرفيق والوالي العثماني عثمان باشا منذ البداية غير جيدة، فكل واحد

---

(1) المصدر نفسه، ص174.

(2) الفواز، المصدر السابق، ص46.

(3) جارشلي، المصدر السابق، ص180.

منهما يكنّ للآخر العداء ويريد السيطرة المطلقة في المنطقة، وفي البداية بقي الشريف عون لا يتمتع إلّا بالقليل من النفوذ على عكس عثمان باشا[1].

كان الشريف مقتنعاً في البداية بامتيازات وصلاحيات عثمان باشا ولاسيما أنّ علاقته بالسلطان عبد الحميد الثاني جيدة لذلك انتظر بعض الوقت لحين تثبيت سلطته في الداخل لكي يتخلص من عثمان باشا إذ باءت خطته الأولى بالفشل عندما ألقى ضباط دائرة الكمارك في جدّة القبض على عدد من البنادق التي كانت على وشك التهريب إلى الشريف. عند ذلك قرر الباب العالي تقليص صلاحية الشريف ونزع أسلحة أفراد الحرس التابعين له وتقليص عددهم[2]. على الرغم من هذه المحاولة الفاشلة إلّا أنّ عوناً لم يستسلم حيث حدثت عام 1886 مشاكل بين الطرفين وصلت ذروتها حينما ترك عون الرفيق مكة وغادر إلى المدينة مع أفراد عائلته وأعلن أنه لن يعود إلى مكة طالما عثمان باشا فيها، وفي تلك الأثناء أرسل السلطان عبد الحميد الثاني حاجبه حسين باشا للتحقيق في الأمر ولحل المشكلة تم تعيين جميل باشا والي حلب ليحل محل عثمان باشا وإرسال عثمان باشا إلى حلب[3]. إلّا أنّ (جميل باشا) لم يستمرّ طويلاً في منصبه والياً إذ قدم استقالته بعد خمسة أشهر فقط وقد تذرّع بأنّ حالته الصحية غير جيدة لكن

---

(1) Al - Amr, Op, Cit., P.126.

(2) Ibid, P.131.

(3) الفواز، المصدر السابق، ص51.

السبب الحقيقي أنّه لا يستطيع الوقوف بوجه طموحات الشريف عون وأنّه لا يريد التصادم معه[1].

بعد هذه الأحداث تفجر الصراع بين الشريف عون وابني أخويه علي وحسين لذلك أرسل السلطان عبد الحميد الثاني بعثة للبحث في أسباب عدم التفاهم بين الشريف وابني أخويه وقد ترأس البعثة القائد البحري أحمد راتب باشا إذ تمّ إرسال حسين إلى استانبول حسب اقتراح البعثة وعقد مصالحة بين علي وعمه عون وتم تعيين أحمد راتب باشا والياً مؤقتاً في الحجاز وبعد شهور قليلة ثبت أحمد راتب باشا في منصبه عام 1893 وكان سبب التثبيت هو علاقته الجيدة مع الشريف عون خلال الأشهر الأولى في أثناء توليه المنصب بصورة مؤقتة[2].

لقد أدرك أحمد راتب باشا حقيقة مفادها أنّ الذين سبقوه عندما عارضوا الشريف عزلوا من مناصبهم لذلك عمل على تكوين علاقة جيدة مع الشريف حتى وإن أصبح تابعاً له لذلك بقي في منصبه حتى وفاة الشريف عون عام 1905م. وفي هذه الأثناء ضعفت السلطة العثمانية في الحجاز إذ كان المتحكم الوحيد فيها هو الشريف والصلاحيات كلها بيده[3].

---

(1) Al - Amr, Op, Cit., P.129.

(2) Osman Selim Kocahano?lu, Osmanli Develeti'nin Misir Yemen Hicaz Meselesi, (Temelyayinlari: N.d.) SS 185-187. Al - Amr, Op, Cit., P.130-131.

(3) Al - Amr, Op. Cit., P.131 - 132.

4 ـ ولاية علي باشا (1905 ـ 1908):

بعد وفاة الشريف عون عيّن أحمد راتب باشا ابن أخي عون، علي باشا للشرافة مؤقتاً وكان علي باشا رجلاً ذا ذكاء حادّ وكان له نفوذ عظيم على القبائل البدوية. ولهذا نال استحسان الوالي ودفع الأخير إلى تزكيته لدى السلطان ليثبته شريفاً دائماً وقد قرر السلطان تعيينه شريفاً ورفعه إلى درجة وزير على خلاف عاداته في عدم الموافقة على مرشحي الولاة. ولم تكن موافقة السلطان لتعيين علي باشا حسب رغبة الوالي أحمد راتب وإنما رأى السلطان عبد الحميد الثاني أنّ (علي باشا) وبسبب نفوذه على البدو هو الأصلح للشرافة ورفعه إلى رتبة وزير دلالة على أنّ السلطان أراد أن يُشعر (علي باشا) بأنّه ليس مديناً لأحد في تعيينه[1].

ولم يستمرّ علي باشا في منصبه طويلاً إذ طرد منه عام 1908 بعد إعادة العمل بالدستور إذ أخطأ الشريف علي من البداية في حساب قوة الحكومة الجديدة عندما تغاضى عن إعلان الحكومة الدستورية وأعلن وقام بجلد رجال معينين في الطائف لأنّهم يتحدّثون عن الدستور والحرية[2].

وعلى الرغم من أنّه بعد ذلك وافق على القانون وعلى الدستور ووقف إلى جانب ثلاثة رجال منتخبين من بين الجماهير

---

(1) Ibid, P.131

(2) Ibid, P.132.

(عبد وبدوي وجندي) وسُئل هل هناك فرق بينك وبين هؤلاء أمام القانون؟ قال: كلا، وأقسم بالقرآن أنّه يعمل حسب القوانين الدستورية إلّا أنّ ذلك كلّه لم يُجدِ نفعاً إذ طُرد من منصبه عام 1908 [1]. وبعدها تولّى الشريف حسين بن علي منصب الشرافة في مكة كما سيأتي ذكره..

(1) Al - Amr, Op. Cit., P.132.

المبحث الثاني

السلطان عبد الحميد الثاني وسكّة حديد الحجاز

سكّة حديد الحجاز: اهتمت الدولة العثمانية كثيراً بالأماكن المقدسة وخاصة الحجاز وذلك لوجود أعظم مكان مقدس فيه بالنسبة للعالم الإسلامي ألا وهو بيت الله الحرام الذي تحج إليه الجموع الكثيرة من المسلمين[1].

وكان السلاطين العثمانيون يعملون جاهدين في سبيل توفير سبل الراحة للأماكن المقدسة ومنها تيسير طريق الحج[2] وكان هذا الاهتمام حتى قبل السيطرة العثمانية على الحجاز عام 1517 إذ يذكر أنّ السلطان محمد الفاتح (1451 ـ 1481م) أراد تعمير آبار المياه الواقعة على طريق الحج لكنه لم يستطع

(1) عبد الله بن الحسين، الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين ـ الخط الحديدي الحجازي، (عمان: 1996)، مج8، القسم الثاني، ص399.

(2) نوفان رجاء الحمود، حركات العسكر في بلاد الشام في القرنين 16 و17م، (بيروت: 1981م)، ص101.

بسبب عدم موافقة المماليك لأنهم كانوا أصحاب السيادة على الحجاز آنذاك[1].

ويذكر أنّ السلطان سليم الأول (1512 ـ 1520م) وجه اهتماماً كبيراً بشأن ترميم القلاع الواقعة على طريق الحج وبناء بعض القلاع الجديدة لكي تساعد على توفير سبل الأمان والراحة للحجاج[2].

وقبل إنشاء سكة حديد الحجاز كانت هناك أربع قوافل للحج في العهد العثماني[3]، وهي:

1 ـ قافلة الحج الشامي وكانت تضمّ حجّاج بلاد الشام والجزيرة وكردستان وأذربيجان والقوقاز والأناضول والبلقان وحجاج استانبول العاصمة[4].

2 ـ قافلة الحج المصري وتضمّ حجاج مصر وشمال إفريقيا[5].

3 ـ قافلة الحجّ العراقي وتضمّ حجاج العراق وفارس.

---

(1) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط2 (دمشق: 1999)، ص349.

(2) طالب عبد الغني جار الله صقلاوي الجبوري، مشروع سكة حديد الحجاز، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، 2003، ص10.

(3) أحمد فهد بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، (الأردن: 1984)، ص179.

(4) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، (بيروت: 1970)، ص117.

(5) سليمان فيضي، مؤلفات مختارة التحفة الإيقاظية في الرحلة الحجازية الرواية الإيقاظية ـ البصرة العظمى ـ، إعداد وتقديم باسل سليمان فيضي، (بيروت: 1998)، ص105.

4 ـ قافلة الحج اليمني وتضم حجاج اليمن والهند وماليزيا وأندونسيا[1].

والذي يهمّنا من هذه القوافل هي قافلة الحجّ الشامي لأنّه الطريق نفسه الذي أُنشئت فيه سكة حديد الحجاز وهو الطريق نفسه الذي سار فيه الرسول محمد ﷺ في رحلته إلى الشام في أثناء تجارته في الصيف[2].

ونتيجة للمخاطر التي كان يواجهها الحجاج في أثناء الطريق اهتم العثمانيون كثيراً بشأن توفير القوة في طريق الحج لحماية الحجاج فكانوا يرسلون القوات العسكرية لتوفير الأمن لقوافل الحجاج ولمصادر المياه[3].

وقد عمل ولاة دمشق على تعيين أحد كبار الزعماء المحليين أميراً لقافلة الحج الشامي وكان السبب في اختياره يرجع إلى مكانته المرموقة التي تجعل منه موضع احترام بين القبائل البدوية وكان على الحجاج أن يطيعوا أمير الحج لعدم وقوع مخاطر في الطريق[4]. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أمير الحج الشامي منذ عام 1671 وإلى عام 1866 كان والي الشام نفسه إلّا أنّه بعد هذا

---

(1) الشواكبة، المصدر السابق، ص179.

(2) الجبوري، المصدر السابق، ص7.

(3) توفيق علي برو، العرب والترك، في العهد الدستوري العثماني 1908 ـ 1914، (القاهرة: 1961م)، ص36

(4) جان، سوفاجيه، دمشق لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث، ترجمة فؤاد أفرام البستاني، (بيروت: 1936م)، ص55.

التاريخ رأت الدولة العثمانية أنّ غياب الوالي عن مقر حكمه وولايته لمدة طويلة، هي مدة الحج، قد يؤدي إلى اضطرابات في ولايته لذلك قرروا الفصل بين الولاية وأمير الحج إذ أصبح قائد الجندرمة (قائد قوات الأمن) هو أمير الحج[1] وكان على أمير الحج بعض المهام، منها :

1 ـ توفير مياه الشرب للحجاج مجاناً ويستأجر لهذا الغرض المئات من الجمال وخاصة في المناطق التي لا تتوافر فيها المياه.

2 ـ يقوم أمير الحج بالإشراف على تنظيم سير القافلة وتأمين سلامتها من خلال القوة العسكرية التي جاءت معه والتي تتألف من الفرسان والمشاة.

3 ـ إعطاء بعض الأموال والهدايا إلى القبائل القاطنة على الطريق بين دمشق والمدينة المنورة وتصل قيمة الأموال والهدايا إلى (60) ألف ليرة عثمانية[2].

أولاً: فكرة إنشاء السكة وأسبابها :

أ ـ فكرة إنشاء السكّة :

لقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد الجهة التي تولت فكرة إنشاء الخط الحديدي وظهرت آراء عديدة، منها : ـ

---

(1) أحمد البديري الحلاق، حوادث دمشق اليومية 1741 ـ 1762م، (القاهرة: 1959م)، ص49.

(2) الشوابكة، المصدر السابق، ص185.

1 ـ إنّ فكرة إنشاء الخط كانت من أفكار المهندس الأمريكي زامل وهو من أصل ألماني، عندما اقترح على السلطان عبد العزيز (1861 ـ 1876) عام 1864م مشروعاً لمد خط حديدي يصل بين دمشق وساحل البحر الأحمر إلّا أنّ المشروع لم ينفذ، إذ كان نصيبه الإهمال[1].

2 ـ إنّ فكرة إنشاء الخط تعود إلى وزير الأشغال العامة العثماني عندما قدم مشروعاً لإنشاء سكة حديد تربط دمشق بالأماكن المقدسة إلّا أنّ المهندسين جابهوا مشروعه بالرفض وذلك لصعوبة مدّ الخط في تلك المناطق.

3 ـ وهناك رواية أخرى تشير إلى أنّ محمد إنشاء الله وهو مواطن هندي يعمل في الصحافة هو صاحب فكرة إنشاء الخط[2].

4 ـ كما ذكر جون هاسلب أنّ ملكة بريطانيا فكتوريا (1837 ـ 1901) كان لها نصيب في فكرة إنشاء الخط إذ أرسلت رسالة إلى السلطان عبد الحميد الثاني توضح فيه أنّ رعاياها المسلمين في الهند يعانون الكثير في أثناء أداء فريضة الحج[3].

5 ـ رواية أخرى تشير إلى أنّ فكرة إنشاء الخط تعود إلى سكرتير

---

(1) خالد حمود السعدون، «مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز أسبابها وتطوراتها، مجلة الدارة، (الرياض)، السنة 14، 1988، ع2، ص47.

(2) Murat özyüksel, Hicaz Demiryolu, (Istanbul: 2000), S.71.

(3) جون هاسلب، السلطان الأحمر عبد الحميد، ترجمة فيليب، عطا الله، (بيروت: 1974)، ص141.

السلطان عبد الحميد الثاني أحمد عزت باشا العابد[1] وهو مواطن عربي ولد عام 1855م في دمشق واستطاع أن يقنع السلطان بفكرة إنشاء الخط الحديدي الحجازي[2] ولاسيما أنّ له إنجازات أخرى بهذا الصدد، منها الربط بين فزان وطرابلس بخط برقي والربط بين دمشق والمدينة المنورة بخط تلغرافي[3].

6 ـ إنّ الفضل يعود للسلطان عبد الحميد الثاني في إنشاء سكة حديد الحجاز لأنّه المسؤول والمشرف الأول على المشروع ويذكر في مذكراته أنّ مشروع سكّة الحجاز كانت من أمانيه القديمة وهو يرى الآن أنّه يتحقّق[4].

ب ـ أسباب إنشاء السكّة:

كانت هناك عدة أسباب لإنشاء الخط الحديدي، وهي:

1 ـ تشديد قبضة الدولة على الأماكن المقدسة.

2 ـ تقليل الصعوبات التي كان يواجهها الحجاج من طول المسافة والحر الشديد في الصيف والبرد القارس في الشتاء[5].

---

(1) özyüksel, A.G.E. S.74.
محمد كرد علي، خطط الشام، ج5، (دمشق: 1956)، ص187، بروكلمان، ص74.

(2) موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، (الكويت: 1984)، ص113.

(3) الشوابكة، المصدر السابق، ص181.

(4) السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891 ـ 1908، ترجمة مؤسسة الرسالة، ط5، (د.م: 1986)، ص105.

(5) فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن 1872 ـ 1918م، (القاهرة: 1986)، ص120؛ أحمد عبد القادر المهندس، «سكة حديد الحجاز رحلة في =

3 - بسبب ما يتعرض له الحجاج من اعتداءات من بعض قبائل البدو لذلك كانت الدولة ترسل الهدايا إلى بعض رؤساء عشائر البدو لكي يتوقفوا عن الاعتداءات على الحجاج[1]. ولكن على الرغم من هذا فإن الاعتداءات لم تنتهِ فعلى سبيل المثال حدث عام 1854م أن قام شيخ عشائر عسير عائض بن مرعي بأعمال تخريب في الأماكن المقدسة وعلى أثر ذلك أرسل السلطان عبد المجيد (1839 ـ 1861)، رسالة إلى شريف مكة محمد بن عون يطلب منه أن يعمل على حفظ الأمن والسلام في الأماكن المقدسة وللحجاج[2].

4 ـ كما كان ذا فائدة اقتصادية للدولة إن أتمّت مشروع سكّة حديد الحجاز لأنّ السكّة تسهّل من عملية نقل البضائع والمحاصيل الزراعية بسرعة وخاصة بين بلاد الشام وشبه جزيرة العرب.

5 ـ كانت هناك فائدة عسكرية لإنشاء سكّة حديد الحجاز إذ تربط السكة بين الخطوط المتفرّعة ويسهل وصول القطعات العسكرية بسرعة إلى بعض المناطق التابعة للدولة التي كانت

= الزمان والمكان»، مجلة الدارة، (الرياض)، سنة 13، 1987، ع2، ص91؛ محمد رفعت المحامي، أسد الجزيرة قال لي، مراجعة حمد بن ناصر الدخيل، ط2، (الرياض: 1999)، ص29؛ دونالد كواترت، الدولة العثمانية 1700 - 1922، ترجمة أيمن الأرمنازي، (الرياض: 2004)، ص185.

(1) كرد علي، المصدر السابق، ج5، ص185.

(2) özyüksel, A.G.E. S.71.

بعيدة عن مركزها وهذا ما جعل قبضة الدولة على ولاياتها شديدة[1].

6 ـ إنّ الدولة العثمانية عملت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على إنشاء شبكة من الخطوط الحديدية وذلك لربط الأجزاء البعيدة ببعضها لكي تسهل السيطرة عليها[2].

7 ـ أراد السلطان عبد الحميد الثاني تعزيز قوة الدولة وإظهار قابليتها على التطور والتجديد.

8 ـ أراد السلطان عبد الحميد الثاني من إنشاء السكة تعزيز الصلات بين المسلمين إذ ذكر أنّ إتمام السكة الحديدية الحجازية هو تقوية للرابطة بين المسلمين، كما أراد دعم مركزه بوصفه خليفة وكذلك كسب تأييد المسلمين له[3].

9 ـ أدرك السلطان عبد الحميد الثاني أنّ مشروع سكّة حديد الحجاز سيكون مساراً قريباً من الطريق البحري الذي يربط بين

---

(1) The encyclopaedia of Islam, Vol.3, (London: 1975), P.365
شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب 1800 ـ 1914م، ترجمة رؤوف عباس حامد، (بيروت: 1990م)، ص360؛ الهلالي، المصدر السابق، ص44.

(2) لؤي بحري، سكة حديد بغداد ـ برلين حتى عام 1914، (بغداد: 1967م)، ص5؛ Edward Mead Earle, The great power and Baghdad Railway, (London: 1923), P.38.

(3) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة وتعليق محمد حرب، (دار الأنصار: 1978)، ص8؛ عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، ط3، (بيروت: 1986)، ص164؛ زين، المصدر السابق، ص57.

الشرق والغرب عبر قناة السويس التي افتتحت عام 1869م والتي سهلت الاتصال بين الشرق والغرب إلى حد بعيد[1]. إذ بعد احتلال بريطانيا لمصر عام 1882م أصبحت القناة تحت السيطرة البريطانية مما دفع السلطان عبد الحميد الثاني إلى إيجاد طريق بديل لقناة السويس وقد بين ذلك فقال سيتم إن شاء الله مد خط سكة حديد يعوض عن قناة السويس ويصل استانبول بمكة والمدينة المنورة[2].

ثانياً: مصادر تمويل المشروع:

أمر السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء مشروع سكة حديد الحجاز في يوم 31 آب 1901 وكان اليوم يصادف ذكرى جلوسه على عرش الدولة العثمانية[3]. وكان مثل هذا المشروع يتطلب أموالاً طائلة وفي الوقت نفسه كانت الدولة العثمانية تمرّ بأزمات مالية صعبة لذلك عقد السلطان عبد الحميد الثاني العزم على الدعاية لجمع تبرّعات من العالم الإسلامي وذلك لإكمال مشروع سكّة الحجاز لأنّه مشروع ديني بالدرجة الأساس يخدم الحجاج ويسهل عليهم طول مسافة الطريق[4]. وأوضح السلطان عبد الحميد

---

(1) جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة عمر الإسكندري، (القاهرة: د.ت)، ص47.

(2) özyüksel, A.G.E. S.169.

(3) الهلال، ج3، سنة 8، (مصر)، أيلول 1900، ص741؛ حسين لبيب، تاريخ المسألة الشرقية، (القاهرة: 1921)، ص88.

(4) السعدون، المصدر السابق، ص47؛ عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864 ـ 1914، (القاهرة: 1969)، ص284.

الثاني أنّه يكافئ المتبرّعين لهذا المشروع بالألقاب والنياشين والميداليات[1]. وشكّلت لجنتان للمشروع. الأولى اللجنة العليا ومقرّها في استانبول برئاسة السلطان عبد الحميد الثاني وتضمّ كلّاً من الصدر الأعظم وحسن باشا وزير البحرية ووزير التجارة ذهني باشا وعزّت باشا العابد السكرتير الثاني للسلطان وكانت إلى جانبها هيئة برئاسة رشاد باشا وزير المالية لاستلام الأموال التي يتم التبرّع بها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي[2].

كان من واجبات اللجنة العليا وضع الخطوط العامة للمشروع وكيفية استملاك الأراضي وتحديد نفقات المشروع[3]، أمّا اللجنة الثانية وكان مقرّها في دمشق برئاسة والي دمشق ناظم باشا وعضوية كاظم باشا مدير عام سكك حديد الحجاز وبعض كبار الموظفين وتقوم اللجنة بدراسة خطط المشروع وإرسالها إلى اللجنة العليا في استانبول[4].

أمّا بشأن تمويل المشروع فقد كان هناك:

أ ـ مصادر التمويل الداخلية:

1 ـ التبرّعات النقدية : افتتح السلطان عبد الحميد الثاني حملة التبرّعات بمبلغ (320،000) ألف ليرة عثمانية ثم تبعه الصدر

---

(1) زوراء، (بغداد)، ع1923، 22 شوال 1319هـ ـ 1901م.

(2) ثروت فنون، (استانبول)، 2 أيار 1901، ص4؛ المقتطف، م21، 1904، ص971.

(3) ثروت فنون، 2 أيار 1901، ص4.

(4) The encyclopaedia of Islam, P.364.

الأعظم بمبلغ (810) ليرة عثمانية ووزير التجارة والنافعة ذهني باشا بمبلغ (600) ليرة وعزت باشا بمبلغ (500) ليرة عثمانية[1].

وتبرّع موظفو الدولة وولاتها، إذ كانت تؤخذ منهم على شكل أقساط من رواتبهم بنسب محددة[2].

وامتدت التبرّعات لتشمل كافة الولايات العثمانية حيث تعهد ولاة كل من دمشق وبيروت وحلب بتوفير مبلغ (40،000) ليرة عثمانية من كل ولاية، ووالي بورصة بـ (75،000) ليرة، ووالي الحجاز وأمير مكة بمبلغ (100) ألف ليرة عثمانية، ووالي طرابلس الغرب واليمن بمبلغ سنوي يرسلونه إلى العاصمة لدعم المشروع[3].

وكان للعراق دوره في إنجاز سكّة حديد الحجاز من خلال التبرّعات الكثيرة من ولاياته الثلاث بغداد والبصرة والموصل إذ شكلت لجان في بغداد بشأن التبرّعات برئاسة الوالي ووصلت التبرّعات عام 1906م حوالي (11305) ليرة عثمانية[4].

أمّا في البصرة فقد شكلت لجنة للتبرّعات عام 1900 برئاسة والي البصرة وضمت اللجنة 11 عضواً[5]. وفضلاً عن هؤلاء كانت

---

(1) الجبوري، المصدر السابق، ص38.

(2) رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840 ـ 1909، (القاهرة: 1970م)، ص122؛ The encyclopaedia of Islam, P.363.

(3) ثروت فنون، 10 تموز، 1901، ص5.

(4) زوراء، ع2082، 24 ربيع الآخر 1324هـ ـ 1906م.

(5) رجب بركات، بلدية البصرة 1869 ـ 1981، (البصرة: 1984م)، ص84.

هناك بعض الشخصيات المهمة في الولاية قامت بالتبرّع للمشروع من أمثال عبد الرحمن النقيب الذي كوفئ على ذلك بمنحه ميدالية فضية[1].

أمّا بالنسبة لولاية الموصل فقد تعهد واليها بجمع مبلغ (10) آلاف ليرة عثمانية تبرّعاً للمشروع كما تبرّع آخر والٍ للموصل في العهد الحميدي وهو مصطفى بك (1906 ـ 1908) براتبه للمشروع[2].

أمّا في مصر التي كانت تابعة للدولة العثمانية اسميّاً فقد تولّى حسين باشا كامل جمع التبرّعات من الأسرة الخديوية وشكلت لجنة برئاسة أحمد باشا المنشاوي لجمع التبرّعات من عامة الناس وافتتح أحمد باشا حملة التبرّعات بالتبرّع بمبلغ (2500) ليرة عثمانية[3]. كما تبرّعت الصحافة المصرية كذلك للمشروع مثل صحيفة المؤيد بمبلغ (1000) ليرة عثمانية وصحيفة اللواء تبرّعت بمبلغ (3000) ليرة عثمانية[4].

ولم تقتصر التبرّعات على المسلمين فقط بل إنّ بعض

---

(1) رجاء حسين حسني الخطاب، عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقاته بمعاصريه، (بغداد: 1984م)، ص19.

(2) نسيبة عبد العزيز عبد الله الحاج علاوي، الإدارة العثمانية في الموصل 1879 ـ 1908،رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل 2002، ص15.

(3) علي محمد محمد الصلابي،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، (القاهرة: 2004)، ص483 ـ 484.

(4) ثروت فنون، 13 تموز 1908، ص6.

النصارى أيضاً دعوا إلى التبرّع إذ نشرت صحيفة ليون اللبنانية مواعظ أسقف اليونان الأرثوذكس في بيروت التي حثّ النصارى فيها على التبرّع للمشروع وأسهمت بعض الشركات الأجنبية بالتبرّع منها المصرف العثماني وهو إنكليزي إذ تبرّع بمبلغ (3240) ليرة وتبرّعت شركة سكّة حديد دمشق - حماه الفرنسية بمبلغ (84) ليرة إلى المشروع[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بعض الاختلاسات حدثت في عملية جمع التبرّعات وكشفت عنها الدولة التي عملت على إعفاء المختلسين من مناصبهم من أمثال محمد عزّت أفندي قائمقام الأناضول الذي أُعفي من منصبه بسبب اختلاسه[2].

2 - التبرّعات العينية : كان إلى جانب التبرّعات النقدية تبرّعات عينية لأنّ المشروع ديني يخدم الحجاج لذلك أصدر شيخ الإسلام في استانبول فتوى أجاز بها بيع جلود الأضاحي التي تذبح في عيد الأضحى لكي يُستفاد من أثمانها في تمويل المشروع[3]. وقد لاقت هذه المبادرة نجاحاً كبيراً في جميع الولايات العثمانية كما أنّ أصحاب الأراضي تنازلوا عن أراضيهم التي تمرّ منها السكّة لصالح المشروع[4]، وتبرّعت بعض

---

(1) الجبوري، المصدر السابق، ص43.

(2) المصدر والصفحة نفسها.

(3) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط6، (بيروت: 1980م)، ص142.

(4) عيساوي، المصدر السابق، ص372.

المؤسسات تبرّعات عينية مثل إدارة مناجم فحم أريكلي بـ (458) طناً من الفحم[1].

3 ـ مصادر أخرى : وكما كانت هناك مصادر أخرى لتمويل المشروع منها اقتطاع بعض المبالغ من رواتب الموظفين على أن يعفى الموظفون الأجانب منها كما عملت الدولة على تحويل مبالغ دائرة الحج إلى ميزانية المشروع وكانت تبلغ (150000) ليرة عثمانية وفرضت منذ عام 1900 ضريبة على الحجاج المتمكنين وكانت هذه الضريبة تختلف من منطقة إلى منطقة حيث تجمع ويستلمها شريف مكّة لكي يرسلها إلى استانبول لدعم المشروع[2]، وفضلاً عن هذا فرضت الحكومة ضرائب على عقود الامتيازات الخاصة باستثمار الثروات المعدنية وعلى بيع الأراضي الأميرية وتحويل تلك الضرائب لصالح المشروع[3].

كما أنّ العسكريين أسهموا أيضاً في تمويل المشروع من خلال عملهم في الخدمة العسكرية فالذي يخدم في المشروع تتقلص مدة خدمته الإلزامية من أربع سنوات إلى ثلاث سنوات وكذلك يمنح بعض الأوسمة[4].

ب ـ مصادر التمويل الخارجية :

كانت هناك مساهمة فعالة من العالم الإسلامي لتمويل

---

(1) الجبوري، المصدر السابق، ص45.
(2) الجبوري، المصدر السابق، ص46.
(3) المقتطف، م29، 1904، ص971.
(4) The Encyclopedia of Islam, P.364.

المشروع من خارج حدود الدولة العثمانية لأنّ المشروع يخدم المسلمين كافة فقد كان لمسلمي الهند الدور البارز في تمويل المشروع إذ شكلت لجنة مركزية في بومباي للتبرّعات كان من بين أعضائها سيد عبد الحق الأزهري إمام جامع المنارة في بومباي وعبد القيوم الحيدرآبادي والصحفي محمد إنشاء الله إذ ألقى عبد الحق الأزهري خطبة أمام حشد كبير من الناس أوضح فيه أهمية هذا المشروع وأنّ السلطان عبد الحميد الثاني هو أمير المؤمنين والمسؤول عن حماية الأماكن المقدسة وأن التبرّع للمشروع يبرهن على مدى محبتكم لله ولرسوله[1]. وعلى الرغم من المعارضة البريطانية للتبرّع للمشروع في الهند إلّا أنّ مجموع ما جمع من الهند بلغ 750000 ليرة عثمانية[2] كما تبرّع شاه إيران بمبلغ (50000) ليرة عثمانية[3].

وحاول مؤسّس الحركة الصهيونية تيدور هرتزل (1860 ـ 1904م) تقديم المساعدة والخدمات المالية للمشروع مقابل حصوله على مكاسب في فلسطين إلّا أنّ السلطان عبد الحميد الثاني رفض ذلك وكان هذا واضحاً عندما أرسل هرتزل برسالة إلى السلطان قال فيها «إننا نعتقد أنّ جلالتكم ما إن تعرفونا المعرفة الصحيحة من خلال الخدمات التي نؤديها حتى تمنحونا

---

(1) جاسم محمد حسن العدول، «دور العراق في إنشاء سكة حديد الحجاز»، مجلة دراسات تاريخية، بغداد، سنة 2، 2001، ع2، ص125؛ الشوابكة، المصدر السابق، ص188.

(2) الشوابكة، المصدر السابق، ص188.

(3) الصلابي، المصدر السابق، ص506.

في المستقبل من تلقاء أنفسكم ما يبدو اليوم أنّه صعب»[1]. ومن الجدير بالذكر أنّ مواطناً نمساوياً تبرّع بمبلغ (1000) ليرة عثمانية للمشروع رغبة منه للحصول على لقب باشا[2].

وقد بلغ مجموع التبرّعات الخارجية (1,127,894) ليرة عثمانية أمّا المجموع الكلي للتبرّعات الخارجية والداخلية فقد بلغت ثلثي الكلفة التقديرية للمشروع التي تتراوح بين (3,5 ـ 4) ملايين ليرة عثمانية وكانت كلفة إنشاء الخط أقل من نظيراتها التي أنشأتها الشركات الأجنبية في الدولة العثمانية والسبب في ذلك سرعة إنجاز الخط واستخدام الجنود في العمل[3].

إكمال الخط الحجازي

كان ابتداء المشروع بتاريخ 31/ أب/ 1901م في الذكرى الخامسة والعشرين لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش[4]. وقد أكمل الخط في 22/ آب/ 1908حينما وصل أول قطار إلى المدينة المنورة قادماً من دمشق[5]. لكن حفل افتتاح

(1) يوميات هرتزل، إعداد أنيس الصايغ، ترجمة هيلدا شعبان صايغ، ط2، (بيروت: 1973م)، ص212.

(2) عوض، المصدر السابق، ص283.

(3) الجبوري، المصدر السابق، ص57.

(4) الهلالي، المصدر السابق، ص43؛ الجبوري، المصدر السابق، ص59.

(5) محمد عبد الباقي عشماوي، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية دمّرته وعربية أيقظته، (القاهرة: 1958م)، ص47؛ أحمد عزت عبد الكريم وآخرون، تاريخ العالم العربي في العصر الحديث، (مصر: د.ت)، ص107.

الخط تأجّل إلى يوم 31/ أب/ 1908 بسبب أنه اليوم الذي يصادف الذكرى الثانية والثلاثين لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني على عرش السلطنة العثمانية[1]. وقد أثنى الشاعر حافظ إبراهيم بقصيدة «تحية الإخلاص» يمدح فيها السلطان عبد الحميد الثاني لمد سكة الحجاز، قائلاً:

أثنى الحجيج عليك والحَرَمانِ — وأجل عيدَ جلوسك الثقلانِ

أرضيتُ ربك إذ جعلت طريقه — أمناً وفزت بنعمة الرضوانِ

وجمعت بالدستور حولك أمةً — شتى المذاهب جمع الأضغانِ[2]

ثالثاً: الصعوبات التي واجهت إنشاء سكة حديد الحجاز:

خلال فترة إنشاء الخط الـ 8 سنوات تعرّض إلى صعوبات كثيرة إلى حين إكماله، وكانت تلك الصعوبات تتمثل بالعوامل المناخية الصعبة ومعارضة بعض الجهات سواءٌ أكانت خارجية أم داخلية.

1 ـ العوامل المناخية:

إذ أدّت دوراً كبيراً في تأخير إنجاز الخط لأنّ بعض المناطق التي يمرّ فيها الخط كانت صحراوية وكانت تتأثّر بخطر الانجراف بسبب السيول الناتجة عن الأمطار الغزيرة في بعض الأحيان كما أنّ الأحجار الصلبة في بعض المناطق كانت عائقاً يصعب إزالتها

---

(1) الجبوري، المصدر السابق، ص71.

(2) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي، ط4، (بيروت: 1967)، ص49.

فضلاً عن بعض الوديان الذي تتطلب إقامة جسور ضخمة لمدّ السكة الحديدية مثل وادي اليرموك[1]، كل هذا عمل على تأخير إنشاء الخط فضلاً عن الحرّ الشديد في الصيف والبرد القارس شتاءً الذي أثّر في العمال الذين يشتغلون في الخط إذ أصيبوا ببعض الأمراض ولم تكن الدولة قد أخذت الترتيبات اللازمة لحماية حياة العمّال وبقيت الحالة هكذا إلى عام 1905 عندما افتتحت الحكومة مستشفى في منطقة معان وذلك لتوفير الخدمات للعاملين في سكة حديد الحجاز[2].

2 ـ المعارضة الداخلية:

أ ـ معارضة القبائل:

إذ عارضت قبائل البدو إنشاء سكّة حديد الحجاز وذلك لأسباب اقتصادية لأنّهم كانوا يؤجّرون الكثير من الجمال في أثناء موسم الحج للحجاج لنقلهم من دمشق إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة وكذلك في العودة وكانوا يجنون أرباحاً طائلة من هذه العملية[3]. لذلك رأوا أن إنشاء الخط يحرمهم من استحصال الأموال وهذا يؤثّر في الحالة المعاشية لهم لذلك كانوا يشنّون الكثير من الغارات على العمّال وقوّات الجيش العثماني الموجود لحراسة الخط[4].

---

(1) المقتطف، م29، 1904، ص971.

(2) الجبوري، المصدر السابق، ص91 ـ 92.

(3) Kocahanoglu, A.G.E. Cit, S206 السعدون، المصدر السابق، ص49

(4) برو، المصدر السابق، ص45؛ المنسي، المصدر السابق، ص67.

كما أنّهم أدركوا أنّ إنشاء الخط سيعمل على سرعة وصول الجنود إلى مناطقهم بعد أن كانوا بعيدين عن قبضة الدولة في السابق[1].

ب ـ موقف الشريف حسين بن علي :

كان موقف الشريف حسين الذي تولّى الشرافة عام 1908 موقفاً معارضاً للخط ولم تكن معارضته لأسباب اقتصادية مثلما عارضته قبائل البدو، لكن أسباب الشريف حسين للمعارضة كانت سياسية[2] إذ كان يرى أنّ إكمال الخط سيفقد التوازن السياسي في الحجاز بين الشريف والوالي العثماني لأنه قبل إنشاء الخط كانت هناك مكانة متميزة للشريف أمّا بعد إنشاء الخط وسهولة وصول القطعات العسكرية إلى تلك المناطق فإن ذلك سيؤدي إلى ضعف هيبة الشريف وتصبح حاله كحال ولاة بقية الولايات الأخرى التي يديرها الوالي العثماني[3].

3 ـ المعارضة الخارجية :

أ ـ المعارضة الفرنسية : عارضت فرنسا إنشاء الخط ذلك لأنّ إكمال الخط الحديدي سيعمل على تهديد مصالحها في مناطق بلاد الشام لقرب الخط منها خاصة وأنّ لها امتيازات في إقامة الخطوط الحديدية في بلاد الشام مثل خط دمشق بيروت ودمشق ـ

---

(1) الشوابكة، المصدر السابق، ص195.
(2) الجبوري، المصدر السابق، ص90 ـ 91.
(3) الشوابكة، المصدر السابق، ص195.

المزيريب[1] لذلك عملت على رفع أجور نقل قضبان الحديد الخاصة لإنشاء الخط عن طريق دمشق - المزيريب وذلك لكي ترهق ميزانية الدولة إلّا أنّ المسؤولين العثمانيين عملوا على التفكير في إنشاء خط فرعي بين حيفا ودرعا لتفادي دفع هذه الأجور العالية. ومن الأساليب الأخرى التي انتهجها الفرنسيون أنّهم عملوا على منع مسلمي إفريقيا من التبرّع للمشروع[2]. وعندما اضطرت الدولة العثمانية إلى الاستدانة من بورصة باريس عام 1912 وضع الفرنسيون شروطاً قاسية كان من ضمنها أن يتولّى أحد الفرنسيين إدارة سكة الحجاز لمدة عشر سنوات إلّا أنّ ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المفاوضات[3].

ب - **المعارضة البريطانية**: كانت لبريطانيا مخاوفها من إنشاء الخط إذ رأت أنّ إنشاء الخط سيهدد

1 - مصالحها في طريق الهند لان طريق السكة قريب من البحر الأحمر.

2 - إنّ زيادة المهندسين الألمان في المشروع يعمل على زيادة

---

(1) سعيد الأفغاني، «قصة الخط الحديدي الحجازي لم تتم فصولاً»، مجلة العربي (الكويت)، ع28، آذار 1982، ص83؛ علي محافظة، العلاقات الألمانية الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1841 - 1945، (بيروت: 1981)، ص126.

(2) الشوابكة، المصدر السابق، ص197.

(3) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، (بيروت: 1960)، ص219.

المصالح الألمانية في الدولة العثمانية والألمان هم المنافسون للمصالح البريطانية[1].

3 - إنّ السلطان عبد الحميد الثاني أراد إيجاد قاعدة استراتيجية مهمة تشرف على قناة السويس والجزيرة العربية ومصر تستطيع من خلالها تهديد الوجود البريطاني في مصر وفعلاً أُنشئت لهذا مدينة بير السبع[2]، وفي أثناء إنشاء سكة حديد الحجاز وبسبب مخاوف بريطانيا منها أرسلت قواتها إلى العقبة عند ذلك ظهرت ما تسمّى بأزمة العقبة[3].

فعندما سمع السلطان عبد الحميد الثاني بتحرك الجنود البريطانيين إلى العقبة أرسل أحد الضباط مع بعض الجنود إلى العقبة مع فرمان سلطاني يطلب فيه أن تخرج الحامية المصرية من تلك المنطقة وتسلّمها إلى العثمانيين لأنّها في الأصل كانت تابعة للدولة العثمانية ووجود المصريين فيها كان فقط لحماية محمل

---

(1) مفيد كاصد الزيدي، «بريطانيا والمشرق العربي في القرن العشرين»، مجلة آفاق عربية، (بغداد)، سنة 13، 1993م، ص18 - 19؛ فاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، (موسكو: 1986)، ص245؛ حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 - 1909، (بيروت: 1978م)، ص168.

(2) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، (استانبول: 1990)، مج2، ص164؛ حرب، العثمانيون في التاريخ، ص41؛ أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، (الرمادي: 1987م)، ص267؛ محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ط4، (دمشق: 1998)، ص51.

(3) özyüksel, A.G.E. S.172

الحج إلّا أنّه بعد افتتاح قناة السويس لا حاجة لتلك الحماية[1] وفعلاً استجابت الحامية المصرية لطلب السلطان وانسحبت من تلك المنطقة عند ذلك شعر السلطان أنه سوف يدخل في مشاكل ومفاوضات مع بريطانيا لذلك أوعز لقواته بالتوجه إلى الداخل والسيطرة على مدينة صغيرة هي منطقة طابا الواقعة غرب ميناء العقبة لتكون موضع المساومة في المفاوضات المتوقعة ونتيجة لهذه الأعمال أرادت بريطانيا أن تستعرض قوّتها أمام السلطان فأرسلت عدة آلاف من الجنود إلى مصر لتعزيز قوّاتها وحركت أسطولها الموجود في البحر الأبيض المتوسط إلى مصر وفي الوقت نفسه ذهب سفير بريطانيا في استانبول لمقابلة السلطان ليخبره بأن يأمر بسحب قواته من تلك المنطقة فرد السلطان عليه «أتريد إنكلترا أن آخذ منها إذناً عندما أرسل حامية إلى بلدة تعود إلى الدولة العثمانية» فسكت السفير الإنكليزي ولم يستطع أن يردّ الجواب[2].

عند ذلك أرسلت بريطانيا للسلطان العثماني إنذاراً تخبره إن لم يسحب قوّاته فإنّها ستشنّ حرباً عليه إلّا أنّ السلطان عبد الحميد رفض الإنذار الإنكليزي وأعلن أنّه يقبل أن يشكّل لجنة من المصريين للتفاوض مع العثمانيين في هذه المشكلة (مشكلة طابا) ولا يتدخل أي انكليزي في المفاوضات[3]. وفعلاً حلت المشكلة

---

(1) محمد علي، المصدر السابق، ص268؛ أحمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن، (مصر: 1936م)، ج2، ص81.

(2) محمد علي، المصدر السابق، ص268.

(3) özyüksel, A.G.E. S.175.

بين ضباط مصريين وعثمانيين بالشكل الآتي أن تبقى العقبة بيد الدولة العثمانية وطابا تبقى بلدة تابعة للمصريين[1].

رابعاً: خدمات أخرى:

كانت للحجاز أهمية ومكانة خاصة لدى السلطان عبد الحميد الثاني، بسبب وجود الكعبة ومسجد الرسول ﷺ، لذلك اهتم في تعمير الأماكن المقدسة فيها. فعندما اقتحم سيل عظيم الكعبة ودخلت المياه إلى المسجد سنة 1861م عمل العثمانيون على إصلاح الضرر الذي حصل جراء ذلك السيل. وقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني عام 1883 بإصلاح بعض مرافق المسجد التي لم تعمر في الفترة السابقة[2].

وكذلك في عام 1883 بعث السيد محمد صادق وهو ضابط ومهندس عثماني تقريراً إلى السلطان عبد الحميد الثاني أوضح فيه الحاجة إلى تعمير الحرم المكي الشريف وإصلاحه، وذلك بسبب تآكل بعض الكتابات القرآنية التي يجب إعادتها. كما أنّ جدران الحرم المكي قد تآكلت نتيجة سقوط طلاء الجدران كما شدد على ضرورة إصلاح الأحجار المفروشة على أرض المطاف[3].

وقد أمر السلطان بإصلاح جميع ما يتعلق بالحرم المكي

---

(1) أوزتونا، المصدر السابق، مج2، ص165.

(2) السباعي، المصدر السابق، ص421 ـ 422؛ الهلالي، المصدر السابق، ص113.

(3) حرب، العثمانيون، ص61 ـ 62.

حسبما جاء بالتقرير، وقد قدرت تكلفة المشروع بـ 2848 ليرة عثمانية[1].

كما أمر السلطان بعد إتمام سكة حديد الحجاز ببناء مسجد المحطة عام 1908 بالقرب من ميدان العنبرية[2].

وكذلك أمر السلطان بإقامة الاحتفالات الدينية في كل مناسبة دينية وخاصة المولد النبوي، إذ أمر بإعطاء 1500 قرش من الخزينة لكل مدرسة دينية وذلك لشراء الهدايا وتوزيعها على الطلبة[3]. كما افتتح مدرسة العشائر في استانبول حيث كانت هذه المدرسة مخصصة لأبناء العشائر العربية. وقد حظي أبناء أشراف الحجاز بهذه العناية من التعليم وكانت مدّة الدراسة في هذه المدارس خمس سنوات يستطيع الطالب بعد إنهاء دراسته فيها الالتحاق بالمدرسة العسكرية العليا ويتخرّج منها وهو يحمل رتبة عليا[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص63.

(2) حافظ، المصدر السابق، ص35.

(3) محمد عبد الرحمن يونس العبيدي، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية 1876 ـ 1909، رسالة ماجستير كلية التربية، جامعة الموصل، 2000، ص73.

(4) الصلابي، المصدر السابق، ص501 ـ 502.

المبحث الثالث

الشريف حسين وعلاقته مع السلطة العثمانية

أ ـ الحسين بن علي حتى تولّيه الشرافة 1908:

مولده ونسبه : ولد الحسين بن علي بن محمد بن عون بن عبد المعين بن أبي نمي سنة 1853م[1] في استانبول خلال إمارة عبد المطلب بن غالب في مكة وكان جد الحسين ووالده ووالدته الشركسية الأصل يقيمون آنذاك في استانبول[2].

وفي الثالثة من عمره عيّن جدّه محمد بن عون للمرة الثانية أميراً على مكة عام 1856 فسافروا إلى الحجاز[3].

نشأته وشبابه : في عام 1858 توفي محمد بن عون، عند ذاك ترك علي بن محمد الحجاز وسافر إلى عاصمة الدولة

---

(1) باوزير، المصدر السابق، ص125.

(2) الوردي، المصدر السابق، ملحق ج6، ص47.

(3) سليمان موسى، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، ط2، (الأردن: 1992)، ص17.

(استانبول) ولم يأخذ معه ولده الحسين، حيث بقي في الحجاز منكبّاً على طلب العلم في مدارس خاصة بالأشراف وذلك بسبب انعدام المدارس المنظمة في الحجاز يومذاك[1]، وكانت تربية الحسين تختلف عن تربية غيره من أبناء الأشراف لأن والده خالف التقاليد التي كانت متبعة في تربية أولادهم إذ لم يبعث به إلى إحدى القبائل المجاورة لمكة ولا علمه تربية البداوة الخالصة التي يتلقى فيها أخلاق البداوة في معيشتهم ويتمرن على ركوب الخيل واحتمال المشاقّ[2] فنشأ حضرياً مدنياً وأولع بالدرس والمطالعة وحفظ مبادئ اللغة العربية وتفقه في فروع الدين وقد رافقه في طلب العلم فتًى مصري الأصل هو ياسين البسيوني الذي أصبح فيما بعد شيخاً وإماماً له[3].

وبعد مدة أصاب والد الحسين مرض وهو في استانبول فسافر الحسين إليه حيث بقي مع والده إلى أن توفي عام 1870م. ثم عاد الحسين إلى مكة وأقام فيها مع عمه أمير مكة الشريف عبد الله باشا بن محمد بن عون، وكان الحسين محبوباً لدى عمه ومقرباً إليه[4]، يعامله معاملة الأب لابنه وكان عمه يرسله إلى بعض المناطق لإنجاز بعض المهام إذ أرسله إلى نجد

---

(1) أسامة يوسف شهاب، الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، (الأردن: 1995)، ص43.

(2) نضال داود المومني، الشريف حسين بن علي والخلافة، (الأردن: 1996)، ص19.

(3) موسى، الحسين، ص17.

(4) غرايبة، مقدمة، ج1، ص323.

وطاف شرق الحجاز كلّه تقريباً وعرف قبائل تلك المناطق وعشائرها[1].

واستطاع أن يتعرّف على أحوال البدو وكيف يعيشون فعرف ذلك في شبابه وليس في صغره كغيره من أولاد الأشراف وصارت الصلة دائمة بين إمارة مكة والقبائل الحجازية وغيرها[2]. وزوّجه عمه من ابنته عابدية وهو في شبابه عام 1875م وأنجبت له كلّاً من علي وعبد الله وفيصل[3].

وفي عام 1877 توفي الشريف عبد الله وتولّى الإمارة أخوه الشريف حسين باشا الذي قتل عام 1880 على يد رجل أفغاني الأصل[4]. وعيّن آنذاك الشريف عبد المطلب بن غالب للمرة الثانية أي إنّ الشرافة انتقلت من آل عون إلى آل زيد وقد ذهب وفد من آل عون إلى استانبول كان من ضمنهم الحسين بن علي للتفاوض بشأن إرجاع الشرافة إليهم إلّا أنّهم فشلوا في ذلك عام 1881م[5]. لكن في عام 1882م جاءت الأوامر من الباب العالي بإخراج الشريف عبد المطلب بن غالب من منصب الشرافة بسبب استبداده في الأمور وإمعانه في القسوة، وإرجاع الشرافة إلى آل عون في

---

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام، ط2، (د.م: د.ت)، ج2، ص271.
(2) المومني، المصدر السابق، ص20.
(3) الفواز، المصدر السابق، ص61.
(4) البتنوني، المصدر السابق، ص79.
(5) الوردي، المصدر السابق، ملحق ج6، ص48.

شخص الشريف عون الرفيق(1882 ـ 1905) عم الحسين بن علي[1].

بعد أن استلم عون الرفيق الشرافة عام 1882 ساد الحجاز فقدان الأمن وسوء الإدارة وانتشار الفوضى والفتن وانتشار الرشوة وأهمل البادية وضجر الناس من سوء إدارته[2]. ونتيجة لهذه الأعمال أعلن الحسين بن علي معارضته لسياسة عمه في إدارة الحجاز وفترت العلاقات بين الحسين وعمه لأنّ (عون الرفيق) لم ترق له تصرفات ابن أخيه لذلك شكاه إلى السلطان عبد الحميد الثاني عام 1893 هادفاً إزاحته عن الحجاز لأنّه يسبب المتاعب له في الحجاز ويخشى أن تعمّ الفوضى لو بقي الحسين في الحجاز[3].

كما أخذ بعض الجواسيس يرسلون إلى الباب العالي برسائل يقولون فيها إنّ الحسين خطر على البلاد وأنه يطمع بالشرافة[4].

ب ـ علاقته مع السلطان عبد الحميد الثاني:

بعد أن أرسل الجواسيس إلى السلطان عبد الحميد الثاني برسائل يخبرونه بأنّ الحسين بن علي خطر على الحجاز وعلى السلطنة أمر السلطان باستدعائه إلى العاصمة وكان ذلك عام

(1) الفواز، المصدر السابق، ص46.
(2) موسى، الحسين، ص20.
(3) أنطونيوس، المصدر السابق، ص140.
(4) وهبة، المصدر السابق، ص152.

1891م[1]. وقد امتثل الحسين لأمر السلطان وسافر إلى استانبول ولم يكن حديث عهد بها ذلك أنّه وُلد فيها ودرس في بعض مدارسها وقد ذهب إليها في أوقات أخرى لكن هذه المرة جاءها مكرهاً وقد ناهز الأربعين عاماً[2]. وقد ذكر ابنه عبد الله «ولقد كانت إقامتنا باستانبول إقامة جبر وإكراه»[3].

ما إن وصل الحسين حتى قابل السلطان عبد الحميد الثاني وقال له السلطان «إنما طلبتك لتكون إلى جانبي» وعينه عضواً في شورى الدولة[4]. وبعد سنة واحدة من سفر الحسين إلى استانبول لحقت به عائلته وأسكنهم السلطان في قصر على البسفور[5]. وخلال إقامة الشريف الحسين الطويلة في إستانبول (1891 ـ 1908) لم يجد السلطان عليه مأخذاً وكان مواطناً مثالياً لم يعرف عنه تطرف سياسي أو قومي، وكان موضع احترام الكثير من العرب والترك. كما أنّ الحسين اتصل آنذاك ببعض الأوروبيين وكانت الدولة العثمانية منشغلة ببعض المشكلات لذلك لم تُبدِ أهمية لهذه الاتصالات[6].

وربما يجدر بنا أن نذكر أنّ زوجة الحسين عابدية قد توفيت

---

(1) الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص271.

(2) موسى، الحسين، ص22.

(3) عبد الله بن الحسين، مذكرات الملك عبد الله، ط4، (الكويت: 1965)، ص23.

(4) دحلان، أمراء البلد، ص383.

(5) شهاب، المصدر السابق، ص56.

(6) المومني، المصدر السابق، ص26.

عام 1887م فبقي بضعة سنوات من دون زواج ثم تزوّج بعد ذهابه إلى استانبول من شركسية اسمها مديحة أنجبت له ابنته صالحة ولكن هذا الزواج لم يدم طويلاً فتزوّج من عادلة خانم عام 1897 حفيدة رشيد باشا الكبير الذي تولّى منصب الصدر الأعظم وأنجبت له عادلة خانم زيداً وابنتين فاطمة وسرة[1].

تعيينه أميراً على الحجاز:

بعد وفاة الشريف عون الرفيق عام 1905 تولّى الإمارة الشريف علي باشا بعد منافسة من عبد الإله بن محمد وعلي حيدر وحسين بن علي إلّا أنّ السلطان أرسل الفرمان بتعيين علي باشا وقد بقي في منصبه حتى عام 1908 عندما أعيد العمل بالدستور[2] إذ هرب إلى مصر كلاجئ سياسي لأنّه توقّع أنّ الاتحاديين سينتقمون منه لأنّه كان ذا صلة قوية مع السلطان عبد الحميد الثاني كما أنّه تأخر في إعلان الدستور في الحجاز وصدر أمر بعزله وقد بقي في مصر حتى وفاته عام 1941[3]. بعد ذلك أصبح منصب الشرافة شاغراً وصدر أمر بتعيين عبد الإله بن محمد الذي كان يقيم في استانبول إلّا أنّه مات وهو يتجهّز للسفر إلى الحجاز[4].

عند ذلك أصبح الصراع على منصب الشرافة بين الحسين بن

---

(1) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج1، (بيروت: 1929)، ص55.
(2) Al -Amr, Op. Cit., P.132.
(3) أنيس صايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، (بيروت: 1966)، ص34.
(4) موسى، الحسين، ص25.

علي وعلي حيدر بن جابر من آل زيد وكان الاتحاديون في البداية يميلون إلى تعيين علي حيدر لكن بعد ذلك ولسببين فضلوا الحسين بن علي أن يصبح أميراً على الحجاز[1]. والسببان هما:

أولاً: الوعود الكثيرة التي قالها الحسين في سبيل خدمة الدولة وخاصة مقاومة الأمراء الثائرين في اليمن ونجد وعسير.

ثانياً: أنّ الاتحاديين أدركوا أنّهم بحاجة إلى أمير عربي قوي يبطش لهم بالمعارضين في شبه الجزيرة العربية وبسبب ما قدمه الشريف حسين من وعود وجدوا فيه الشخص المناسب[2].

وهناك رأي آخر يقول إنّ الاتحاديين أرادوا تعيين علي حيدر لكنهم فشلوا لأن الحسين سعى لدى السلطان وربما جاء تعيينه بترشيح من الصدر الأعظم كامل باشا الذي وصف بأنّه ذو صلة قوية مع البريطانيين وأنّه أخذ بنصيحتهم لتعيين الحسين[3].

وقد قدّم الحسين من خلال ابنه عبد الله مذكرة إلى السلطان ومن خلال الصدر الأعظم كامل باشا جاء فيها «بناء على وفاة عمي الشريف عبد الإله بن محمد أمير مكة وبعد عزل ابن عمي الشريف علي بن عبد الله بن محمد وخلو مقام الإمارة ولكوني أسنّ العائلة الهاشمية وأحقها بمقام الآباء أسترحم جلالة السلطان أن يتكرّم بإيصالي إلى حقّي الذي لا يخفى على

---

(1) صايغ، الهاشميون، ص37.

(2) حراز، المصدر السابق، ص125.

(3) Al- Amr, Op. Cit., P.134.

جلالته مع صداقتي وإخلاصي»[1]. سلّم الأمير عبد الله المذكرة إلى الصدر الأعظم كامل باشا الذي وعده خيراً. وبعدها خرج عبد الله وأخبر والده بما جرى وللتأكيد كتب عبد الله على لسان والده برقية إلى مقام السلطنة قال فيها «نظراً لشغور مقام الإمارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحقّ فإنني انتظر من الأعطاف السنية السلطانية عدم حرماني من حقّي وتعييني في مقام آبائي» وعنونها بثلاثة عناوين للعرض على السلطان بواسطة الصدارة العظمى ومشيخة الإسلام العليا ورئيس كتاب القصر السلطاني[2].

وقد استدعي الحسين بن علي لمقابلة السلطان عبد الحميد الثاني وتمّت المقابلة التي أدّت إلى تعيينه أميراً على مكة وقد أصدر السلطان فرماناً بتعيينه وفرماناً آخر بمنح الحسين رتبة الوزارة وأرخ في تشرين الثاني 1908[3].

وربما يكون تعيين الشريف حسين من الاتحاديين الذين كانوا يملكون زمام السلطة خاصة بعد الوعود التي قالها. وبعد تعيين الحسين شريفاً تجهز للسفر إلى الحجاز على الباخرة (طنطا) وعندما وصل إلى بيروت أجرت معه جريدة الاتحاد العثماني لقاءً أوضح فيه أنّه سيعمل على إجراء إصلاحات وإحلال الأمن وأبدى معارضته لفرض الضرائب على القبور

---

(1) حراز، المصدر السابق، ص124.
(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص25.
(3) المومني، المصدر السابق، ص31.

واعتبرها استبداداً ووصل إلى جدّة يوم الخميس في تشرين الثاني عام 1908[1].

ج - علاقته مع الاتحاديين:

استلم جماعة حزب الاتحاد والترقي السلطة في الدولة العثمانية بعد انقلابهم عام 1908 حيث أرسلوا في 22 تموز من العام نفسه برقية إلى السلطان عبد الحميد الثاني يطلبون إعادة العمل بالدستور وقد وافق السلطان على إعادة الدستور بعد مناقشته بهذا الأمر مع سعيد باشا الصدر الأعظم السابق الذي كان يلقب بسعيد الصغير (كوجك سعيد)[2].

وقد افتتح السلطان عبد الحميد الثاني البرلمان في 17 كانون الأول 1908 وحضر الجلسة كبار رجال الدولة وكبار علماء الدين[3]، وكان أعضاء جمعية الاتحاد والترقي مسيطرين على المجلس منذ بدايته وصارت لهم الكلمة الأولى في البلاد[4].

وعندما وصل الشريف حسين إلى جدّة استقبله أشراف الحجاز ومشايخ القبائل[5] كما أنّ حزب الاتحاد والترقي بجدة شكّل وفداً للسلام على الشريف حسين برئاسة عبد الله القاسم

---

(1) المصدر نفسه، ص32.

(2) أرسلان، المصدر السابق، ص329.

(3) وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، (الأردن: 2003)، ص309.

(4) لبيب، المصدر السابق، ص99.

(5) موسى، الحسين، ص29.

الذي قال للشريف «جئنا نرحب بالأمير الدستوري الذي يؤمل من سيادته أن يضرب صفحاً عن الأحوال الإدارية القديمة وعن الظلم الذي كان يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي تبعاً للإدارة المستبدّة وإرضاءً للسلطان وإن البلاد إذ تحيّي سيادة الأمير فإنّها تحيّي فيه الأمير الذي عرف روح العصر والتجدّد المطلوب للعمل تحت الدستور الذي هو نبراس السلامة»[1]، وردّ الشريف عليه قائلاً: «حقّاً لقد حظيت بمقام أسلافي وآبائي على الشريطة التي بايع بها الشريف أبو نمي السلطان سليم الأول وأنّ هذه بلاد الله لا تقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي حريصة على الاحتفاظ بحقّها»[2]. وقد كان هذا الردّ صفعة في وجه الاتحاديين وبداية الخلاف بين الطرفين[3].

أظهر الشريف ومنذ وصوله الحجاز نزعته المعارضة للسياسة المركزية التي هدف الاتحاديون إلى تطبيقها في الحجاز كغيره من الولايات الأخرى وسعى لتثبيت مركزه في البلاد[4]. وقد بدأ عمله بوضع حدّ لتدخل أنصار الاتحاديين في مكة وشؤونها لأنهم كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في الحجاز، وأراد أنصار الاتحاديين التخلّص من الشريف باستغلال مناسبة الحج في مهاجمة الشريف حسين من

(1) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص40.

(2) موسى، الحسين، ص28.

(3) غرايبة، مقدمة، ص324.

(4) محمد أنيس ورجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، (القاهرة: 1967)، ص208.

خلال أمير الحج الشامي عبد الرحمن باشا اليوسف[1]. الذي أوضح عام 1909 أنّ الطريق البرّي بين المدينة المنوّرة ودمشق ليست آمنة وأنّه يخاف من اعتداء القبائل عليهم لذلك أراد العودة بمحمل الشام عن طريق البحر من جدّة إلى سواحل الشام[2]. إلّا أنّ الشريف حسين رفض هذا الأمر لأنّ ذلك يعني عجزه عن توفير الأمن والهدوء في الحجاز وهذا يعني إساءة لمقام الشريف لذلك تعهد بتأمين وصول الحجاج برّاً عن طريق المدينة المنورة ـ دمشق لكن الأمير عبد الرحمن باشا اليوسف وأعوانه رفضوا العودة برّاً وعادوا عن طريق البحر[3]. أمّا بالنسبة للمحمل الشامي فقد أوكل الشريف حسين أخاه الشريف ناصر وابنه عبد الله لإيصال الحجيج من مكة إلى المدينة المنوّرة ودمشق وبهذه العملية أعطى الشريف حسين برهاناً على قدرته وسطوته على القبائل[4].

فشلت مساعي الاتحاديين ضدّ الشريف حسين، إلّا أنّ قيام الاتحاديين بخلع السلطان عبد الحميد الثاني بعد اتهامه بالثورة المضادة[*] عام 1909، أدّى إلى تأزم العلاقة بشكل أكبر بين

---

(1) شهاب، المصدر السابق، ص118.
(2) غرايبة، مقدمة، ص325.
(3) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج1، (القاهرة: 1934)، ص104.
(4) شهاب المصدر السابق، ص118.
(*) هي الثورة التي أقامها في 9 نيسان عام 1909 أنصار السلطان عبد الحميد الثاني والكثيرون من الشباب وعلماء الدين بقيادة درويش وحدتي وطالبوا بإعادة حكم الشريعة وطرد الاتحاديين من الحكم. واجتمع مجلس المبعوثان وكانوا موافقين على هذه المطالب إلّا أن وصول محمود شوكت مع جنود من سلانيك ودخول =

الطرفين، إذ كان الشريف حسين معجباً بالسلطان عبد الحميد الثاني[1].

وبعد ذلك قام الاتحاديون بفصل المدينة المنورة عن الحجاز محاولة منهم لإضعاف مكانة الشريف إذ وردت الكثير من البرقيات على الشريف حسين بن علي من الأطراف المتعاونة معه بالمدينة المنورة يخبرونه بأنّ متصرف المدينة علي رضا باشا الركابي أقام حفلة كبيرة وأنبأ بأنّه لا صفة لك بعد الآن لذلك كتب عبد الله بن الحسين للصدر الأعظم إبراهيم حقي باشا يسأله عن مسؤوليات الإمارة فيما بعد عن قوافل الحجاج والزوّار هل هي كما كانت؟ كما قابل عبد الله والي الحجاز كامل بك واستفسر منه عن مسألة فصل المدينة عن الحجاز وهل هذا يعني أنّ مسؤوليات الإمارة في المدينة قد أُلغيت[2]. فردّ عليه الوالي إنّ الفصل هو رسمي وأظهر له برقية الصدر الأعظم وقال له الوالي إنّ الأمر اتّخذ بدون علمي، وبعد هذه المقابلة بين عبد الله بن الحسين والوالي بساعتين وصلت برقية من الصدر الأعظم إلى الأمير عبد الله يخبره فيها أنّ ربط المدينة بمركز السلطة بالخطوط التلغرافية وسكك الحديد

= العاصمة وتهديد السلطان أدّى إلى انتصار جماعة الاتحاد والترقي مرة أخرى على السلطان. وقد سميت هذه الثورة كذلك بالثورة الارتجاعية. انظر أرسلان، المصدر السابق، ص334 ـ 337؛ يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد حرب، (القاهرة: 1995)، ص138؛ لبيب، المصدر السابق، ص99.

(1) المؤمني، المصدر السابق، ص51.

(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص53.

يؤمّن السرعة في الاتصال والمخابرات ونتيجة لهذا أصبحت المدينة مربوطة بوزارة الداخلية متصرفية مستقلة أمّا التبعات الجليلة وحقوقها فيها فهي كما كانت من مكة المكرمة[1].

ونتيجة لهذا العمل أي الفصل أصبح الشريف حسين مسؤولاً عن الحجاج في مكة أمّا بالنسبة لزيارة الحجاج لقبر الرسول ﷺ فهي من صلاحية الحكومة العثمانية[2].

ومن الإجراءات الأخرى التي اتّخذها الاتحاديون للتعبير عن معارضتهم للشريف حسين أنّهم عندما انتخب عبد الله بن الحسين[3] والشيخ حسن الشيبة نائبين عن مكة في مجلس المبعوثان العثماني عام 1908. رفعت جماعة الاتحاد والترقي برقيات إلى المجلس ينكرون انتخاب هذين الشخصين ويتهمونهما بان عبد الله لم يكن راشداً وأن الشيخ حسن الشيبة لا يعرف القراءة والكتابة بالعربية والتركية إلّا أنّ مسعاهم فشل ولم يؤثر ذلك في سير الانتخابات[4].

---

(1) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص53.

(2) الوردي، المصدر السابق، ملحق ج6، ص55.

(3) أحمد بن محمد صالح الحسيني البرادعي، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، (د.م: 1972)، ص137.

(4) الوردي، المصدر السابق، ملحق ج6، ص55. ومن الجدير بالذكر انه سبق أن جرت الانتخابات في عام 1877 مرتين وكان نائبا الحجاز في المرة الأولى أحمد أفندي وعبد الله أفندي ثم توقفت الانتخابات وعادت عام 1908 وانتخب عبد الله بن الحسين وحسن الشيبة ثم جرت انتخابات عامي 1912 و1914 وانتخب عن الحجاز عبد الله بن الحسين وأخوه فيصل بن الحسين، =

كما أنّ الاتحاديين عندما عينوا فؤاد باشا عام 1909 والياً على الحجاز طلبوا منه أن يدخل في صراعات مع الشريف حسين حيث قام فؤاد باشا باتّهام أقرباء الشريف حسين في الطائف بمحاولة تدبير ثورة ضد الحكومة مما دفع الشريف حسين إلى إرسال برقية استنكر فيها هذا الاتهام الذي لا يتعدى أكثر من إشاعة اتخذها الوالي لإحداث فتنة في الحجاز ونتيجة لهذا أرسلت الحكومة في طلب الوالي وقائد الجندرمة. وفي نهاية عام 1909 ازداد استياء الشريف من الوالي فؤاد باشا لذلك أرسل بشكوى للحكومة ثم على أثرها عزل الوالي من ولايته[1].

= للتفاصيل انظر: عصمت برهان الدين عبد القادر، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني (1908 ـ 1914)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ص49 ـ 97.

(1) المؤمني، المصدر السابق، ص52.

المبحث الرابع

الشريف حسين ونزاع النفوذ والسيطرة

على الرغم من الخلافات بين الدولة العثمانية والشريف حسين إلّا أنّه عمل على تلبية طلبات الحكومة العثمانية وتنفيذ أوامرها، خاصة في تأديب بعض القبائل التي تسعى للخروج على الدولة، وكذلك المناطق المجاورة للحجاز التي حاولت التمرد على الدولة. لذلك عندما أرسلت الحكومة إلى الشريف حسين تطلب منه التصدي لهذه الحركات والتمرّدات لبّى طلب الحكومة وحرّك قوّاته لمواجهة هؤلاء[1].

1 ـ نزاعه مع ابن سعود 1910:

بعد أن احتلّ ابن سعود حاكم نجد منطقة عتيبة أرسلت الحكومة العثمانية إلى الشريف حسين تطلب منه أن يوقف ابن سعود عند حدّه[2]. لذلك جهز الشريف حسين حملة عام 1910 لمواجهة ابن سعود، وقد انتصرت قوات الشريف على ابن سعود

(1) D. Howarth, The desert king, (London: 1964), P.22.

(2) Ibid, P.22.

وأسر شقيقه سعداً، مما اضطر ابن سعود للموافقة على إعطاء وثيقة خطية للشريف تتضمن اعترافه بسيادة الدولة العثمانية، واعترافه كذلك بأن منطقة عتيبة تابعة للشريف مقابل فك أسر أخيه سعد[1]. ويرى أحد المؤرخين أنّ الشريف حسين جهز الحملة ضد ابن سعود من تلقاء نفسه وليس بطلب من الحكومة العثمانية، لأن الشريف حسين أراد أن ينتصر على ابن سعود لكي يبيّن للحكومة العثمانية والاتحاديين أنّه سيّد تلك المنطقة، وأنّه بجيشه الصغير يستطيع أن يحقق ما لم تستطع جيوش العثمانيين تحقيقه في تلك المناطق. وجاء حصوله على الوثيقة من ابن سعود ليؤكد غايته في إظهار نفسه سيداً لتلك المنطقة أمام الاتحاديين[2].

2 ـ الشريف حسين وثورة الإمام يحيى في اليمن 1911:

عندما قام الإمام يحيى بالثورة في اليمن ضد الحكومة العثمانية استشارت الحكومة العثمانية الشريف حسين بشأن قيام الثورة في اليمن فنصحهم الشريف بأن لا يدخلوا بحرب مع الإمام يحيى وأن يتفقوا معه على الصلح وعلى الشروط التي تكون مقبولة لديه لكي لا يواجهوا ثورات أخرى في المستقبل[3]. وبعد استعدادت الدولة العثمانية وتجهيز حملة بقيادة عزت باشا والتوجه

---

(1) كنت وليمز، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، تعريب صموئيل مسيحة، (بيروت: 1934)، ص60 ـ 61.

(2) جبار يحيى عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل 1832 ـ 1921، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، (1987)، ص123.

(3) أباظة، المصدر السابق، ص246 ـ 247.

إلى اليمن[1]، كتب الشريف حسين رسالة إلى السلطان أحمد الفضيلي سلطان لحج، لما له من صلة وصداقة مع الإمام يحيى، في آذار عام 1911 يخبره بعزم الحكومة العثمانية على استعمال القوة تجاه الإمام يحيى، وطلب منه أن يتصل بالإمام يحيى ويخبره بعدم التمادي في معاداة الدولة فأجابه السلطان بأنّه على استعداد للقيام بهذه المهمة[2]. كما كتب الشريف حسين في الوقت نفسه إلى الإمام يحيى باسم الرابطة الإسلامية يطلب منه أن يتفق مع الدولة العثمانية. وأخبره عن ضخامة جيش عزت باشا[3]. ونتيجة لهذه الرسائل التي أرسلها الشريف حسين إلى هذه الأطراف ولعوامل أخرى اتفق الطرفان الدولة العثمانية والإمام يحيى على عقد اتفاقية حيث توجه عزت باشا نحو قرية دعان للقاء الإمام يحيى أو توقيع الاتفاقية الذي تمّ في 19 تشرين الأول 1911م، وعرفت باتفاقية دعان وأمدها عشر سنوات[4].

---

(1) للتفاصيل انظر هند فخري سعيد المولى، اليمن في عهد حكم الاتحاديين 1908 - 1918 دراسة في أوضاعها الإدارية والسياسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، (2004)، ص136 - 160.

(2) منسي، المصدر السابق، ص163. المولى، المصدر السابق، ص157.

(3) هارولد يعقوب، ملوك شبه الجزيرة العربية ترجمة أحمد المضواحي، (بيروت: 1983)، ص145.

(4) المولى، المصدر السابق، ص158. للتفاصيل عن بنود الاتفاقية انظر محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، (القاهرة: 1976)، ص359 - 360؛ عبد الواسع يحيى الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، (القاهرة: 1927)، ص236 - 238؛ أمين سعيد، ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، (القاهرة: 1934)، ص177؛ السيد مصطفى سالم، =

3 ـ الشريف حسين وثورة الإمام محمد الإدريسي في عسير 1910:

استطاع محمد الإدريسي أمير عسير أن يجمع حوله القبائل وأن يتحصّن في منطقة أبها عاصمة عسير، وأن ينتهز فرصة وقوع الانقلاب العثماني عام 1908 وإعلان الدستور[1] وانشغال الدولة بالحالة السياسية آنذاك، حيث كان الاتحاديون آنذاك في صراع حزبي وتنافس مع الائتلافيين فلم تكن أمور عسير مثلاً ذات أهمية لتشغلهم[2]. وانتهز محمد الإدريسي هذه الظروف ليعلن انفصاله عن الدولة[3]. رأت الدولة العثمانية أمام ازدياد خطر الإدريسي أنها غير قادرة على القضاء عليه وأنّه من الضروري إدخال طرف ثالث تكون له القدرة والرغبة الفعلية للقيام بهذه المهمة، فوقع الاختيار على الشريف حسين وقد جاء هذا الاختيار على وفق عدة أمور[4] منها أنّه على الرغم من أنّ الشريف حسين كان ينظر إلى محمد الإدريسي في بداية ظهوره نظرة تجاهل وأنّه سينتهي سريعاً إلّا أنّ الأيام أثبتت عكس ذلك، حيث توجه مصطفى الإدريسي ـ أخو محمد الإدريسي ـ إلى جهات قبائل عسير الخاضعة لأشراف الحجاز[5] فأخضع

= تكوين اليمن الحديث والإمام يحيى 1904 ـ 1948، (القاهرة: 1963)، ص495 ـ 497.

(1) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2، ج2، (الرياض: 1982)، ص91. للتفاصيل انظر: المولى، المصدر السابق، ص142 ـ 152.

(2) Feroz, Ahmed, The Young Turks, (London: 1969), P.P.65 - 67.

(3) العقيلي، المصدر السابق، ج2، ص91.

(4) يعقوب، المصدر السابق، ص80.

(5) D. G. Hogarth, Arabia, (Oxford, 1922), P.121.

قبيلتي (غامد وزهران) التابعتين في الأمور القضائية لشريف مكة. كما عمل على جمع الزكاة من قبيلة (ليث) التي هي جزء من الحجاز، لكنه تراجع بعد ذلك أمام نفوذ الشريف الذي لم يكن مستعدّاً له إلّا أنّ الاعتداء حصل وهو أمر لا يفوته الشريف[1].

وجد الشريف في هذا الاعتداء فرصته الذهبية لتوسيع نفوذه، تجاه عسير وكسب ثقة الحكومة العثمانية وأخذ على أثر ذلك يرسل للحكومة العثمانية في استانبول يخبرهم عن تعدّي الإدريسي على مناطق نفوذه وأنّ هذا الأمر سيؤدي إلى مشاكل في الجزيرة العربية إلّا أنّ الحكومة تجاهلت هذه الأمور في البداية[2] نتيجة لاستماعها لدسائس والي الحجاز وهيب باشا الذي كان على خلاف مع الشريف حسين الذي قال: إنّ الشريف يريد توسيع مناطق نفوذه[3]. إلّا أنّه وبعد تأزّم الأمور أرسلت الحكومة العثمانية لعزت باشا قائد القوات العثمانية في اليمن تسأله عن الوضع، وأكّد عزت باشا أن الشريف حسين على حق فيما قاله وأنّ محمداً الإدريسي اعتدى على مناطق نفوذ الشريف، لذلك تعززت ثقة الحكومة بالشريف حسين وأصدرت له أوامرها بالسير لقتال الإدريسي وفك الحصار عن أبها واستجاب الشريف لأوامر الباب العالي وبدأ بالتنسيق مع قواتهم[4].

---

(1) رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة المنار، تقديم وجيه كوثراني، (بيروت: 1986)، ص266.

(2) شريف عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، ط2، (دمشق: 1964)، ص11.

(3) باشا، المصدر السابق، ج3، ص62.

(4) يعقوب، المصدر السابق، ص80.

في بداية الأمر أرسل الشريف حسين بعض الرسل للتفاهم مع الإدريسي ووعده بتنفيذ مطالبه إلّا أنّ الإدريسي رفض ذلك[1]. بعد ذلك جهز الشريف حسين حملة إلى عسير لفك الحصار عن مدينة أبها حيث توجد بعض القوات العثمانية المحاصرة هناك وقد أرسل إلى ولديه فيصل وعبد الله للحاق بالحملة. وقد تحركت الحملة في 16 نيسان عام 1911 من مكة مؤلفة من 5000 رجل من قبيلتي عقيل وبيشا والجندرمة و150 من البدو واستأجروا 1500 جمل للحمولة مع رجالهم المسلحين[2]. وما إن وصلت الحملة عند القنفذة في 13 أيار 1911 حتى تحرك الجيش العثماني المرابط بقيادة نشأت باشا والتقيا في وادي العين وتقدما إلى منطقة القوز، وتوافد الكثير من القبائل وأعلنت طاعتها للشريف إلّا قبيلة خرشان التي كان زعيمها ابن خرشان أحد قادة الإدريسي في القوز ومعه عشائر تهامة[3]. وقد توجهت القوات العثمانية وقوات الشريف لقتال الإدريسي. وكان العثمانيون قد وعدوا فيصل بأن يسلّموه عسير إن استطاع القضاء على ثورة الإدريسي وقد استطاعت هذه القوات فك الحصار عن أبها في تموز وأن تستولي على القنفذة، وتوقفت بعد ذلك بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة وقلة المياه وانتشار الأوبئة حيث أصيب فيصل بالحمى[4].

---

(1) سعد كاظم حسن، الملك فيصل الأول ودوره في الثورة العربية، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد)، معهد البحوث والدراسات العربية، 1988، ص33.

(2) المولى، المصدر السابق، ص150.

(3) Al - Amr, Op. Cit., P.151.

(4) موسى، الحسين، ص31.

وكان الشريف حسين قد ألقى خطبة في مدينة أبها بعد فك حصارها، إذ صادف عيد الدستور في 24 تموز وكذلك صادف في هذا اليوم نفسه مولد النبي محمد ﷺ، إذ قال للناس: إنه لولا الدولة العثمانية وخلفاؤها وحبهم للإسلام لاحتلت الدولة الأجنبية بلادكم كخطف الذئب للغنم[1]. وكانت الخطة بعد ذلك مطاردة محمد الإدريسي الذي انسحب إلى منطقة ضبيا، إلّا أنّ الشريف لم يتوجه إليها وذلك بسبب وقوع خلاف بينه وبين المتصرف سليمان باشا الذي رأى أنّ الشريف حسين بعد انتصاره يعين من يشاء في المناصب وكأنه الحاكم. لذلك وجد سليمان باشا أنّ هذا العمل تعدٍّ على صلاحياته لذلك عمل الشريف حسين بعد خمسة عشر يوماً من فك الحصار عن أبها على العودة إلى مكة[2]. وكان من الأمور الأخرى لمغادرته عسير هو ما شاهده من الفظائع التي ارتكبها الجنود العثمانيون بحق الثائرين مما ترك انطباعاً سيئاً في نفس الشريف ضد الدولة العثمانية[3]. وأشيع في الحجاز أن الجيش العثماني قد هزم في عسير، وأن الشريف حسين قتل وكان وراء هذه الإشاعة الشريف ناصر بن محسن من بني غالب. وقد بلغ ذلك الشريف حسين لذلك عندما وصل إلى الطائف جاءه الوالي حازم بك على رأس وفد لاستقباله وكان من ضمنهم الشريف ناصر وعندما شاهده الشريف حسين أمر بإخراجه فأجابه

---

(1) الوردي، المصدر السابق، ملحق ج6، ص60.

(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص70.

(3) سعيد، الثورة، ج3، ص150.

الوالي: «أنّه جاء معي أجابه الشريف حسين وإن كان قد جاء معك فقال الوالي: أنا ممثّل السلطان وهذه المعاملة تحقير للسلطان نفسه. فأجابه على الفور هل تركتم ناحية من السلطان لم تحقّروها؟ أنا ممثّل السلطان هنا لا أنتم»[1]، وبعد ثلاثة أيام وردت برقية من الصدر الأعظم تأمر الشريف حسين بالاعتذار عن قضية الشريف ناصر، إلّا أنّ الشريف أرسل رسالة يوضح فيها أنّ ناصراً كان قد نشر إشاعة ربما أراد منها خلق ثورة[2]. لكن الباب العالي لم يقتنع برأي الحسين وأرسل له بأن ينفذ الأوامر وأن لا يعصي الأوامر السلطانية[3]. إلّا أنّ الشريف بقي على موقفه وبقيت القطيعة بين الباب العالي والشريف حسين طيلة شهر رمضان. وفي ليلة العيد جاء قائد الجندرمة عثمان بك لزيارة الأمير علي بن الحسين وأخبره بأنّ الوالي حازم بك أمر بزيارة الشريف حسين والاعتذار له وقد تمّ ذلك[4].

تدهور علاقته مع الاتحاديين:

تدهورت علاقة الاتحاديين مع الشريف حسين كثيراً خاصة بعد حرب البلقان[*] عام 1912 فبسبب مكانة الشريف حسين

---

(1) الفواز، المصدر السابق، ص87.

(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص71.

(3) الفواز، المصدر السابق، ص88.

(4) الوردي، المصدر السابق، ملحق ج6، ص63.

(*) هي الحرب التي وقعت بين الدولة العثمانية ودول البلقان (اليونان وبلغاريا وصربيا والجبل الأسود) في الثامن عشر من تشرين الأول عام 1912 وقد هزم العثمانيون فيها، وفقدوا الكثير من المناطق حتى اضطروا إلى طلب =

وكسبه تأييد الناس وطموحاته، توجس الاتحاديون خيفة من طموحاته، لذلك اتجهت رغبة الاتحاديين إلى إلغاء الشرافة في الحجاز للتخلص من هذه القوة العربية التي لها نفوذ كبير[1].

وفي نهاية عام 1913 وقع اختيار الاتحاديين على ضابط ألباني الأصل من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ليكون والياً على الحجاز وهو وهيب باشا، المعروف بشدته وصلابته وحبه لتنفيذ وتطبيق مبادئ الاتحاد والترقي. كما أنه زود بقوة عسكرية تتألف من سبع كتائب مشاة وكتيبة واحدة من المدفعية[2]. وكان الغرض من إرساله إلى الحجاز هو إضعاف نفوذ الشريف حسين والقبض عليه

= الهدنة في كانون الأول 1912. وقد تدخلت الدول الأوروبية وعقد مؤتمر لندن وقد تمادت دول البلقان في طلباتها، وحدث آنذاك تغير في الحكومة في استانبول إذ تولّى أنور باشا الحكم ورفض التخلّي عن الأراضي التابعة للدولة لذلك تجددت الحرب في كانون الثاني 1913. وفقدت الدولة كذلك مناطق كثيرة. ثم عقد مؤتمر لندن في عام 1913 وتم الصلح على حساب الدولة العثمانية التي تخلت عن كل المناطق الواقعة غرب أينوس على بحر إيجة وميديا على البحر الأسود، لمزيد من التفاصيل انظر سلطان، المصدر السابق، ص368 ـ 369؛ فيروز أحمد، صنع تركيا الحديثة، ترجمة سلمان داود الواسطي وحمدي حميد الدوري، (بغداد: 2000)، ص91 ـ 92؛ عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة 1815 ـ 1960، (بيروت: 1974)، ص150 ـ 153.؛ محمد عابدين حمادة، تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط2، (دمشق: 1946)، ص23 ـ 24.

(1) سعيد، الثورة، ج1، ص55.

(2) محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، (بغداد: 1989)، ص58.

إن أمكن[1]. وإلغاء بعض امتيازات الحجاز من خلال تطبيق قانون الولايات وإرغام أهل الحجاز على دفع ضرائب مثل باقي الولايات، وتنفيذ التجنيد الإجباري على أبناء الحجاز الذين كانوا معفيين منها في السابق، فضلاً عن مدّ سكّة الحديد من المدينة إلى مكة[2].

ونرى أنّ تنصيب وهيب باشا والياً على الحجاز ومعه تلك التعليمات أُريد منها تقليل نفوذ الشريف حسين وجعل أمور الولاية الإدارية والعسكرية والمالية كلها بيد الوالي وترك الشؤون الدينية فقط للشريف حسين. لذلك ومنذ مجيئه إلى الحجاز حصل النزاع بين الوالي والشريف وخاصة في مسألة التجنيد الإجباري إذ لم يرفضه الشريف حسين وحده، وإنما القبائل كلها رفضت هذا الإجراء، وتعرضوا للقوات العثمانية وحاصروا النقاط العسكرية بين جدّة والمدينة ورفضوا جلب الفواكه والخضروات إلى هناك[3]. وقد تجمع الكثير من الناس أمام دار الحكومة يطالبون بعدم تغيير امتيازات الحجاز القديمة ويرفضون مد سكة الحديد. وجاء الشريف حسين لمقابلة الوالي وهتف الجميع باسمه[4] عند ذلك قال الشريف حسين للوالي أنت ترى كيف أنّ الناس يطالبون ببقاء الامتيازات القديمة التي بويع بها السلطان سليم الأول بالخلافة[5].

---

(1) شهاب، المصدر السابق، ص118.

(2) سعيد، الثورة، ج1، ص52 ـ 55.

(3) خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين 1918 ـ 1920، (القاهرة: 1917)، ص15.

(4) معروف أغلو، المصدر السابق، ص116 ـ 117.

(5) غرايبة، مقدمة، ص326.

وبعد إبداء الشريف حسين نصيحته للوالي بالكف عما يقوم به لكي يبقى في الحجاز، أرسل في الوقت نفسه إلى الباب العالي يخبرهم بما جرى في الحجاز من أوضاع صعبة[1].

ونتيجة لاستمرار الوضع وانتشار السلب والنهب وعدم سيطرة وهيب باشا على الوضع وعدم سيطرته على القبائل البدوية، عند ذلك وجد أنه لا بد من إزاحة الشريف حسين عن منصبه[2]. وأرسل إلى الحكومة يطلب منها إسعافه بقوات لإزاحة الحسين وقد استجابت الحكومة لطلب الوالي وأراد طلعت باشا تنفيذ الأمر لولا تدخل الصدر الأعظم سعيد حليم[*] في الأمر وتحذيره من هذه الخطوة، واقترح أن يرسلوا جماعة لتحذير الشريف حسين لكن هذه الخطوة فشلت أيضاً، لذلك أراد أنور باشا إرسال قوة عسكرية من أزمير تتولّى مهمة إزاحة الشريف حسين إلّا أنّ الصدر الأعظم تدخل مرة أخرى حيث قال: إنّ هذا العمل ستكون نتائجه عكسية في الحصول على القرض المطلوب من فرنسا لأنّ فرنسا عندما تعلم أنّ القرض سيصرف لعمليات عسكرية ترفض أن تسلّم القرض[3].

---

(1) وهيم، مملكة، ص40.

(2) علي فؤاد، كيف غزونا مصر، ترجمة نجيب الأرمنازي، (القاهرة: 1962)، ص78.

(*) سعيد حليم هو ابن الأمير حليم باشا المصري ابن محمد علي باشا وكان يسكن في استانبول، أرسلان، المصدر السابق، ص395.

(3) وهيم، مملكة، ص41.

وفي الوقت نفسه أرسل الصدر الأعظم رسالة إلى الشريف حسين للتفاهم بين الطرفين، وقد هدأت هذه الرسالة الوضع لبعض الوقت[1]. وفي تلك الأثناء رأى الاتحاديون أن من حسن السياسة أن يهادنوا الشريف حسين في تلك الفترة حتى تحين الفرصة لإزاحته. وقد سافر في تلك الآونة الأمير عبد الله بن الحسين إلى استانبول للاشتراك في جلسات مجلس المبعوثان التي ستفتتح في 14 أيار عام 1914. وقد تباحث هناك نيابة عن والده حول الخلاف القائم بين الاتحاديين والشريف بشأن مد سكة حديد الحجاز، وقد طالب الأمير عبد الله تأجيل مد خط الحديد إلّا أنّهم رفضوا طلبه[2].

وبعد مناقشات طويلة أخبر طلعت باشا الأمير عبد الله أنه لا يهمنا تغير الولاة في الحجاز حتى ولو في كل شهر ولكن الذي يهمنا هو إنشاء الخط الحديدي من المدينة إلى مكة وإن وافق والدك على ذلك عملنا له كل ما يريد وإن رفض فلا وداد ولا بقاء وقال للأمير عبد الله إليك بالشروط التي نمنحها للشريف[3]:

1 ـ يحصل الشريف على ثلث دخل المشروع وهو حرّ في التصرّف به.

2 ـ تكون الإمارة له ولأولاده من بعده مدى الحياة[4].

---

(1) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص82.

(2) المصدر نفسه، ص84 ـ 85.

(3) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص90.

(4) غرايبة، مقدمة، ص328.

3 ـ وضع قوة كافية تحت إمرة الشريف لتنفيذ المشروع.

4 ـ وضع ربع مليون جنيه تحت تصرّف الشريف لإنفاقها على العربان والبدو.

بعد ذلك سافر الأمير عبد الله إلى الحجاز وأخبر والده بما جرى وبالشروط التي قدموها وقد رفض الشريف حسين هذه الشروط وعدّها رشوة، لذلك أرسل رسالة إلى الصدر الأعظم يخبره أنه ليس له مطامع شخصية، وانه سيرسل ابنه بأقرب فرصة ومعه بعض الاقتراحات بهذا الشأن[1]. وكان الشريف حسين في ذلك الوقت يريد تأخير إرسال ابنه لأنه لا يريد إتمام الخط وفي الوقت نفسه لا يريد أن يتأزم الوضع بينه وبين الدولة، لذلك انتظر بعض الوقت وجاءت الفرصة عندما قتل ولي عهد النمسا[2]. فبعد الحادثة بيومين أرسل ابنه عبد الله إلى استانبول يحمل رسالة إلى الصدر الأعظم يخبره فيها بأنّه موافق على مد الخط على أن ترسل الدولة قوة عسكرية لحماية المشروع إلّا أنّ طلعت باشا أخبر الصدر الأعظم بتأجيل الموضوع نتيجة لتصاعد الأزمة التي نشأت بسبب مقتل ولي عهد النمسا[3].

ومن هذا نرى كيف كانت العلاقة بين الشريف حسين والاتحاديين ولاسيما في المدة الأخيرة، حيث كان الاتحاديون يتحينون الفرصة لإزاحة الشريف حسين عن منصبه لولا تدخل

---

(1) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص90 ـ 91.

(2) وهيم، مملكة، ص43.

(3) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص92.

بعض الشخصيات الكبيرة في الدولة لصالح الشريف حسين على الرغم من أنّ الاتحاديين كانوا يقدمون بعض التنازلات للشريف واتّباع سياسة المهادنة معه عندما كانوا يصادفون مشاكل خارجية إقليمية ودولية[1].

(1) وهيم، مملكة، ص44.

الفصل الرابع

الحجاز خلال سنوات الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1918

المبحث الأول

1 ـ قيام الحرب العالمية الأولى:

تعدّ الحرب العالمية الأولى من أعظم الأحداث وأبرز الوقائع التاريخية في العالم. ذلك بسبب كثرة الأطراف المتنازعة والمتحاربة فيها والمتغيرات التي أحدثتها في أثناء وبعد الحرب، حيث كان لها تأثيراتها المباشرة في الدولة العثمانية وبضمنها الولايات العربية والحجاز بشكل مباشر.

وقبل الدخول في تأثيرات الحرب لا بدّ من التحدّث عن أسباب الحرب المباشرة وغير المباشرة:

أ ـ الأسباب غير المباشرة:

1 ـ التغيرات التي حصلت في ميزان القوى بين الدول.

2 ـ الصراع على المستعمرات.

3 ـ نمو الروح العسكرية.

4 ـ تصادم المصالح الاقتصادية.

5 ـ سياسة إقامة الأحلاف الدولية[1].

---

(1) للتفاصيل راجع فردريك ستيفه، المقدمات المنطقية للحرب العالمية، (د.م: 1926)، ص130 ـ 176؛ خليل علي مراد وآخرون، دراسات في التاريخ =

ب. ـ السبب المباشر لقيام الحرب العالمية الأولى هو مقتل ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند في مدينة سراييفو عاصمة البوسنة في 28 حزيران عام 1914 على يد أحد المتطرفين الصرب، وهو طالب يدعى برنسيب من أعضاء منظمة اليد السوداء التي تعمل من أجل الوحدة الصربية، لذلك أرادت النمسا القضاء على صربيا إلّا أنّها خشيت من التدخل الروسي إلى جانب صربيا[1].

ونتيجة لتطور الأحداث وللأسباب التي ذكرت ولاسيما سياسة الأحلاف أصبح هناك جبهتان للصراع الأولى التي عرفت تاريخيّاً بالوفاق (الحلفاء) وتضمّ فرنسا وبريطانيا وروسيا وانضمت إليها بعض الدول فيما بعد، والجبهة الثانية التي عرفت تاريخياً بدول الوسط وتتكون من ألمانيا والنمسا والمجر وبلغاريا والدولة العثمانية[2].

= الأوروبي الحديث والمعاصر، (الموصل: 1988)، ص227 . 235؛ عبد الوهاب القيسي وآخرون، تاريخ العالم الحديث 1914 . 1945، (الموصل، 1983)، ص7 . 13.

(1) سيدني برادشوفي، أسباب الحرب العالمية بعد فاجعة سراييفوا، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقي، ج2، (مصر: 1961)، ص49 . 66؛ علي رشاد، عصر حاضر تاريخي، (استانبول: 1926)، ص443؛ يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، (بيروت: 1964)، ص128؛ عبد الغني العريسي، مختارات المفيد، (بيروت: 1981)، ص276.

(2) Hason W. Bal dwin, World War I - an outline history, (New York: 1962), P.39.

القيسي وآخرون، المصدر السابق، ص5.

2 ـ مساعي الشريف حسين في تحذير الدولة العثمانية من دخول الحرب:

أدرك الشريف حسين مغبّة الحرب وعواقبها لذلك أسرع في إرسال رسالة ينصح بها السلطان محمد رشاد، ويحذره من الدخول فيها موضحاً له وضعية الدولة التي خرجت من حرب البلقان منهكة، وغير مستعدة لخوض حرب جديدة قبل أن تستكمل جمع قوّاتها[1]. كما أنّ اتّساع رقعة الدولة وأطرافها غير المحصنة كالحجاز واليمن والبصرة والمحاطة بالأعداء المتربصين بها، فضلاً عن عدم استعداد وتنظيم أهالي المنطقة للدفاع عنها أمام الأساطيل الحربية للدول الطامعة في السيطرة على أراضي الدولة العثمانية مما سيجعلها لقمة سائغة سهلة المنال[2]. وكرر الشريف تحذيره للدولة العثمانية من خلال والي الحجاز وهيب باشا الذي زاره في الطائف، وأخبره بأنّ وزيري الداخلية والحربية يريدان رأيه (الشريف) في إعلان الحرب ضد بريطانيا وروسيا، فطلب الشريف حسين أن يصله كتاب رسمي بذلك كي يستطيع الإجابة عليه بشكل رسمي[3]. وردّ أيضاً «إنّني أقول لك كجندي شريف إنّي لست بالخائن حتى أشير على الدولة بأن تدخل هذه الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل فنحن محاطون هنا بالدول العظمى البحرية»[4].

---

(1) المومني، المصدر السابق، ص447.
(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص98.
(3) موسى، الحسين، ص41 ـ 42.
(4) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص99.

ولاسيما أنّ جيوش البريطانيين في مصر وهم (العثمانيون) بعيدون عن حليفتكم ألمانيا من البرّ. وبعد فترة قليلة، تلقّى الشريف حسين برقية من الصدر الأعظم وبرقية من وزير الحربية يسألونه عن رأيه في دخول العثمانيين الحرب إلى جانب ألمانيا، وهل يستطيع تأمين الهدوء في عسير واليمن[1]. فأجابهم الشريف بعدم الدخول في حرب ضد روسيا وفرنسا وبريطانيا لأنّ هذا سيعمل على تدمير البلاد. وقال لهم: إن أصررتم على الدخول في الحرب فيجب أن تزوّدوا الجيش الخامس في اليمن بما يكفيه لثلاث سنوات، وكذلك الفرقة العسكرية بعسير والحجاز، والإسراع بخزن المؤن في الولايات لمدة لا تقل عن خمس سنوات وأجابته الدولة عن رسالته بالشكر لنصائحه وأنّها قد فكّرت بكلّ شيء[2].

وكانت للشريف حسين مخاوفه من دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا منها:

1 ـ أنّ الشريف حسين كان يخشى على مصير العرب إذ كان يدرك أن مصير العرب مرتبط بالعثمانيين وأنّ الذي يصيب الدولة العثمانية يصيب الولايات العربية[3].

2 ـ عدم ثقته بالاتحاديين وبقيادتهم للبلاد.

3 ـ تخوفه من الاتحاديين تجاهه سواءً انتصروا في الحرب أم خسروا لأنّهم كانوا يريدون عزله قبل فترة وجيزة.

---

(1) المصدر نفسه، ص99.

(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص99.

(3) فائز الغصين، مذكراتي عن الثورة العربية، (دمشق: 1956)، ص293.

4 - أنّ الشريف حسين كان في المدة الأخيرة (قبل دخول العثمانيين الحرب) يفكر في الوقوف إلى جانب البريطانيين ضد العثمانيين ولاسيما بعد المفاوضات التي كان يجريها نجله عبد الله نيابة عنه مع الإنكليز[1].

3 - أهداف الدولة العثمانية من دخولها الحرب:

كان في الدولة العثمانية قبل قيام الحرب العالمية الأولى حزبا الاتحاديين والمعارضين الأول يؤيّد ألمانيا وأنصارها والثاني يؤيّد بريطانيا وحلفاءها. وكان سبب رغبة الدولة العثمانية في الوقوف إلى جانب ألمانيا تأييد ألمانيا لها وعطفها عليها في الحرب البلقانية، فضلاً عن أنّ الدولة العثمانية كانت تريد دائماً أن تؤيد الجبهة التي تقف ضد روسيا[2].

وكان لاستيلاء الحكومة البريطانية على الطرادين اللذين أوصت عليهما الدولة العثمانية في مصانع بريطانيا اللذين كان اسماهما رشادية وعثمان قد أغضبها، وجعل الرأي العام العثماني ينقم على بريطانيا[3]. ومما زاد الموقف حرجاً إبحار الطرادين الألمانيين غوبن وبرسلو إلى الدردنيل وسماح الحكومة العثمانية

---

(1) الفواز، المصدر السابق، ص112.
(2) عمر أبو النصر، مجلة الحرب العالمية الأولى، (بيروت: 1938)، ج5، ص167؛ كواترت، المصدر السابق، ص124.
(3) لبيب، المصدر السابق، ص116؛ جمال باشا، مذكرات جمال باشا، ترجمة علي أحمد شكري، (بغداد: 1963)، ص232.

لهما بدخوله، ولو أنّها عمدت إلى تجريد الطرادين من سلاحهما وتسفير بحارتهما إلى ألمانيا لكان الأمر سهلاً، لكن العثمانيين أعلنوا أنّهم اشتروا الطرادين المذكورين من ألمانيا وأنّهما أبدلا اسميهما إلى ياوز ومديللي[1]. إلّا أنّ بقاء البحّارة الألمان في الطرادين على الرغم من احتجاج الحلفاء أزّم الموقف لأنّ وجود الطرادين في استانبول يعمل على إعلاء نفوذ المؤيّدين لفكرة الحرب ضد الحلفاء ويقوّيه[2].

وقد تمكن السفير الألماني في استانبول وبمساعدة وزير الحربية أنور باشا من إقناع الحكومة والسلطان بالموافقة على معاهدة تحالف سري في 12 آب عام 1914[3]. وكانت ألمانيا تهدف من هذا التحالف:

1 ـ إغلاق المضايق العثمانية في البحر الأسود.

2 ـ منع وصول الإمدادات العسكرية إلى روسيا.

3 ـ كسب المسلمين في كافة أنحاء العالم إلى جانبها وذلك من خلال إعلان الجهاد المقدس من الدولة العثمانية.

---

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، (بيروت: 1982)، ص287؛ أحمد حامد ومصطفى محسن، توركية تاريخي، ط2، (استانبول: 1926)، ص690 .

(2) جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج1، (نيويورك: 1940)، ص64.

(3) Resat Ekrem, Osmanli muahedelerive kapitülâsiyonlar 1300-1920 ve lozan Muahedesi 24 Temmus 1923, (Istanbul: 1934), SS 252-253...

4 ـ دفع الدولة العثمانية إلى احتلال منطقة القفقاس وفتح جبهة جديدة أمام روسيا[1].

وفي 29 تشرين الأول أطلقت البواخر العثمانية القنابل على المرافئ الروسية في البحر الأسود ونتيجة هذا العمل أعلن الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية في 4 تشرين الثاني 1914[2].

أمّا أهداف الدولة العثمانية من دخول الحرب فهي:

1 ـ شعور الدولة العثمانية أنّ سيادتها على المضايق غير كاملة وأنّ الحرب ستساعدها على فرض سيادتها عليها.

2 ـ تحرير الدولة من أنظمة الوصاية الأجنبية واسترجاع بعض الولايات العثمانية التي وقعت تحت السيطرة الأجنبية كمصر وقبرص.

3 ـ استعادة الأراضي التي احتلتها روسيا في القفقاس وتركستان.

4 ـ ترسيخ سلطة الدولة والخلافة على المناطق الإسلامية[3].

---

(1) منسي، المصدر السابق، ص189 . 193؛ القيسي وآخرون، المصدر السابق، ص21 . 22.

(2) Sydney N. Fisher, The Middle East, (London: 1959), P.363
مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ العرب المعاصر والحديث، (الأردن: 2004)، ص25؛ إبراهيم خليل أحمد، وخليل علي مراد، إيران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، (الموصل: 1992)، ص225.

(3) لنشوفسكي، المصدر السابق، ج1، ص72.

لهما بدخوله، ولو أنّها عمدت إلى تجريد الطرادين من سلاحهما وتسفير بحارتهما إلى ألمانيا لكان الأمر سهلاً، لكن العثمانيين أعلنوا أنّهم اشتروا الطرادين المذكورين من ألمانيا وأنّهما أبدلا اسميهما إلى ياوز ومديللي[1]. إلّا أنّ بقاء البحّارة الألمان في الطرادين على الرغم من احتجاج الحلفاء أزَّم الموقف لأنّ وجود الطرادين في استانبول يعمل على إعلاء نفوذ المؤيّدين لفكرة الحرب ضد الحلفاء ويقوّيه[2].

وقد تمكن السفير الألماني في استانبول وبمساعدة وزير الحربية أنور باشا من إقناع الحكومة والسلطان بالموافقة على معاهدة تحالف سري في 12 آب عام 1914[3]. وكانت ألمانيا تهدف من هذا التحالف:

1 ـ إغلاق المضايق العثمانية في البحر الأسود.

2 ـ منع وصول الإمدادات العسكرية إلى روسيا.

3 ـ كسب المسلمين في كافة أنحاء العالم إلى جانبها وذلك من خلال إعلان الجهاد المقدس من الدولة العثمانية.

---

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، (بيروت: 1982)، ص287؛ أحمد حامد ومصطفى محسن، توركية تاريخي، ط2، (استانبول: 1926)، ص690 .

(2) جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج1، (نيويورك: 1940)، ص64.

(3) Resat Ekrem, Osmanli muahedelerive kapitülâsiyonlar 1300-1920 ve lozan Muahedesi 24 Temmus 1923, (Istanbul: 1934), SS 252-253...

4 - دفع الدولة العثمانية إلى احتلال منطقة القفقاس وفتح جبهة جديدة أمام روسيا[1].

وفي 29 تشرين الأول أطلقت البواخر العثمانية القنابل على المرافئ الروسية في البحر الأسود ونتيجة هذا العمل أعلن الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية في 4 تشرين الثاني 1914[2].

أمّا أهداف الدولة العثمانية من دخول الحرب فهي:

1 - شعور الدولة العثمانية أنّ سيادتها على المضايق غير كاملة وأنّ الحرب ستساعدها على فرض سيادتها عليها.

2 - تحرير الدولة من أنظمة الوصاية الأجنبية واسترجاع بعض الولايات العثمانية التي وقعت تحت السيطرة الأجنبية كمصر وقبرص.

3 - استعادة الأراضي التي احتلتها روسيا في القفقاس وتركستان.

4 - ترسيخ سلطة الدولة والخلافة على المناطق الإسلامية[3].

---

(1) منسي، المصدر السابق، ص189 . 193؛ القيسي وآخرون، المصدر السابق، ص21 . 22.

(2) Sydney N. Fisher, The Middle East, (London: 1959), P.363

مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ العرب المعاصر والحديث، (الأردن: 2004)، ص25؛ إبراهيم خليل أحمد، وخليل علي مراد، إيران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، (الموصل: 1992)، ص225.

(3) لنشوفسكي، المصدر السابق، ج1، ص72.

4 ـ طبيعة العلاقة بين الشريف حسين والدولة العثمانية بعد دخول العثمانيين الحرب:

أعلنت الدولة العثمانية الجهاد بعد دخولها الحرب ضد بريطانيا وحلفائها وأصدر شيخ الإسلام فتوى بذلك وأكد أنّ الجهاد هو فرض على كل مسلم أينما كان[1].

وقد طلبت الحكومة العثمانية من الشريف حسين إعلان الجهاد لأنّ إعلان الشريف للجهاد له صدى كبير في العالم الإسلامي لمركزه ومكانته لدى المسلمين. وقد أرسل عدد من الشخصيات العثمانية الرسائل للشريف حسين يطلبون منه إعلان الجهاد، منهم أنور باشا وطلعت باشا حتى أنّ جمال باشا الذي كان قائداً للجيش العثماني الرابع في بلاد الشام بعث برسالة إلى الشريف حسين يطلب منه إعلان الجهاد وإرسال راية الرسول محمد ﷺ إلى دمشق ليأخذها الجيش الرابع من قبيل التبرك في زحفه على مصر كما طلب منه أن يجهِّز جيشاً من القبائل الحجازية ليضمه إلى الجيش الرابع[2].

جاء ردّ الحسين بشكل دبلوماسي إذ بيّن في رسالته الجوابية بأنّه مع الدولة في إعلان الجهاد وأنّه يدعو الله ليحقّق للمسلمين مبتغاهم في جهادهم هذا إلّا أنّه لا يستطيع إعلان الجهاد علانية

(1) حامد مصطفى، الجهاد في الإسلام ماضيه وحاضره، (بغداد: 1948)، ص60.

(2) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج2، (بيروت: د.ت)، ص160؛ عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، (القاهرة: 1980)، ص77 . 78.

وبشكل صريح لوجود السفن البريطانية بالقرب من السواحل الحجازية، مما سيؤدي إلى قصف الحجاز بالمدفعية وهذا يؤدي إلى حدوث ثورة في الحجاز. وبهذا نرى أنّ الحسين كان حذراً في تعامله مع حكومة الاتحاديين الذين كانوا يريدون عزله قبل فترة وجيزة، وقام الحسين بتلبية بعض مطالب الاتحاديين ليوهمهم بأنّه معهم. إذ أرسل راية الرسول محمد ﷺ إلى جمال باشا في دمشق الذي سيتحرّك نحو مصر كما أمر بحشد بعض القوات في الحجاز وتجنيدهم وأرسل أبناءه للإشراف على عملية التجنيد(1).

وقد بادر الاتحاديون إلى خداع الناس من خلال الدعاية والصحف وإجبار الخطباء أن يخطبوا للناس بأنّ الشريف حسين قد أعلن الجهاد مثلما أعلنها السلطان، وقد صدق الكثير من الناس خاصة بعد أن رأوا راية النبي محمد ﷺ لدى الجيش الرابع المتوجه إلى مصر(2).

5 ـ الحملة على قناة السويس:

استعدت الدولة العثمانية للتوجه نحو القناة وكان بعض الاتحاديين يفكرون في عزل الشريف أو قتله لذلك أمروا وهيب باشا بالتخلّص من الشريف حسين، وإن لم يستطع فسيرسلون في طلبه إلى سوريا ويتولّون أمره هناك. وفعلاً جاءت رسالة إلى

---

(1) غرايبة، مقدمة، ص329.
(2) أنطونيوس، المصدر السابق، ص227.

الشريف حسين تطلب منه الذهاب إلى سوريا ليجتمع مع جمال باشا لإجراء بعض المباحثات ونشروا في الصحف أنّ الشريف قد لبّى الطلب[1].

إنّ الشريف حسين ومن خلال معرفته بالاتحاديين خشي من هذا السفر، كما أنّه كان قد طُلب منه أن يشترك في حملة القناة مع بعض قوّات الحجاز، وأن يتولّى هو قيادتهم وردّ الشريف بأنّه سيرسل القوّات بقيادة نجله الأكبر الأمير علي ليرافق وهيب باشا. وقد ردّت السلطات العثمانية أنّهم يفضّلون قيادته هو بنفسه لهذه القوّات، لكن الشريف حسين أخبرهم بأنّه لا يستطيع أن يترك الحجاز خوفاً من اعتداء الخصوم[2].

وبعد هذا الرد اطمأن الاتحاديون للشريف حسين نوعاً ما وأرسلوا بعض الأسلحة إليه، كما أرسل السلطان بعض الأموال وذلك لتجهيز الجيش الذي سيشترك في حملة القناة. وفعلاً تحركت قوات المتطوعين من الحجاز في كانون الثاني عام 1915 بقيادة الأمير علي والقوات النظامية بقيادة وهيب باشا متوجهين للاشتراك مع القوات العثمانية بقيادة جمال باشا المتوجه لحرب القناة[3].

وفي أثناء الطريق وقعت حادثة أدّت إلى تدهور العلاقات

---

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) شكري محمود نديم، حرب فلسطين، ط4، (بغداد: 1974)، ص54.

(3) عبد المنعم مصطفى، لورانس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية، (بغداد: 1990)، ص118.

مرة أخرى بين الشريف حسين والوالي وهيب باشا والدولة العثمانية، ذلك أنّه سقطت حقيبة الأوراق السّرية لوهيب باشا وعثر عليها أتباع الشريف حسين[1]. ويُقال في هذه الحادثة إنّ قصة اختفاء الحقيبة لم تكن قضاءً وقدراً وإنما كانت مدبّرة من الشريف حسين عندما أحسّ بسوء نيّة الوالي وهيب باشا، وأرسل بعض العيون لتراقبه وعندما شك هؤلاء بأهمية هذه الأوراق أخذوها من أمتعة الوالي، وقد اطلع الأمير علي على هذه الأوراق فوجد أنّها رسائل سريّة كانت تجري بين الوالي والدولة بشأن عزل الشريف حسين والفتك به وأنجاله والقضاء على ما يتمتّع به الحجاز من استقلال ذاتي[2]. وقد حال دون تنفيذ هذه العمليات نشوب الحرب العالمية الأولى وانهماك الدولة العثمانية فيها[3].

عند ذلك أمر الأمير علي قواته بالتوقف وعدم السفر وانتحل الأعذار للبقاء في المدينة المنورة للدفاع عنها، ولم تحاول القيادة العثمانية إرغامه على السفر تجنباً للاحتكاك المباشر. وسارت القوات العثمانية وحدها إلى معان. وعندما عاد الأمير علي سلم الأوراق إلى والده وعندما اطلع الشريف على تلك الأوراق عرف الحقيقة بكاملها فأرسل إلى الصدر الأعظم يقول إنّه عثر على أُناس يحفرون له قبراً ويسأله السماح لأحد أبنائه بالسفر إلى

---

(1) مؤلف مجهول، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، (د.م.: د.ت.)، ص115.

(2) أنطونيوس، المصدر السابق، ص233.

(3) مصطفى، الجهاد، ص118.

استانبول ليطلعه على المكيدة فأجابه الصدر الأعظم إلى ذلك واختار الشريف حسين نجله فيصلاً لهذه المهمة لأنّ فيصلاً كان معروفاً بميوله إلى مصادقة العثمانيين[1].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو هل أنّ الحسين كان جادّاً في مقاتلة البريطانيين مع القوات العثمانية أم لا ؟ خاصة أنّ هناك بعض الشكوك في حصول بعض الاتصالات بين الشريف حسين والبريطانيين. والإجابة عن هذا هو أن الحسين كان لا يريد مقاتلة البريطانيين، وإنما كانت حركة توفيقية منه لكي لا يكون في مواجهة الاتحاديين بصورة مباشرة إن رفض الخروج معهم لأنّه لم يحن الوقت بعد. وجاءت حادثة حقيبة الأوراق السريّة لوهيب باشا لصالحه في رجوع القوّات الحجازية بقيادة ابنه علي. بعد حادثة الأوراق السرية استعد فيصل للسفر حسب رغبة أبيه وقد غادر عام 1915 ووصل استانبول ومكث فيها شهراً واحداً أجرى فيها اتصالات مهمة حيث التقى مع السلطان محمد رشاد مرتين وأجرى مقابلات عديدة مع الصدر الأعظم سعيد حليم، إذ بيّن سوء نيّة وهيب باشا تجاه والده وكيف يريد التنكيل به بين عشيرته وأطلعهم على تلك الأوراق[2]. كما أنّه سلّم إلى سعيد باشا مذكّرة بمطالب العرب في الحرية والاستقلال، وأنّهم على استعداد كامل لمساندة الدولة العثمانية لو اعترفت الدولة باستقلال الحجاز على أساس اللامركزية، وبالشريف حسين أميراً على مكة ومن بعده

(1) نديم، المصدر السابق، ص54.
(2) الحكيم، المصدر السابق، ص244.

لأولاده بالوراثة[1]. كما التقى فيصل بوزيري الحربية والداخلية أنور باشا وطلعت باشا وأوضح لهما تصرفات وهيب باشا في الحجاز، وما يقوم به جمال باشا ضد العرب. وطالبهم بالإفراج عن الذين اعتقلهم جمال باشا وعرض فيصل لأنور وطلعت باشا أنه مستعد للمشاركة ببعض القوّات في حملة القناة الثانية لو أفرجوا عن السجناء. ولبّت الحكومة مطالبهم ولم يبدِ أنور وطلعت أي انزعاج أو رفض لفيصل لأنهما كانا بحاجة ماسّة إلى العرب في تلك الأوقات العصيبة[2].

وكانت نتيجة زيارة فيصل ومقابلاته أن استقرّ رأي الحكومة بإبدال وهيب باشا بوالٍ جديد للحجاز وهو اللواء غالب باشا، وتزويده بتعليمات تقضي بأن ينشئ علاقات طيبة وقوية مع الشريف حسين وأتباعه، وأن تسود بينهم روح الثقة والمودّة وطلبوا من فيصل بأن يخبر أباه بأنّ حلَّ كلِّ هذه المشاكل وتحقيق مطالبه بيده هو فإن أعلن الجهاد فإن الدولة ستعمل على تلبية كل طلباته[3].

نجح فيصل في مهمته هذه إذ اقتنع الاتحاديون بالتعاون مع الشريف حسين، واستعدّ بعد ذلك للعودة. وفي طريق عودته التقى ببعض الزعماء العرب في دمشق والجمعيات العربية[*] وأعطوه

---

(1) سعيد، الثورة، ج1، ص106.

(2) أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص63.

(3) Kumandan Larlmizjn harpatiralar, (Istanbul, 1937), SS 71-72

محمد أسعد طلس، تاريخ الأمة العربية عصر الانبعاث، (بيروت: 1963)، ص55.

(*) ونقصد بهذه الجمعيات كلّاً من المنتدى الأدبي التي تأسست عام 1909 وجمعية =

تفويضاً بالتكلم نيابة عنهم وأن يمثل الشريف حسين العرب في مفاوضاته مع الإنكليز.

ثم التقى بجمال باشا في دمشق واستقبله جمال باشا استقبالاً جيداً بناءً على طلب الحكومة وأخبر فيصل جمال باشا أنّ ولاء عائلته للدولة العثمانية وأنّه مستعد أن يأتي بـ (1500) متطوع هو على رأسهم فور وصوله إلى الحجاز للاشتراك في الحملة على قناة السويس. وقيل بأنّ هذا العدد كان حسب رغبة جمال باشا عندما أرسل يطلب قوّات من الشريف حسين[1]. ويقول جمال باشا في مذكراته إنّ فيصلاً أقسم بروح جدّه الأكبر أنّه فور وصوله إلى الحجاز سيأتي بالمتطوعين وأنّه تمنّى لو يموت شهيداً عند القناة[2].

وفي 20 حزيران عام 1915 وصل فيصل إلى الحجاز وسلم لوالده تقريراً مفصلاً عن رحلته هذه. وفي هذه الأثناء كان جمال باشا يبعث بالرسائل للشريف يخبره بأن يأتي فيصل مع القوات المتطوعة مثلما وعده[3].

عند ذلك ناقش الشريف حسين الأمر مع أولاده في اجتماع عقده في الطائف ليرى رأيهم، وبدأ فيصل بالكلام وأخبر والده أنه

= الفتاة التي تركز فيها النضال السرّي بين المدنيين التي تأسست عام 1911 وجمعية العهد العسكرية التي تأسست أواخر عام 1913. قدري قلعجي. جيل الفداء قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب، (عمان: 1967)، ص243.

(1) Harpaliralar A. E, S,78 سعيد، الثورة، ج1، ص107.

(2) جمال باشا، المصدر السابق، ص234.

(3) سعيد، الثورة، ج1، ص107.

على الرغم من قناعته بالقيام بثورة ضد الدولة العثمانية إلّا أنّه علينا التأني والانتظار وإجراء بعض الاتصالات مع الإنكليز. أمّا عبد الله فقد أعلن أنه يجب إعلان الحرب ضد الدولة العثمانية فوراً من دون انتظار أمّا الشريف حسين وعلى الرغم من قناعته بالقيام بالثورة ضد العثمانيين إلّا أنّه اتخذ موقفاً وسطاً إذ أراد أن يرسل فيصلاً إلى سوريا مع بعض المتطوعين مثلما وعد جمال باشا، لأنّ هذا العمل سيبعد الشك عنهم، ونتج عن الاجتماع فضلاً عن هذا[1]:

1 ـ إعلان الثورة على العثمانيين بعد فترة بالاتفاق مع الإنكليز على شروط يتفق عليها.

2 ـ أن يتولّى عبد الله تنظيم القبائل في منطقة مكة والطائف.

3 ـ أن يتولّى علي تنظيم القبائل حول المدينة.

4 ـ بدء الحسين بالمباحثات مع الإنكليز باسم العرب وليس باسم الحجاز فقط.

تجهز فيصل للسفر إلى سوريا مع خمسين من أشراف الحجاز بصفتهم طلائع لحملة المتطوعة الحجازية وعند وصولهم دمشق استقبلهم جمال باشا ونزل فيصل ومن معه في بيت جمال باشا واتخذه مكاناً لتجهيز قواته فيها[2].

---

(1) أمين سعيد، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، (بيروت: د.ت)، ص54 . 57؛ عمر أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص79.

(2) جمال باشا، المصدر السابق، ص235؛ لوتسكي، المصدر السابق، ص454.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أنّ الشريف حسين قد قام بهذه العملية، أي إرسال ابنه فيصل مع بعض المتطوعة إلى دمشق لمساندة جمال باشا لبعض الأهداف:

1 ـ لإبعاد الشك عنهم.

2 ـ من أجل مفاوضاته مع الإنكليز بحرية وسرية تامة.

3 ـ ليكمل اتصالاته مع القبائل العربية عن طريق ولده علي لكسبهم إلى جانبه عند إعلان الثورة ضد العثمانيين[1].

بعد وصول فيصل إلى دمشق بفترة قليلة قام جمال باشا باعتقال عدد من أحرار العرب في عام 1916. وقد حاول فيصل أن يناقش الأمر مع جمال باشا لإطلاق سراحهم إلّا أنّه لم ينجح في مسعاه، لذلك أرسل إلى والده يخبره بما جرى في سوريا[2]. كما أنّ أنور باشا كان قد أرسل رسالة في أول آذار عام 1916 إلى الشريف حسين يطلب منه إعلان الجهاد في بلاد الإسلام من مكة باسم السلطان محمد رشاد الخامس ضد روسيا وبريطانيا وفرنسا[3]، عند ذلك وجد الحسين الفرصة في تقديم بعض الشروط لقبول إعلان الجهاد إذ أرسل إلى الصدر الأعظم وإلى

---

(1) وهيم، مملكة، ص55.

(2) حكمت إسماعيل، «مظالم جمال باشا في بلاد الشام بعد فشل حملة السويس وأثرها في قيام الثورة العربية»، مجلة دراسات تاريخية، (دمشق)، السنة 22، 2001، ع73 ـ 74، ص252 ـ 253؛ أرسلان، المصدر السابق، ص430 ـ 431.

(3) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية أسبابها مقدمتها تطورها ونتائجها، ج6، (بغداد: 1934)، ص83؛ الشناوي، المصدر السابق، ص77 .

وكيل القائد العام أنور باشا في 16 آذار 1916 برسالة أوضح فيها أنّ انتصار الدولة العثمانية في الحرب منوط باشتراك جميع رعايا الدولة وخاصة العرب، لما لهم من موقع مهم بالنسبة لهذه الحرب وأنّ اشتراك العرب في الحرب متوقف على إرضائهم لهم وفي تضميد جراحهم بعد اعتقال الكثير من أبنائهم ورجالهم[1].

وكانت لهم بعض المطالب:

1 ـ إعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين جميعهم.

2 ـ إقامة نظام لامركزي في العراق وسوريا.

3 ـ جعل إمارة مكة وراثية في أسرة الحسين[2].

وختم رسالته بأنّ الدولة إذا قبلت هذه الشروط فإنه سيعمل على حشد القبائل وإناطة قيادتها لأبنائه في ميداني العراق وفلسطين وعلى الدولة أن تعمل لإشراك آل رشيد[*] في الجهاد، وإذا لم يقبلوا بهذه فلا ينتظروا منه الاشتراك في الحرب التي نصحهم منذ البداية عدم الاشتراك فيها وأنه سيكتفي بالدعاء لهم بالنصر[3].

---

(1) سعيد، أسرار، ص52.

(2) مصطفى الشهابي، محاضرات في الاستعمار، ج2، (معهد الدراسات العالمية: 1957)، ص59.

(*) آل رشيد: هم الذين كانوا يحكمون منطقة حائل في جبل شمر وتسمى منطقتهم بإمارة آل رشيد وهم تابعون للدولة العثمانية منذ عام 1876. وقد انتهت هذه الإمارة سنة 1920 عندما استولى عبد العزيز آل سعود على منطقة حائل. عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، (الرياض: 1981)، ص ط.

(3) أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، (القاهرة: د.ت)، ص23.

إنّ الشريف حسين قد طلب هذه المطالب بصراحة ومن دون خوف ولاسيما أن ابنه فيصلاً في سوريا، إذ كان باستطاعة الاتحاديين أن يأمروا جمال باشا باعتقال فيصل بن الحسين إلّا أنّ هذا لم يحدث، حيث لم تكن الحكومة العثمانية في ظرف يسمح لها أن تدخل بحرب مع الشريف حسين، على الرغم من أنّ رسالته تركت بصمات مؤلمة في نفوس بعض الشخصيات العثمانية. وقد أرسلت الحكومة العثمانية جواباً للشريف حسين وضحت فيه أنّهم لا يقبلون بطلباته وأنّ المسجونين يجب أن ينالوا عقابهم وأنّ الحجاز ستبقى كما كانت كباقي الولايات في تعيين الولاة والأشراف، وعليه أن يخبر ولده عليّاً أن يرجع من المدينة وعليه أن يرسل المتطوعين من الحجاز البالغ عددهم (1500) إلى دمشق ليكونوا مع فيصل وإن رفض فإنّه سيخسر الكثير ولاسيما أنّ فيصلاً ضيف لدى الجيش الرابع في سوريا لحين انتهاء الحرب[1].

إن رسالة الباب العالي ذات مضمون تهديدي وإن الحكومة العثمانية على دراية بما يفعله الأمير علي في المدينة من اتصالات مع القبائل ومشاكله مع متصرف المدينة، كما أن الرسالة تبيّن أنّ العثمانيين كانوا يلوحون باحتجاز الأمير فيصل. وعندما وصلت البرقية إلى الشريف أبرق على الفور ببرقية إلى الصدر الأعظم أشار فيها أنه ليس له سوى النصيحة الأخيرة بانحياز العرب إلى صفوفهم بقلوبهم. أمّا بشأن فيصل فلم يرسله وهو يعتقد أنّه سيراه

(1) أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص66 ـ 67.

مرة أخرى. عند ذلك بعث الصدر الأعظم برسالة نصها «بعد التأمل رأينا شكر سيادتكم على أجوبتكم فإذا بعثتم المجاهدين إلى الشام فقد أشعرنا جمال باشا ليذاكر نجلكم الشريف فيصل بك فيما يتعلق بالمجرمين السياسيين». فكان جواب الشريف «إنني ممتنّ على تلطفكم بالجواب، أمّا المجاهدون فقد أصرّوا على عدم السفر إلّا إذا حضر فيصل ليأخذهم فإن كانت الرغبة حقيقية فابعثوا به ليستصحبهم»(1).

جاء ردّ الصدر الأعظم أنه «سيتوجه فيصل إلى المدينة ليستصحب المجاهدين ويعود بهم إلى الشام ونرجو أن تسترجعوا نجلكم الشريف علي بك من المدينة المنورة إلى مكة». وأجاب الشريف حسين أنّه «عند وصول الشريف فيصل بك سيترك علي بك المدينة المنورة»(2).

لم يكن جمال باشا بعيداً من الأحداث إذ أرسل إليه أنور باشا بما يجري ونص برقية الشريف حسين ومطالبه، لذلك أرسل جمال باشا يطلب فيصلاً لمقابلته وأخبره بما يريده والده كما أرسل جمال باشا رسالة إلى الشريف حسين أخبره فيها أنّ ما يريده من إعلان العفو عن السجناء ليس بطلب معقول لأنّ هؤلاء مذنبون بحقّ الدولة، وإن عفونا عنهم ستسقط هيبة الدولة أمام الناس. أمّا بشأن طلبك الوراثة لأسرتك بالشرافة فإنّ هذا المطلب

---

(1) عبد الله بن الحسين، المذكرات، ص105.

(2) المصدر نفسه، ص105 . 106.

وإن كان من حقّكم فإنّ الوقت غير مناسب ولاسيما أنّ الدولة تفكّر في شيء واحد وهو الانتصار في الحرب وعلينا جميعاً أن نوحّد أنفسنا ولا نفكر إلّا بشيء واحد وهو النصر في الحرب وعليك أن تفكر أنّ الدولة لو أعطت لك ما تريد من وراثة الشرافة الآن فما يمنعها بعد انتهاء الحرب أن تغير سياستها معك[1]، إلّا أنّ الشريف حسين ردّ لجمال باشا برسالة أوضح فيها مطالبه مرة أخرى[2].

غضب جمال باشا وأرسل في طلب فيصل وأوضح له موقف والده وقال لفيصل «ماذا جرى؟ أيريد والدك أن نستخدم القوّة ضده بعد أن كنّا على صداقة تامة وبيننا اتفاق على إرسال (1500) من متطوعين. وإذا كان أبوك ينوي العداء فليحمل السلاح ويقوم بثورته لنواجهه. أمّا إذا كانوا يريدون صداقة الدولة فاكتب لأخيك علي ليحضر إلى دمشق ويكفّ عن الاعتداء على محافظ المدينة بصري باشا»[3]. وكان جمال باشا يبغي من مجيء علي إلى دمشق احتجازه مع أخيه فيصل ليهدّد بهما الشريف حسين، عند ذاك أخبر فيصل جمال باشا أنّهم لا يضمرون العداوة للدولة العثمانية الذين هم من رعاياها المخلصين وأنّه سيرسل في طلب أخيه[4]. وفي آذار أرسل فيصل يطلب من أخيه علي أن يأتي على رأس قوّة

(1) جمال باشا، المصدر السابق، ص236 . 238.
(2) موسى، الحسين، ص69.
(3) سعيد، الثورة، ج1، ص114.
(4) جمال باشا، المصدر السابق، ص243.

المتطوعين للاشتراك في حرب القناة الثانية. وعندما استلم الأمير علي الرسالة ردّ على أخيه برسالة يطلب منه أن يأتي إلى المدينة ليكون على رأس تلك القوّة. وعندما سمع جمال باشا بهذا الردّ وافق على ذهاب فيصل إلى المدينة لاستقبال المتطوعين مع وفد يتكوّن من كاظم بك مفتش المنزل (منزل جمال) وواصف بك المستشار العدلي للجيش الرابع ونسيب بك البكري والشيخ عبد القادر الخطيب، وقصدوا المدينة المنورة بالسكك الحديدية في منتصف شهر آذار وكان فيصل فرحاً لأنه تخلّص من قبضة جمال باشا[1].

بعد فترة قليلة قلق جمال باشا من ذهاب فيصل لذلك طلب من فخري باشا الذهاب إلى المدينة لأنّه يتوقّع ثورة الشريف حسين وأن يرتّب مع بصري باشا أمور الدفاع عن المدينة[2]. وأعطاه تعليمات سرية وهي أن يقوم بصري باشا بأعباء الإدارة الملكية وأن يستلم هو قيادة أولاد الشريف عند أول إنذار بقيام الثورة. واحتياطاً للطوارئ فقد أمر جمال باشا بإبقاء كتيبتين وبطاريتين جبليتين في دمشق على استعداد تام للزحف على المدينة إن حدث شيء. مما يشير إلى علم جمال باشا بتحركات الشريف حسين وما ينوي القيام به خاصة أنّ التقارير كانت تأتيه من بصري باشا، وعندما أراد بصري باشا إلقاء القبض على فيصل،طلبت الحكومة

---

(1) الغصين، المصدر السابق، ص209 . 210؛ سعيد، الثورة، ج1، ص115؛ جمال باشا، المصدر السابق، ص244 . 245.

(2) وهيم، مملكة، ص59.

منه أن يستقبل فيصلاً ويحتفي به[1]. كما أصدر جمال باشا أوامره لجنده البالغ عددهم (3) آلاف المتوجّهين إلى اليمن أن يتوقفوا عند المدينة المنورة، وأن يقوموا بتدريب قوّات المدينة وتسليحها بالأسلحة، وأمر بمراقبة الأميرين فيصل وعلي بعد الأخبار التي نقلها بصري باشا بوجود كمائن نصبتها العشائر الموالية للحسين في طريق القوّات العثمانية المتوجّهة لليمن. وعلى الرغم من كل هذا فإنّ جمال باشا كان يريد أن يستدرج الشريف حسين لجانب الدولة العثمانية ولو بشكل وقتي حتى أنّه طلب من محافظ المدينة أن يرسل الأموال التي طلبها الشريف حسين لسدّ نفقات المتطوعين[2]. لذا ساد نوع من الهدوء بين الطرفين خاصة بين فخري باشا والأميرين فيصل وعلي وتبادلا الزيارات ودعا علي فخري باشا لداره واتّفقا على أن تسافر أول كتيبة من كتائب المتطوعة إلى درعا. وقد أخبر فخري باشا بكل ما جرى لجمال باشا عن طريق التلفون[3].

وفي 3 آذار 1916 قابل فيصل وعلي فخري باشا وأطلعاه على مضمون البرقية الأخيرة التي أرسلها أنور باشا إلى والدهما الشريف حسين التي هدده فيها أنه على كل موظف أن يقوم بعمله من دون أن يتدخل في شؤون الدولة وأن يرسل المتطوعين بلا

---

(1) جمال باشا، المصدر السابق، ص246.

(2) Harpatiralari, A.G.E, SS 83-84..

(3) محمد طاهر العمري، مقدرات العراق السياسية، ج1، (بغداد: 1925)، ص211؛ الأعظمي، القضية، ج6، ص86.

تردّد واستدعاء علي من المدينة. وقد قال فيصل وعلي لفخري باشا أنهما بعد هذه البرقية لم يعد باستطاعتهما الاستمرار بالعمل وأنّ عليّاً سيرجع إلى مكة. وحاول فخري باشا أن يعتذر لما ورد في البرقية من دون جدوى إذ بقي فيصل في المدينة ليقود المتطوعين بدلاً من أخيه للاشتراك في حملة القناة الثانية[1].

وفي الأول من حزيران عام 1916 ترك الأمير علي المدينة وودّع فخري باشا وبصري باشا وذهب إلى معسكر المتطوعين على أن يقضي ليلة ثم يسافر في الصباح إلى مكة، وجاء معه أخوه فيصل ليقضي الليلة معه. وفي صباح 2 حزيران خرج فيصل وعلي ومعهم 200 هجان إلى مكة عن طريق الشرق حتى وصلا الخانق إحدى المراحل على طريق المدينة - مكة حيث شرعا بحركتهما وأخذا يحشدان القوات والمعدات وانضمّ إليهما (1500) مقاتل وأعلنا في 10 حزيران 1916 باسم والدهما الثورة على الدولة العثمانية[2].

والجدير بالذكر أن الحملة الثانية لقناة السويس فشلت في مهمتها أمام القوّات البريطانية لأنّ البريطانيين استعدّوا بحشد قوات كبيرة، وذلك لأهمية مصر وقناة السويس للاستراتيجية البريطانية[3]. وقد قال جمال باشا «إنّ هزيمتنا في حملة القناة كانت بسبب خيانة الشريف حسين لنا»[4].

---

(1) مصطفى، لورانس، ص123.
(2) أنطونيوس، المصدر السابق، ص289.
(3) منسي، المصدر السابق، ص212 . 213.
(4) جمال باشا، المصدر السابق، ص184 . 185.

المبحث الثاني

علاقة الشريف حسين بالبريطانيين

1 ـ بداية العلاقات (الاتصالات الأولى):

كان بداية علاقة الشريف حسين بالإنكليز عن طريق ابنه عبد الله الذي كان كاليد اليمنى للشريف حسين. إذ بدأت هذه العلاقة عندما كان الأمير في زيارة للخديوي عباس حلمي في مصر في صيف عام 1913 في قصر قبّة وزار الخديوي اللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر. وقام الخديوي بواجب التعريف بين الطرفين وبعد فترة قصيرة انصرف الأمير عبد الله إلى قصر عابدين الذي ينزل فيه وبعد وصوله بساعة ونصف زاره اللورد كتشنر وكان عبد الله متردداً في استقباله بسبب موقف أبيه وسياسته في الحجاز وارتباطه بالدولة العثمانية[1]، إلّا أنّه قبل استقبال اللورد الذي جاء ومعه السكرتير الشرفي لدار الاعتماد البريطاني رونالد ستورس وبعد السلام بين الطرفين قال كتشنر لعبد الله: إنني اغتنم فرصة مروروك بمصر لأبلغك شكر حكومتي على ما يلقاه الحجاج الهنود

(1) سعيد، الثورة، ج1، ص125.

من عناية والدك واهتمامه في أثناء تأديتهم لفريضة الحج، وخاصة استتباب الأمن. وطلب من عبد الله أن يبلغ والده هذا الشكر وأن يبلغه أنّ حكومته لا ترضى بأي تغيير في الحجاز، فشكره الأمير عبد الله على مجاملته[1].

وبعد خروج اللورد كتشنر قصد الأمير عبد الله بيت المندوب السامي العثماني وأخبر الوزير تفاصيل الزيارة واستأذنه برد واجب الزيارة، وطلب منه أن يبلغ الباب العالي حقيقة الأمر كي لا تُفهم بشكل آخر. وفي اليوم التالي ردّ الزيارة للورد[2].

وبعد عام من هذا اللقاء أي في شباط عام 1914 وبينما كان الأمير عبد الله في طريقه إلى استانبول مر على القاهرة لزيارة الخديوي، وفي أثناء الزيارة اجتمع باللورد كتشنر ومستر رونالد ستورس. وفي أثناء الحديث أشار عبد الله إلى العلاقات المتوترة بين والده والعثمانيين ولمح بحدوث ثورة في الحجاز إذا حاول العثمانيون عزل والده. واستهدف عبد الله من هذا محاولة معرفة موقف بريطانيا إن حدث هذا وكان ردّ كتشنر: «إن إنكلترا حريصة على إبقاء علاقاتها وديّة مع العثمانيين وأنّها تساعد العرب ضمن هذه الدائرة مراعاة للصداقة التقليدية التي تربطها بالعثمانيين»[3]. وأرسل اللورد برسالة سرية إلى حكومته يبلغهم بما جاء من الأمير

---

(1) سعيد، أسرار، ص35.

(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص75.

(3) أنيس وحراز، المصدر السابق، ص221؛ محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (القاهرة: 1976)، ص397.

عبد الله وموقف والده في الحجاز وعلاقتهم المتوترة مع الحكومة العثمانية، وأنّهم يريدون القيام بثورة وأنه أخبرهم بعدم استعداد بريطانيا لتقديم المساعدة[1]. ثم أرسل اللورد كتشنر مستر ستورس إلى الأمير عبد الله يخبره فيها أن الباخرة الحربية المخصصة للسفير البريطاني في استانبول تحت تصرفه وأعطاه رسالة يسلمها للسفير البريطاني هناك. كما أخبره أنّ بريطانيا التي ليس لها حق التدخل في الشؤون الداخلية لمنطقة ما إلّا أنّها لا ترضى بأيّة حركات يسببها العثمانيون ضد السلام السائد في الحجاز[2]. وأرسل الأمير عبد الله بكل ما جرى إلى والده وسافر إلى استانبول وتباحث مع الوزراء بشأن شروط مد سكة حديد الحجاز. وعاد بعد ذلك ليعرض تلك الشروط على والده ثم عاد إلى استانبول. وفي أثناء وجوده هناك أعلنت الحرب العالمية الأولى فغادر استانبول في 18 آب 1914 وكان معه شقيقه فيصل وفي أثناء العودة حلَّا ضيفين على خديوي مصر، وزار ستورس الأمير عبد الله وأخبره أنّ الحكومة البريطانية بدأت تشعر بأحقية العرب في الحصول على استقلالهم وقد يأتي يوم تعينهم فيه للحصول على استقلالهم. وسلمه كتاباً من حكومته موجهاً إلى الشريف حسين تشكره فيها على خدمته للأماكن المقدسة وأنها لا تمانع في إعادة الخلافة للعرب[3].

---

(1) نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) 1914. 1915، ط2، مج1، (بيروت: 2000)، ص443.

(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص82.

(3) عمر أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص77 ـ 78.

وفي أيلول عام 1914 أرسل ستورس إلى كتشنر الذي أصبح وزيراً للحربية يطلب منه إعطاءه الصلاحية الكافية في التفاهم مع الأمير عبد الله، وما هو موقف العرب إن دخل العثمانيون الحرب إلى جانب ألمانيا. وأخبر كتشنر عن الفوائد التي سيجنيها البريطانيون من العرب إذا وقفوا إلى جانبهم. وعندما وصل الخطاب إلى كتشنر وافق على الفور على بدء المحادثات مع الأمير عبد الله[1] لذلك أرسل ستورس رسالته الأولى مع شخص مصري الجنسية اسمه علي أصغر دخل الحجاز كتاجر وبلغ مكة في 13 تشرين الأول وسلم الرسالة إلى الأمير. وكانت الرسالة تتضمن موقف بريطانيا الجديد على لسان كتشنر إذ أوضح ستورس في الرسالة: «إنّ اللورد كتشنر طلب مني أن أرى موقفكم هل أنتم باقون على مطلبكم الأول في القيام بحركة ضد العثمانيين والمطالبة باستقلالكم؟ لأننا الآن وبعد وصولنا أخبار بنية انضمام العثمانيين إلى جانب الألمان فإننا نستطيع مساعدتكم وتقديم أي شيء تريدونه»[2]. وردّ عبد الله على الرسالة بأنّهم ليسوا مستعدّين في الوقت الحاضر للقيام بشيء وأنّهم إذا رأوا أنّ أعمال العثمانيين تصل إلى حدّ لا يمكن السكوت عليه، عند ذلك يقومون بالثورة على شريطة أن يساعدهم البريطانيون[3]. وعندما وصل الردّ

---

(1) مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، ج1، (بيروت: 1971)، ص21.

(2) مصطفى، لورانس، ص128.

(3) أنطونيوس، المصدر السابق، ص212.

إلى ستورس أرسل بخلاصة إلى اللورد كتشنر، وجاء رد كتشنر برسالة أخرى وصلت عن طريق ستورس إلى الأمير عبد الله في 16 تشرين الثاني وكان مضمونها أنّ البريطانيين ما يزالون على موقفهم، خاصة أنّ العثمانيين قد عزموا نهائياً على الدخول إلى جانب الألمان في الحرب، فإنّ الفرصة سانحة لإعلان الثورة، وإنّنا نؤيدكم بها على أن تقفوا معنا في الحرب وإنّ ملك بريطانيا ينظر بعين العطف في تنصيب خليفة عربي على المسلمين[1].

عندما وصلت هذه الرسالة إلى الشريف حسين وولده عبد الله ترددا في قبول العرض، لذلك أراد الشريف حسين أن يتبع خطة التسويف مع البريطانيين حتى ينهي مشكلته مع الاتحاديين. لذلك كتب الأمير عبد الله إلى ستورس على لسان والده يقول فيه إنهما «يولون اقتراحات الإنكليز كل اهتمام، ولكن الوضع حرج الآن ومن الضروري التريّث حتى يحين الوقت المناسب»، وأبدى الشريف حسين رغبته في التعاون مع بريطانيا شريطة حمايتها مصالح العائلة مع تعهّد خطي بذلك. وعندما وصلت الرسالة إلى ستورس وافق على ما جاء فيها وأبلغت الحكومة البريطانية القاهرة موافقتها على هذا التعهد ودعمها للعرب ضد أي اعتداء خارجي وعدم التدخل في شؤون الحجاز واستعدادها للوقوف لجانب الحسين عند مبايعته بالخلافة. ورد عبد الله نيابة عن والده بالتمسك بالمقترحات البريطانية[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص212 ـ 213.

(2) سعيد، الثورة، ج1، ص127.

2 ـ الاتصالات الثانية:

تسلم السير هنري مكماهون(*) وظيفة اللورد كتشنر في مصر في كانون الثاني عام 1915 ومنذ وصوله إلى مصر أخبره ستورس بما جرى من مفاوضات تمهيدية مع الشريف حسين وكيف توقفت لذلك بدأ هنري مكماهون أيضاً بالعمل على الاتصال ثانية مع الشريف(1).

وقد كان المسؤولون البريطانيون في القاهرة والخرطوم على عجلة من أمرهم في الاتصال مع الشريف حسين خوفاً من انضمامه إلى جانب العثمانيين، لذلك عملوا على توسيع نطاق الاتصال مع الشريف. إذ واصل وِنَّجِت(**) سعيه في الاتصال مع الشريف واستفسر منه عن رغبة بريطانيا بإرسال بعض الأموال للحرمين الشريفين من مصر والهند، وفيما إذا توافرت السبل لإيصالها أو لا، وقد جعل ونجت السيد علي الميرغني أحد علماء الدين في السودان واسطة اتصال بينه وبين الشريف حسين. وكان

(*) من مواليد 1862 درس في كلية هيليبري وكلية ساندهرت العسكرية وتخرج ضابطاً في 1883 وانتقل إلى الدائرة السياسية لحكومة الهند وتقلد مناصب عديدة حتى أصبح عام 1911 سكرتير الشؤون الخارجية في حكومة الهند البريطانية. ينظر: صفوة، المصدر السابق، مج2، ص93.

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص245 ـ 247.

(**) من مواليد 1861 برودفيلد الاسكتلندية تخرج من الآكاديمية العسكرية الملكية في سنة 1880 وتقلّد مناصب عديدة وخاصة في السودان ثم أصبح حاكماً عليها وسردار الجيش المصري بعد سقوط الدولة المهدية وتوفي عام 1953. ينظر: صفوة، المصدر السابق، مج2، ص95.

الميرغني كثير الاتصال بالشريف ويلح عليه فيما يحتاجه من بريطانيا من أسلحة وذخائر وأي شيء. ونتيجة لاتصالاته الكثيرة دفع هذا بالشريف حسين أن يرسل في نيسان عام 1915 وفداً من رجاله لدراسة الإمكانيات المتوفرة في السودان(1).

كما اتصل الأمير فيصل ببعض الزعماء العرب والجمعيات العربية في دمشق وأخذ تفويضاً بالتكلم نيابة عنهم، وأن يمثل الشريف حسين العرب في مفاوضاته، لذلك عقد الحسين اجتماع الطائف مع أبنائه بعد عودة فيصل في 20 حزيران من دمشق وذلك للتباحث فيما يفعلونه. وكانت النتيجة القيام بالاتصالات ثانية مع بريطانيا ليس باسم الحجاز فقط وإنما باسم العرب جميعاً(2). بدأت المراسلات المشهورة بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون في تموز عام 1915 وعرفت تلك الرسائل بمراسلات حسين ـ مكماهون. وقد بدأت تلك الرسائل بمذكرة من الشريف حسين وضح فيها بعض قواعد الاتفاق المزمع إبرامه مع بريطانيا وأرفقت المذكرة بكتاب من الأمير عبد الله إلى رونالد ستورس وأرسلت المذكرة والرسالة مع الشيخ محمد عارف بن عريفاني أحد أمناء الشريف حسين في 14 تموز عام 1915(3).

وكانت رسالة الأمير عبد الله تتضمن الشروط المتعلقة بالقضية العربية، كما صرح عبد الله لبريطانيا أن لا يشغلوا أنفسهم

---

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص225 ـ 226.

(2) عمر أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص79.

(3) أنطونيوس، المصدر السابق، ص251.

بآراء الشعب لأنّهم كلهم ميّالون لجانبهم ولحكومتهم، وأرجو أن تفسحوا المجال للحكومة المصرية لترسل الهدايا المعروفة والحنطة لفقراء مكة والمدينة التي أوقفت تلك السنة بسبب حرب القناة وإن هذا العمل له أثر فعّال في توطيد مصالحنا المشتركة[1].

أمّا مذكرة الشريف حسين فكانت تتضمن بعض الشروط والمطالب في حال الاتفاق مع بريطانيا وهذه المطالب هي:

1 ـ أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من: شمالاً خط مرسين ـ أضنة الموازي لخط 37 شمالاً الذي تقع عليه برجيك ـ أورفة ـ ماردين ـ مديات ـ جزيرة ابن عمر ـ عمادية حتى حدود فارس وشرقاً حدود فارس إلى خليج البصرة وجنوباً المحيط الهندي باستثناء عدن التي ستحتفظ بوضعها الحالي[*] وغربا البحر الأحمر والأبيض المتوسط حتى مرسين وعلى بريطانيا أن توافق على إعلان خلافة عربية على المسلمين[2].

2 ـ أن تعترف حكومة الشريف حسين بأفضلية بريطانيا في المشاريع الاقتصادية في البلاد العربية.

---

(1) وجيه علم الدين، العهود المتعلقة بالوطن العربي 1908 ـ 1922، (بيروت: 1965)، ص22 ـ 23.

(*) أي تبقى تحت السيطرة الإنكليزية لأنها تحت سيطرتها منذ عام 1839 عندما احتلوها. ينظر جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، (القاهرة: 1969)، ص128 ـ 129.

(2) F.O. 371, 2768, 80305, No.83, 28 APR 1916. P.161.
صفوة، المصدر السابق، مج1، ص505 .

3 ـ للحفاظ على استقلال البلاد العربية وتأميناً لأفضلية بريطانيا في المشاريع الاقتصادية، يتعاون الفريقان لتقديم العون لبعضهما في قواتهما البحرية والحربية لمجابهة أية قوة أجنبية يمكن أن تهاجم الفريقين وأن لا يُعقد صلح إلّا بموافقة الطرفين[1].

4 ـ إن دخل أحد الطرفين في حرب على الطرف الآخر الوقوف على الحياد وإن طلب منه الطرف الآخر الوقوف معه فعليهما أن يعقدا اتفاقاً لذلك.

5 ـ على بريطانيا أن تعترف بإلغاء الامتيازات الأجنبية في البلاد العربية وذلك من خلال إقامتها مؤتمراً دولياً لذلك والمصادقة عليه.

6 ـ إن مدّة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة هي خمس عشرة سنة. وإذا أراد طرف تمديدها عليه أن يُطلع الطرف الآخر على رغبته قبل انتهاء الفترة المحددة[2].

وأخيراً فإن الشعب العربي قد اتّفق واتّحد وإنّني أرسلت لكم هذه وأنتظر الإجابة خلال 30 يوماً سواءٌ وافقتم أم لا وإذا لم يأتِ الجواب خلال هذه المدة فإننا أحرار فيما نفعله[3].

إنّ مذكرة الشريف حسين ورسالة ابنه عبد الله كان فيهما

---

(1) مصطفى، لورانس، ص130 ـ 131.

(2) F.O. 371, 2768, 80305, No.83, 28 APR 1916. P.161

سعيد، أسرار، ص67 ـ 68.

(3) محمد عزة دروزة، الوحدة العربية، (بيروت: 1957)، ص119.

بعض المبالغة في رغبة العرب جمعيهم بالاتصال مع بريطانيا. ذلك أنّ كثيراً من العرب في الولايات العربية كانوا يريدون البقاء في ظل الخلافة العثمانية على الرغم من أخطاء الاتحاديين.

ردّ السير هنري مكماهون على رسالة الشريف حسين بالرسالة المؤرخة في 30 آب سنة 1915[1] وقد جاء فيها بعد السلام والتبجيل لمكانة الشريف «إننا نشكركم على تعاونكم معنا وإنّ مصالحنا مشتركة وإنّ ما قاله اللورد كشتنر سابقاً نؤكده لكم وإنّ جلالة الملك (ملك بريطانيا) يرحّب بأن تكون الخلافة عربية»[2]. أما بالنسبة «لمسألة الحدود والتخوم فإنّها سابقة لأوانها وذلك بسبب الحرب الآن خاصة وأنّ بعض المناطق لازالت بيد العثمانيين، ولكن مسألة إرسال الهدايا والحبوب من مصر فإننا على استعداد ومتى ما أردتم أن نرسلها فإننا نرسلها»[3].

ثم أرسل الشريف حسين رسالته الثانية والمؤرخة في 9 أيلول عام 1915 وجاء فيها: أنّ مشكلة الحدود والتخوم تهمنا كثيراً وأنها مسألة حاسمة بالنسبة لنا، وأن جميع العرب ينتظرون نتيجة ما نتوصل إليه معكم من اتصالات، سواءٌ رفضتم أم قبلتم قضية الحدود[4]. أمّا بالنسبة «لمسألة الحبوب والهدايا

---

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط5، (بيروت: 1968)، ص744.،

(2) علم الدين، المصدر السابق، ص25 ـ 26.

(3) عبد الحميد البطريق، الأمة العربية، (مصر: د.ت)، ص100 ـ 101.

(4) أنطونيوس، المصدر السابق، ص257.

من مصر فإنّها من الأوقاف الخاصة وليس لها علاقة بالسياسة، وإذا عزمت على إرسالها فأرسلوا عن السنتين الماضيتين باخرة خاصة إلى جدّة باسم الشعب. وإذا أردتم الإجابة على رسالتي فأرغب أن ترسلوها مع ربّان الباخرة»[1]. وعندما وصلت الرسالة إلى مكماهون وقرأ ما جاء فيها لم يجد منفذاً لمطالب الحسين. لذلك أرسل إلى لندن يطلب تزويده بتعليمات خاصة[2]. وجاءته التعليمات التي بنى عليها رسالته التالية التي تعد وثيقة مهمة بالنسبة للمراسلات بين الطرفين إذ جاءت الرسالة الجوابية المؤرخة في 24 تشرين الأول سنة 1915 بعد السلام للشريف وأن رسالته وصلت وأننا نأسف على أنّكم استنتجتم من رسالتنا السابقة في مسألة الحدود والتخوم بأننا أخذنا المسألة بشكل غير جدي، إلّا أنّنا لم نكن نقصد هذا وأن الظروف في تلك الفترة لم تكن على ما يرام بسبب الحرب[3]. وقد أدركت أهمية تلك المسألة لكم لذلك أرسلت إلى الحكومة وأبلغتها بشأن هذا وجاءت التعليمات الآتية التي لا شك أنكم سترضونها، إذ إنّ ولايتي مرسين وإسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية من ولايات دمشق الشام وحمص وحلب، لا يمكن أن يُقال إنّها عربية محضة. وعليه يجب أن تُستثنى من الحدود المطلوبة مع هذا التعديل وبدون

(1) صفوة، المصدر السابق، مج1، ص530.
(2) المصدر نفسه، ص522 ـ 524.
(3) علم الدين، المصدر السابق، ص30.

تعرّض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود[1].

وأمّا بالنسبة للأقاليم التي تضمّ تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمسّ مصالح حليفتها فرنسا، فإني مفوّض من الحكومة أن أقدم المواثيق الآتية:

1 ـ أنه بموجب مراعاة التعديلات المذكورة آنفاً فإن بريطانيا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب داخل تلك الحدود من الأقاليم التي يطلبها الشريف.

2 ـ أنّ بريطانيا تضمن الأماكن المقدسة من التعدي الخارجي.

3 ـ أنّ بريطانيا حالما تسمح لها الظروف ستمد نصائحها للعرب في إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة[2].

4 ـ أنّ على العرب استشارة بريطانيا فقط وأن تشكل هيئة قوية من المستشارين في البلاد العربية يجب أن يكون الكثيرون منهم من بريطانيا.

5 ـ أنّ العرب يعترفون بمصالح بريطانيا في بغداد والبصرة لذلك يستلزم اتخاذ تدابير إدارية خاصة للحفاظ على هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي.

وأخيراً فإنني متيقّن أن هذا التصريح يؤيّد لدولتكم ميل

---

(1) F.O. 371, 2766, 8030, No.83, 28 APR 1916. P.162.
شبيكة، المصدر السابق، ج1، ص184.

(2) عمر أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص80 ـ 81.

بريطانيا نحو رغائب العرب في التخلّص من نير العثمانيين واستقلالهم. وقد اقتصرت في كتابي هذا على الجوانب المهمة وإن كانت هناك مسائل أخرى نعود إليها في وقت لاحق[1]. أرسل الشريف حسين رسالة ثالثة في 5 تشرين الثاني سنة 1915 جواباً عمّا جاءه من ردّ من مكماهون للرسالة الثانية. ويلاحظ شيئان خطيران في رسالته هذه، وهي تساهله من ناحية بشأن الاتفاق والأخرى تمسّكه بالأهداف العربية الرئيسية من غير التماس بالتساهل لأنّه تنازل عن أضنة التي تضمّ مرسين، ولم يتنازل عن الإسكندرونة محتجّاً أنّ أهلها عرب أقحاح سواء كانوا مسلمين أم نصارى على خلاف أهل أضنة. أمّا مطالب بريطانيا في العراق فقد شجبها مؤكداً على أنّه لا يمكن التساهل بأمرها[2]. وفي الوقت نفسه عاد ورضي بأن يبقى أشراف بريطانيا على البلاد التي احتلها الجنود البريطانيون آنذاك وهي البصرة وما جاورها. كما أثار الحسين في جوابه نقطة جديدة حول التحالف العربي البريطاني وهل أنّ بريطانيا ترضى بالصلح وتدع أصدقاءها العرب وجهاً لوجه أمام العثمانيين والألمان[3].

---

(1) F.O. 371, 2766, 8030, No.83, 28 APR 1916. P.162
أنطونيوس، المصدر السابق، ص260.

(2) الجنرال كيللر، العرب والاستعمار، (بيروت: 1964)، ص41؛ صايغ، الهاشميون، ص69؛ الدسوقي، المصدر السابق، ص399.

(3) عمر أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص82.

وقد جاء ردّ هذه الرسالة من مكماهون في 14 كانون الأول 1915 وكان رده يتضمن سروره عن تنازل الحسين عن أضنة وأنه يعده بمساعدة العرب وعدم تركهم وحدهم في مواجهة العثمانيين مع تشبثه بسواحل سوريا، لا لأنّ سكانها ليسوا عرباً وإنما لأنّ مصالح حليفتهم فرنسا تستدعي ذلك. إلّا أنّه خوفاً من إصرار الشريف ورغبته ببقاء سواحل سوريا ضمن البلاد العربية أوضح مكماهون أنها نقطة جديرة بالتباحث فيه فيما بعد[1]. ثم أرسل الشريف حسين رسالة أخرى لمكماهون في 1 كانون الثاني عام 1916 أوضح فيه عن سروره بشأن التأكيدات التي قطعتها بريطانيا للعرب، كما أوضح أنه غير موافق على اقتطاع أي جزء من البلاد العربية سواء لفرنسا أم غيرها. كما أكّد أنّه تسهيلاً للعلاقات بينه وبين إنكلترا فإننا نقبل ببعض التعديلات الخاصة بالسواحل السورية خلال فترة الحرب فقط على أن تضمّ للولايات العربية بعد انتهاء الحرب[2]. وفي 25 كانون الثاني 1916 ردّ مكماهون على الشريف حسين برسالة أوضح فيها التأكيد على مساعدة العرب كما نوّهت رسالته للشريف بأن علاقة بريطانيا ستكون أقوى مع فرنسا بعد انتهاء الحرب إذا انتصروا[3]. وفي 18 شباط 1916 بعث الشريف حسين رسالة إلى مكماهون أوضح فيها بعض مطالبه

---

(1) ساطع الحصري، يوم ميسلون، (بيروت: 1948)، ص55؛ شبيكة، المصدر السابق، ج1، ص223 ـ 234.

(2) سعيد، أسرار، ص78.

(3) صفوة، المصدر السابق، مج1، ص643.

واحتياجاته من أموال ومؤن وإمدادات للتجهيز للثورة. كما أوضح لمكماهون تحرّكات أبنائه في المنطقة وتحضيراته للقيام بالحرب ضد العثمانيين[1]. وجاء ردّ مكماهون للشريف في 10 آذار عام 1916 مرسلاً بعض مطالب الشريف الخفيفة مع رسول وهو يؤكّد وجود ذخائر كافية تحت الطلب وأشار إلى انتصارات الحلفاء وذلك لكي يشجع الحسين على إعلان الثورة[2].

وبهذا انتهت المراسلات بين الشريف حسين ومكماهون ويلاحظ على هذه المراسلات:

1 ـ لغة التبجيل والمبالغة في التعظيم للشريف حسين، فقد كان البريطانيون يداهنون الحسين ويجارونه في أحلامه ولكنهم لا يعطونه وعوداً صريحة ويرسلونها مع رسول بطريق شفوي ولا يقيدون أنفسهم بوعد مكتوب.

2 ـ أنّ الحسين نصّب نفسه ممثلاً عن العرب في آسيا وهو لا يملك هذا التخويل، ولاسيما أنّ البلاد كانت تحت الحكم العثماني. كما أنّ بريطانيا تعهّدت للحسين بالخلافة وكأن بريطانيا هي صاحبة الحلّ في قضية الخلافة.

3 ـ أنّ الحسين تنازل عن مناطق من دون ضمانات كافية لوعود بريطانيا، إذ تنازل عن ولاية مرسين والمناطق الشمالية من سوريا، وأنّه وافق على مصالح فرنسا في ولاية بيروت مؤقتاً

---

(1) سعيد، أسرار، ص83.

(2) صفوة، المصدر السابق، مج1، ص651.

لما بعد الحرب وعلى مصالح بريطانيا في بغداد والبصرة على أن تدفع تعويضات خلال هيمنتها عليها. وأخيراً قبول المساعدات المالية للقيام بثورة ضد العثمانيين[1].

---

(1) محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، دراسة تحليلية للربع الأول من القرن العشرين، (بيروت: 2000)، ص187 ـ 190.

المبحث الثالث

الثورة العربية

في عام 1915 اتصل القوميون العرب مدنيين منهم وعسكريين وخاصة أعضاء جمعيتي العهد والفتاة بالشريف حسين لكي يكون زعيماً للعرب في القيام بثورة ضد العثمانيين. وكان الشخص الذي أرسله القوميون العرب من سوريا هو فوزي البكري أحد أبناء الوطنيين السوريين[1]. وكانت فكرة الاتصال بالشريف حسين منذ البداية هي فكرة طالب النقيب أحد زعماء مدينة البصرة، ذلك لأنّ الشريف حسين من الشخصيات البارزة وله مكانة دينية خاصة لدى العرب[2]. وكان الكثير من العرب وخاصة القوميين منهم يرون أنّ مكة هي المكان الأنسب لتحمّل أعباء الثورة على العثمانيين واختيار مكة جاء لأسباب، منها بعدها عن مركز

(1) محمود كامل، الإسلام والعروبة تحليل لعوامل الوحدة بين عشرين دولة عربية، (القاهرة: د.ت)، ص164.

(2) نوري السعيد، مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا 1916 ـ 1918، ط2، (بيروت: 1987)، ص10.

الدولة العثمانية ولما تمتاز به من مكانة دينية لدى العرب والشعوب الإسلامية[1].

1 ـ أسباب الثورة:

كانت لقيام الثورة العربية أسباب عديدة إذ يبيّن الشريف حسين هذه الأسباب من خلال المنشور الأول للثورة الذي أصدره في 26 حزيران 1916 كما يأتي:

1 ـ أنّ الاتحاديين تلاعبوا بأموال الدولة وأثقلوها بالقروض.

2 ـ أنّ سياسة الاتحاديين غير الجيدة أضاعت بعض الأراضي العثمانية مثل البوسنة والهرسك وألبانيا ومقدونيا وطرابلس الغرب[2].

3 ـ أنّهم أرادوا إجبار الولايات على التكلم بالتركية (سياسة التتريك) وترك لغاتهم الأصلية ولاسيما الولايات العربية[3].

4 ـ أنّ الاتحاديين سلبوا سلطة السلطان وسيطروا على وظائف الدولة الكبرى مثل الصدر الأعظم وشيخ الإسلام.

5 ـ كما أنّ رجال الاتحاد والترقي زجّوا الدولة العثمانية في حروب أوروبية خرجت منها خاسرة.

6 ـ أنّ رجال الاتحاد والترقي انتهزوا فرصة إعلان الأحكام

---

(1) صايغ، الهاشميون، ص39 ـ 40.

(2) شهاب، المصدر السابق، ص179 ـ 180.

(3) هادي حسن عليوي، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي 1918 ـ 1952، (بيروت: 2000)، ص50.

العرفية لإعدام الكثير من كبار الدولة المعارضين لسياستهم وخاصة إعدام جمال باشا للوطنيين في سوريا[1].

7 ـ وهناك سبب شخصي ومحلي يتعلّق بالشريف حسين وبالحجاز لقيام الثورة لم يبيّنه الشريف حسين في منشوره، وإنّما أورده بعض المؤرخين، وهو أنّ الشريف حسين اعتقد بأن (الاتحاديين)، يريدون أن ينتزعوا منه ثقة الناس به ومن بنيه وأنّهم يتحينون الفرصة لاعتقاله وإبعاده عن الحجاز. أمّا العامل المحلّي فيتعلّق بمركز الحجاز الاقتصادي، ذلك أنّ الحجاز يعيش بحالة جيدة إذا ازدهر فيه موسم الحج. أمّا إذا حدث شيء ما يؤثر في موسم الحج فإن أهل الحجاز يتأثرون ويعيشون في حالة اقتصادية صعبة. وإذا علمنا أنّ الحرب العالمية الأولى قامت في شهر رمضان فإنّ هذا أثّر في موسم الحج وبالتالي الحالة الاقتصادية في الحجاز خاصة بعد دخول الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا إذ ضرب الإنكليز الحصار البحري على سواحل الدولة العثمانية ومنها سواحل الحجاز في البحر الأحمر الذي أثّر في تناقص عدد الحجاج في تلك السنة والسنوات اللاحقة إلى حين انتهاء الحرب.

8 ـ التشجيع الأجنبي الذي كان يحمل في طياته الوعد العاجل

---

(1) شهاب، المصدر السابق، ص180 ـ 187؛ أحد أعضاء الجمعيات العربية السرية، ثورة العرب ضد الأتراك مقدماتها - أسبابها ـ نتائجها، تحقيق محمد شبارو، (بيروت: 1987)، ص26 ـ 34.

بالمال وبالسلاح والوعد الآجل بالحرية والوحدة (وعود الإنكليز للشريف حسين).

9 ـ ومما عجّل بالثورة تعيين جمال باشا قائداً أعلى للجيش ومنحه صلاحيات واسعة في سوريا وإعدامه للقوميين العرب[1].

2 ـ إعلان الثورة:

بدأت الثورة العربية رسمياً بإطلاق الشريف حسين الرصاصة الأولى من شرفة بيته في الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم السبت الموافق 10 حزيران 1916 على الثكنة العسكرية في مكة المكرمة. وكانت هذه الإطلاقة هي إعلان استقلال العرب وبدء ثورتهم على سلطة العثمانيين وكانت هي الإشارة المتفق عليها مع رجاله لبدء الثورة[2].

وقد أدرك العثمانيون أنَّ الشريف حسين قد خدعهم وأنَّ الأمر قد أفلت من أيديهم. وكان بصري باشا محافظ المدينة هو أول من تنبه إلى هذه الحقيقة وكان يدعو إلى قتل الشريف حسين وأولاده واتّباع سياسة حازمة في الحجاز. وقد قال كلمته المشهورة: «لقد انتصر الذكاء العربي على الذكاء التركي في هذه

---

(1) أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص75؛ حمادة، المصدر السابق، ص26.

(2) بيير روندو، مستقبل الشرق الأوسط، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز، (بيروت: 1959)، ص89؛ نبيه أمين فارس ومحمد توفيق حسين، هذا العالم العربي، (بيروت: 1953)، ص98؛ مذكرات سليم علي سلام (1868 ـ 1938) مع دراسة للعلاقات العثمانية العربية والعلاقات الفرنسية اللبنانية، قدّم لها وحققها وعلّق على هوامشها الدكتور حسّان علي حلّاق، (د.م: د.ت)، ص47.

المعركة وفاز عليه»[1]. اتّبع أتباع الشريف حسين خطة محكمة لغرض فرض سيطرتهم على الحجاز وقسمت كالتالي: هاجم الأميران علي وفيصل المدينة المنورة[2]. وهاجم الأمير عبد الله الطائف، وهاجم الشريف عبد المحسن البركاتي ثكنة العثمانيين في مكة، وهاجم الشريف محسن بن أحمد منصور شيخ قبائل حرب مدينة جدة[3]. وكانت هذه القوات التابعة للشريف حسين قد زوّدت بالسلاح والمال من قبله وبعضها من العثمانيين، إذ أخذوا بعض الأموال من العثمانيين لكي يساهموا معهم في القتال في معركة القناة إلّا أنّهم خدعوا العثمانيين وقاتلوهم بأموالهم[4].

كما أنّ لورانس (أحد ضبّاط المخابرات العسكرية البريطانية) التحق بالثورة في تشرين الثاني 1916 وعمل مستشاراً لفيصل الذي تولّى قيادة أحد جيوش الثورة الثلاثة إلى جانب أخويه عبد الله وعلي[5].

إنّ أول مدينة استسلمت هي مدينة جدّة حيث هاجمها الشريف محسن صباح يوم الأحد 11 حزيران 1916 على رأس 3500 مقاتل من قبائل حرب. وكانت الحامية العثمانية مجهزة بالمدافع والرشاشات فلم يكن من السهل أن يسيطر عليها من دون مساعدة،

---

(1) سعيد، الثورة، ج1، ص157 ـ 158.
(2) المصدر نفسه، ص201.
(3) الزبيدي، المصدر السابق، ص70.
(4) الفواز، المصدر السابق، ص129 ـ 131.
(5) ت.أ. لورانس، أعمدة الحكمة السبعة، (بيروت: 1963)، ص64؛ أبو النصر، مجلة الحرب، مج3، ص122.

وتحصّنت الحامية في شمال المدينة وجنوبها وفي اليوم التالي ضرب الأسطول البريطاني مراكز العثمانيين بالمدافع ولم تستطع القوات العثمانية إطالة المقاومة من جراء القصف البريطاني لذلك رفعت الحامية العثمانية راية التسليم في 16 حزيران[1]، وأنذرت بعدم إتلاف مدافعها وأسلحتها. وبلغ عدد الجنود الذين استسلموا فيها 1346 جنديّاً و47 ضابطاً وغنم العرب عشرة مدافع ميدان وأربعة مدافع جبلية ومستودعاً كبيراً للذخائر والعتاد[2]. وفي يوم 27 تموز استولى العرب على رابغ وينبع على الساحل. وفي 15 آب سيطروا على ثغر الليث بين الحجاز واليمن وعلى ثغر أملج على القنفذة بمساعدة الأسطول البريطاني وبذلك دخلت هذه المناطق في طاعة الشريف حسين[3] وبعد أن رأت بريطانيا أنّ الثورة أصبحت حقيقة واقعة أرادوا إثبات وجودهم، لذلك أرسلوا في 27 حزيران الكولونيل ولسن حاكم بور سودان مندوباً للجنرال ونجت حاكم السودان ـ الذي كان مسؤولاً عن الحركات الحربية في الحجاز لدى حكومته ـ إلى جدّة يحمل كتاباً إلى الشريف يهنّئه بالثورة والاستقلال. كما جاء ببعض القوة من قبيل المساعدة مجهزة ببطارية ميدان وبطارية مكسيم وثلاثة آلاف بندقية و320 جنديّاً معهم 240 دابة وجميعهم بقيادة اللواء سيد بك علي[4].

---

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص295.
(2) أحد أعضاء، المصدر السابق، ص195.
(3) المصدر نفسه، ص196.
(4) سعيد، الثورة، مج1، ص148 ـ 149.

بعد ذلك هاجمت القوات العربية الجنود العثمانيين الموجودين في الثكنات في الحجاز، وكان هؤلاء في تمريناتهم الرياضية المعتادة بدون سلاح أو استعداد وكان يتولّى قيادتهم درويش بك. وحينما رأى هذا الموقف الحرج خاطب قصر الشريف حسين بالهاتف عن السبب الذي أدّى إلى هذا الهجوم فأجابه الشريف: «إنّ العرب لا يرضونكم حكاماً عليهم. فأجابه درويش بك إذا كان الأمر كذلك فأرسل من قبلك مأموراً مدنياً لكي نسلمه السلاح والجنود، فنحن لا نريد إراقة الدماء». وكان درويش بك يبغي من هذه العملية الخديعة[1] إذ استجاب الحسين للطلب وأرسل الشريف شرف عبد المحسن البركاتي لمقابلة درويش بك واستلام الثكنة. فطلب من درويش بك دخول الجند إلى الثكنة لإتمام عملية التسليم ولما كان ذلك غير مستطاع قبل أن يكفّ الثوّار عن إطلاق النار ويرفعوا الحصار، لذا طلب الإيعاز إليهم بالانصراف ليدخلا سوية ويجريا العملية المطلوبة، فانخدع الشريف وأمر الثوار بالتفرّق فدخل الجند الثكنة فوراً وتقلّدوا سلاحهم وأخذوا أهبتهم للقتال وحذّر أحد الضبّاط العرب الشريف فنجا بنفسه[2]. وفي اليوم الثاني هجم العرب على موقع باش قرة قول (رأس العبد الأسود) الواقع حول الصفا واستولوا عليه. وفي اليوم الثالث توجّهت القوّات الشريفية إلى الحميدية حيث كان وكيل الوالي واستولوا عليها وأسروا من فيها وقد أرسل وكيل

---

(1) المصدر نفسه، ص147.

(2) الفواز، المصدر السابق، ص170.

الوالي كتابين بخط يده الأول إلى قائد ثكنة جرول والثاني إلى قائد قلعة جياد يخبرهما بما كان من أمره وأمر جنوده، وطلب منهما أن يسلّما للعرب حقناً للدماء إلّا أنّهما رفضا ذلك وقاما بإطلاق القنابل والرصاص. وبعد مضي بعض الوقت ووصلت المدافع للقوات الشريفية التي اغتنموها من جدّة فسلّطوا نيرانهم على القلعة فدمّروها ثم اقتحموها يوم الثلاثاء 4 تموز 1916 وأسروا حاميتها وغنموا ثلاثة مدافع جبلية ومدفعين من العيار الكبير وكمية من الذخائر والعتاد[1]. بعد ذلك تحولت المدفعية إلى قلعة جرول بعد استسلام حصن جياد، وبعد ضربها أربعة أيام هاجمها العرب فاستسلم رجالها وتم اقتحامها مساء يوم الأحد 9 تموز، وأسروا حاميتها وجرّدوها من السلاح إلّا أنّ الشريف أصدر أمراً خاصّاً بإبقاء جميع أمتعة الجنود الخاصة وأموالهم وجيادهم. وقد قتل من العثمانيين (21) وجرح (76) جنديّاً وكان عدد الأسرى (30) ضابطاً و (120) جنديّاً. وبهذا أصبحت مكة المكرمة خارجة عن سيطرة السلطات العثمانية[2].

3 ـ الحرب في الطائف:

ارتحل الأمير عبد الله إلى الطائف عندما تقرر إعلان الثورة بحجة أنّه ذاهب لتأديب عشيرة البقوم المتمردة، فوصل الطائف في 6 حزيران وكان في الطائف آنذاك الفريق غالب باشا والي

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص291؛ أحد أعضاء، المصدر السابق، ص194.
(2) أنطونيوس، المصدر السابق، ص294 ـ 295.

الحجاز[1]، قد ذهب هناك للاصطياف ومعه قائده العسكري العام وأركان حربه مع عدد من جنود الفرقة العسكرية و (83) ضابطاً وكان مع هذه القوة ما يزيد على عشرة مدافع و (1700) بندقية وكمية كبيرة من الذخائر[2]. وقد أحسّ العثمانيون في الطائف بما يدبّره الأمير في الخفاء وأنّ المسألة ليست لتأديب البقوم، لذلك طلب قائد الفرقة الأمير آلاي أحمد بك إلى غالب باشا أن يصدر أوامره باعتقال الأمير، إلّا أنّ الوالي رفض هذا قائلاً: إنّ اعتقاله يثير القوم علينا. وفي 9 حزيران غادر عبد الله الطائف وكان أول عمل أمر به هو قطع أسلاك الهاتف[3] وقطع طريق المسافرين إلى مكة واتجه إلى سفح جبل سواقة ليدير الحركات منه. وتجمعت القبائل حوله من ثقيف وعتيبة وهذيل وسبيع وبني الحارث والبقوم وجهزهم بالأسلحة والعتاد[4]. وفي ليلة 11 حزيران ابتدأ الهجوم على الطائف وردت المدفعية العثمانية على المهاجمين وشتتهم وبقي الموقف بين أخذ ورد إلى أن جاءت شحنة من الأسلحة الجديدة للعرب فاستطاعوا أن يسيطروا على هضبة أم السكارى واستولوا على مدفعين وقضوا على حاميتها العثمانية[5]. أما الطائف فقد حاصروها فقط في البداية لأنه لا توجد أسلحة ثقيلة معهم إلى أن جاءتهم بطاريات مدفعية جديدة من مكة، ثم جاءت

---

(1) سعيد، الثورة، مج1، ص145 ـ 146.

(2) سعيد، الثورة، مج1، ص198.

(3) سعيد، الثورة، مج1، ص146.

(4) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص111.

(5) المصدر نفسه، ص113 ـ 115.

المفرزة المصرية ومعها أربعة مدافع جبلية بقيادة اللواء سيد بك علي وصلت مدافع هاوتزر فأحاطت بالطائف وبدأ ضرب المدفعية مدة عشرة أيام إلى أن استسلم الوالي وأركان حربه وجنوده من دون قيد أو شرط في 22 أيلول. وبذلك أصبحت الطائف رسميّاً بيد جيش الأمير عبد الله[1]. وبلغ عدد الأسرى العثمانيين (83) ضابطاً و(1982) جنديّاً وغنموا مدافع وكمية من البنادق والعتاد[2]. وبتسليم الطائف زال الخطر الكبير على الثورة[3].

4 ـ أحداث الثورة العربية في المدينة المنورة:

قاومت القوات العثمانية في المدينة المنورة بشكل كبير القوات الشريفية ولمدة طويلة بسبب وصول الإمدادات لها[4]. إذ زاد عدد المقاتلين فيها على (14000) مقاتل في البداية على امتداد سكة الحديد[5].

عين الشريف علي حيدر باشا أميراً على الحجاز وكان معروفاً بتأييده للاتحاديين وقد جاء علي حيدر بقطار خاص من استانبول إلى دمشق، ثم قصد المدينة المنورة وقد قرر أن يتّخذها

---

(1) سعيد، الثورة، مج1، ص201.
(2) أحد أعضاء، المصدر السابق، ص196.
(3) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص118.
(4) السعيد، مذكرات، ص37 ـ 38.
(5) قدري قلعجي، جيل الفداء قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب، (عمان: 1967)، ص243.

عاصمة مؤقتة له ووصلها في أيلول 1916 ومعه شقيقه جعفر باشا[1].

وعمل علي حيدر على بثّ الدعايات للعثمانيين بين العرب ووزّع الأموال على الشيوخ إلّا أنّه لم يفلح في عمله لكسب ودّ العرب لصالح العثمانيين[2].

وتوجّه فخري باشا لقتال جيشي علي وفيصل وتمكن من ردّهما إلى الوراء، وكان من جرّاء هذا التراجع أن تمكن العثمانيون من إصلاح سكّة الحديد بعد أن خرّبها العرب في عدّة مواضع وإعادة سير القطارات بين المدينة وسوريا[3]. إلّا أنّ توقّف العثمانيين عن مواصلة الهجوم انتظاراً لوصول النجدات والذخائر من سوريا، أتاحت الفرصة للقوّات العربية لتنظيم جيوشها وتسليحها بالأسلحة التي كانت تصل من بريطانيا، وهذا كان سبباً في ثباتهم أمام العثمانيين عندما عاودوا الهجوم[4].

واستمرّ العثمانيون في الدفاع عن المدينة المنورة مدّة من الوقت واستطاعوا بقيادة القائد فخري باشا المعروف بشراسته وعناده وبوصول إمدادات لهم من تضييق الخناق على القوات العربية[5]، خاصة بعد الهجوم الذي حصل في شهر آب على جيش العرب، وقام

---

(1) سعيد، الثورة، مج1، ص158.
(2) سعيد، الثورة، مج1، ص176.
(3) مصطفى، لورانس، ص162.
(4) السعيد، مذكرات، ص39.
(5) المصدر نفسه، ص37.

فخري باشا بهجوم آخر في أول تشرين الأول على جيش فيصل ودفعه حتى ينبع البحر. وواصل فخري باشا هجومه على بير عباس في 14 تشرين الأول واحتلها، لذلك اضطر فيصل إلى الرجوع إلى بير الرايق[1]. وخلال هذه الأوقات الصعبة أرسل الشريف حسين إلى حلفائه لمساعدته وبعد مماطلات استجابوا له[2].

وفي أول تشرين الأول 1916 جدد العثمانيون غاراتهم وهزموا القوات العربية في الجنوب الغربي من المدينة وأقام العثمانيون في الجبال بين المدينة ورابغ، وانفصل جيش فيصل عن جيش علي وتمركز في ينبع وتحصن علي في رابغ[3]. وبهذا أصبحت القوات العربية في خطر، عند ذلك وفي تشرين الثاني وصلت الطائرات البريطانية وقامت على حراستها قوات من رجال المدفعية والمشاة المصريين بلغت 600 جندي[4]. كما عمل الجنرال موراي على أن يحشد لواءين من المشاة في السويس ولواءين من رجال المدفعية ووحدتين من الهجانة ووحدات أخرى معاونة تكون مستعدة للتوجّه إلى رابغ، فيما إذا اشتدت الحاجة إليها. وفي تشرين الأول قام ستورس ولورانس بزيارة إلى الحجاز وقابل لورانس الأمير عبد الله في جدة[5].

---

(1) سعيد، الثورة، مج1، ص202.
(2) مصطفى، لورانس، ص164.
(3) المصدر نفسه، ص162.
(4) سعيد، الثورة، مج1، ص212.
(5) مصطفى، لورانس، ص166 ـ 167.

بعد أن كانت قوات فيصل وعلي تنتشر إلى الجنوب الغربي من المدينة لتحول دون زحف العثمانيين إلى مكة كان الأمير عبد الله آنذاك مشغولاً بحصار الطائف، إلّا أنّه بعد احتلال الطائف توجّه نحو المدينة وأخذ يتمركز في الشمال الشرقي من المدينة وذلك لقطع وصول الإمدادات من إمارة ابن الرشيد إلى العثمانيين وأخذ يهدد الجناح الشرقي للجيش العثماني فلم يعد بمقدور القوات العثمانية في المدينة الزحف نحو رابغ ومكة إلّا إذا زحزحوا جيش الأمير عبد الله عن مركزه وهذا لم يكن بمقدورهم فعله[1]. ثم زحف الأمير عبد الله شمالاً من الحناكية إلى وادي العيص وبذلك انتقل مركز الثقل في الحركات الحربية من جنوبي المدينة إلى شماليها، وأصبح بمقدور قوات فيصل في ينبع أن تزحف شمالاً على الوجه مهددة بذلك مؤخرة القوات العثمانية وسكّة الحديد التي يتلقّون الإمدادات عليها[2].

ومن الجدير بالذكر أنّ الشريف حسين نجح في تكوين جيش نظامي بعدما كان الجيش في البداية مكوناً من البدو. وسبب تكوينه الجيش النظامي هو أنه لا يوجد جنود من الحلفاء وإنما فقط أموال وأسلحة لذلك طلب منهم إرسال الضباط العرب الموجودين في مصر سواء الذين تركوا استانبول وجاؤوا إلى مصر أو الذين وقعوا في الأسر، لأنّ هؤلاء الضبّاط سيعملون مع إخوانهم العرب ضد العثمانيين ويعملون على تنظيم الجيش.

---

(1) المصدر نفسه، ص169 ـ 170.

(2) عبد الله بن الحسين، مذكرات، ص129 ـ 130.

واستجاب البريطانيون وأرسلوا الكثيرين منهم عزيز علي المصري ونوري السعيد ومحمد حلمي وراسم سردست ورؤوف عبد الهادي وإبراهيم الراوي وجميل الراوي ورشيد الهاشمي[1].

بعد أن حاصر أبناء الشريف حسين المدينة عسكر الأمير عبد الله في وادي العيص وأصبحت قوّاته مع قوات فيصل وعلي تشكل مروحة تمتد من جنوب المدينة إلى شمالها واضطروا قوات العثمانيين إلى التزام خطة الدفاع، بدلاً من الهجوم وتبيّن أنّ جيش فيصل أصبح حرّاً في اتخاذ خططه الحربية، لذلك قرّر أن يزحف شمالاً لتحرير باقي المدن الحجازية[2].

وفي 24 كانون الثاني 1917 أطلقت البوارج البريطانية قنابلها على الوجه وأنزلت على بعد ثلاثة أميال منها (250) بحاراً إنكليزيّاً و (500) جندي عربي حملتهم من ينبع، ودارت بينهم وبين العثمانيين المتحصنين في الخنادق معركة انتهت بهزيمة العثمانيين تاركين وراءَهم (70) قتيلاً وجريحاً و(100) أسير ومدفعين و (400) بندقية. وبعد يوم وصل الأمير فيصل الوجه ومعه لورانس وثلاثة آلاف هجان وأربعة مدافع و100 رشاش. وفي 11 شباط استولت القوات العربية عنوة على المويلح وفي 17 آذار نقل مطار رابغ إلى الوجه وشرعت القوات العربية بمهاجمة محطات السكك الحديد[3].

---

(1) سعيد، الثورة، مج1، ص217 ـ 218.

(2) سعيد، الثورة، مج1، ص221.

(3) المصدر نفسه، ص223 ـ 224.

وبعد وصول جعفر العسكري الوجه، تمَّ تعيينه قائداً عامّاً للقوات النظامية هناك في جيش الشمال، وعين نوري السعيد رئيس أركان حرب له[1]. ويمكن أن نقول إن سقوط الوجه بيد جيش الأمير فيصل قد أدّى إلى زوال الخطر على الثورة[2].

وفي آذار 1918 وصلت الأنباء أنّ العثمانيين يعملون على الانسحاب إلى معان لكي يتاح لهم القيام منها بهجوم كاسح على قوات فيصل. إلّا أنّ ذلك لم ينجح بسبب تخريب خط سكة الحديد بين عمان ومعان، ومن معان جنوباً إلى محطة المدورة في نيسان تخريباً كان من الصعب على العثمانيين إصلاحه وقيام قوات الأميرين علي وعبد الله بدورها في إحباط المحاولة العثمانية فهاجمت في أيار وحزيران مواقع العثمانيين هجمات قوية، وكذلك حصلت معركة شديدة بين قوات ابن الرشيد والأمير عبد الله في تيماء انتهت بهزيمة ابن الرشيد. وقد حاول العثمانيون إمداد حليفهم بقوة من المشاة والفرسان إلّا أنّ قوات الأمير عبد الله هاجمتها واستطاعوا قتل الكثير منهم وأسر الباقين[3].

وفي التاسع من أيار سارت حملة صغيرة على رأسها الشريف ناصر مندوباً عن فيصل ومعه عودة أبو تايه ولورانس ونسيب البكري وتوقف الشريف ناصر في كاف بوادي السرحان

(1) المصدر نفسه، ص224.
(2) مصطفى، لورانس، ص171.
(3) أنطونيوس، المصدر السابق، ص333 ـ 334.

يبث الدعوة بين القبائل السورية، وذهب عودة إلى قبيلته ليجمع بعض الرجال[1].

أمّا نسيب فقد ذهب إلى جبل الدروز ثم عاد عودة إلى باير ومعه (500) فارس ووافاه ناصر. ثم واصلوا زحفهم نحو العقبة وفي طريقهم إليها استولوا على الحامية العثمانية البالغ عددها 600 رجل. وفي 6 تموز 1917 دخلت هذه القوات العقبة[2].

وفي أوائل شهر أيلول استطاعت القوات العربية احتلال القويرة، واحتل اللواء الهاشمي وادي موسى وفي تشرين الثاني استولى العرب بقيادة مولود مخلص على عين وهيدة ثم على محطة جرف الدراويش[3]. وفي شباط 1918 استولت قوات الأمير زيد على منطقة الطفيلية، عند ذلك أرسل العثمانيون الأمير آلاي حامد فخري على رأس فرقة عثمانية لاستردادها إلّا أنّ العرب أوقعوا بها هزيمة منكرة[4].

وقد ظلت القوات العثمانية مرابطة في المدينة المنورة وفي محطات سكة الحديد وكان جيشا الأميرين عبد الله وعلي يضربان طوق الحصار حولها ويشنان الهجمات بين الحين والآخر إلى أن عقد الحلفاء والدولة العثمانية يوم 30 تشرين الأول 1918 هدنة

---

(1) مصطفى، لورانس، ص174 ـ 178.
(2) أنطونيوس، المصدر السابق، ص323؛ أنيس، المصدر السابق، ص297.
(3) سعيد، الثورة، مج1، ص227 ـ 228.
(4) سليمان موسى، الثورة العربية الكبرى الحرب في الأردن 1917 ـ 1918 ـ مذكرات الأمير زيد، (عمان: 1976)، ص34.

مودرس، وقام الأمير بإبلاغ فخري باشا نص معاهدة الهدنة ودعاه إلى التسليم فرفض وأصرّ على الرفض حتى بعد أن أمره وزير الحربية رسمياً بالتسليم[1]. وأخذ الجيش العربي يضيق الحصار وعندما علم بعض الضباط العثمانيين بمسألة الهدنة أخذوا يستسلمون أفواجاً مع وحداتهم إلى العرب، ممّا أدّى بفخري باشا إلى التراجع من منطقة العلا في أوائل كانون الأول. وتتابع فرار القوات وجلاء العثمانيين عن العوالي وعن بئر الماشي أيضاً وسرت روح التمرّد بين أفراد الجيش فاضطر فخري باشا إلى إرسال وفد يوم 4 كانون الثاني 1919 إلى بئر درويش مقرّ الأمير علي للمفاوضة ثم سلّم نفسه[2].

ثم بعد ذلك سلّم الأسرى بموجب اتفاقية التسليم في 7 كانون الثاني عام 1919 وانتهت عملية التسليم يوم 13 شباط ونقلت القوات العثمانية إلى ينبع ومنها بالبحر إلى مصر، كما استسلمت خلال هذه الفترة قوّات العثمانيين في تبوك وبقية الحاميات الأخرى على طول سكة الحديد حتى معان ولم يقلّ عدد الأسرى عن (40) ألف جندي[3].

---

(1) سعيد، الثورة، مج1، ص260 ـ 261.

(2) المصدر نفسه، ص261.

(3) مصطفى، لورانس، ص 235؛ سعيد، الثورة، مج1، ص261.

المبحث الرابع

أولاً: خديعة البريطانيين للعرب

1 ـ اتفاقية سايكس بيكو 1916:

على الرغم من الاتصالات التي كانت جارية بين البريطانيين من خلال السير مكماهون والشريف حسين بشأن البلاد العربية إلّا أنّ السلطات البريطانية كانت تعمل في الخفاء على إجراء اتصالات مع دول أخرى لاقتسام البلاد العربية[1]. وخاصة اتفاقية سايكس بيكو عام 1916 التي صرحت بها بعد عام 1917 روسيا بعد قيام الثورة البلشفية[*] فيها حيث نشروا بنود الاتفاقية للعالم أجمع[2]. واتفاقية

(1) أسعد الكوراني، ذكريات وخواطر مما رأيت وسمعت وفعلت، (رياض الريس للكتب والطبع: 2000)، ص35.

(*) هي الثورة التي قادها البلاشفة في روسيا في 25 تشرين الأول 1917 ضد القيصر الروسي والسلطة واستطاعوا أن ينتصروا ويعلنوا قيام دولة روسيا وسميت بالبلشفية نسبة إلى الكلمة الروسية Bolshivstvo أي الأكثرية عكس الأقلية (المنشفيك)، ينظر: القيسي وآخرون، المصدر السابق، ص37؛ البطريق، التيارات، ص219؛ عادل علي عبيد، من أحداث عامي 1918 ـ 1919 عرض موجز، (بغداد: 1984)، ص 340.

(2) مفيد محمد نوري وآخرون، دراسات في الوطن العربي، (الموصل: 1972)، ص11 ـ 12.

سايكس بيكو هي اتفاقية جرت بين بريطانيا وفرنسا من خلال ممثليهما جورج بيكو من فرنسا ومارك سايكس ممثلاً لبريطانيا، وذلك للاتفاق على وضع النقاط والحدود لاقتسام البلاد العربية وقد جاءت بنود هذه المعاهدة بعد عرضها للحكومة الروسية للموافقة عليها وقد وافقت روسيا عليها بعد أن حصلت على حصتها من التسوية العامة وقد جاءت بنود المعاهدة الموقعة في 16 أيار عام 1916 كالآتي:

1 ـ تستولي فرنسا على بلاد الشام والساحل السوري وجبل لبنان وجزء من الأناضول.

2 ـ تستولي بريطانيا على العراق والأردن والساحل الفلسطيني.

3 ـ توضع فلسطين تحت إدارة دولية بسبب وجود الأماكن المقدسة فيها.

4 ـ تستولي روسيا على ثلاث مناطق عثمانية طرابزون وأرضروم وعلى الجزء الشمالي من كردستان[1].

5 ـ أن يتألف من المناطق التي أصبحت من حصة القوات الفرنسية والمناطق التي هي من حصة بريطانيا اتحاد لدول عربية صغيرة أو دولة عربية واحدة وأن تقسم هذه المنطقة من جديد إلى منطقتي نفوذ فرنسية وبريطانية وتتألف المنطقة الفرنسية من

---

(1) Ekrem, A.G.E., S257;

الزبيدي، المصدر السابق، ص103؛ ريدر بولارد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى عام 1952، ترجمة حسن أحمد السلمان، (بغداد: 1957)، ص89.

داخلية سورية وولاية الموصل من بلاد ما بين النهرين، أمّا المنطقة البريطانية فتتألف من الأردن والمناطق الوسطى من العراق[1].

وهكذا نرى أنّ اتفاقية سايكس بيكو وثيقة مشينة تبين خيانة البريطانيين والفرنسيين للعرب.

2 ـ **وعد بلفور** 1917:

من الإجراءات الأخرى التي اتّخذتها بريطانيا لخديعة العرب هي إصدارها وعد بلفور في 2 تشرين الثاني عام 1917 على لسان وزير خارجيتها بلفور الذي سمّي الوعد باسمه[2].

وفحواه أنّ روسيا وبريطانيا وفرنسا عندما كانت متفقة مع بعضها بشأن العهود والمعاهدات فيما بينهم وخاصة فيما يتعلق بالمناطق العربية وفلسطين بالذات قالوا إنها تخضع لنظام دولي وذلك لوجود الأماكن المقدسة فيها التي تهمّ الديانات السماوية الثلاث. إلّا أنّ الشيء الذي حدث أنّ روسيا بعد قيام الثورة البلشفية فيها عام 1917 تخلّت عن جميع اتفاقياتها الاستعمارية

---

(1) كمال مظهر أحمد، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط، (بغداد: 1978)، ص134. مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، ط3، (بيروت: 1998)، ص243.

(2) Harun Yahya, Turk'n Sanli Tarihi, (Istanbul: 2002), S79;
مفيد الزيدي، العرب والقوى الدولية في القرن الحادي والعشرين، (عمان: 2003)، ص13؛ فاسيليف، المصدر السابق، ص91؛ عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516 ـ 1916، (دمشق: 1974)، ص546.

السابقة. لذلك وجدت فرنسا وبريطانيا أنّهما تستطيعان العمل في فلسطين بحرية أكثر لهذا أصدرت بريطانيا وعدها المشؤوم الغاشم المعروف بوعد بلفور في 2 تشرين الثاني 1917[1]. ونصّه: «انّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين الرضا والارتياح إلى المشروع الذي يُراد به أن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي وأن تبذل أقصى جهودها في سبيل ذلك على أن لا يجري شيء يضرّ بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود في فلسطين أو يضرّ بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان الأخرى»[2].

ومن هنا نرى أنّ البريطانيين عملوا أبشع جريمة عرفها التاريخ إذ أَعطوا أرضاً لا يملكونها إلى أُناس لا يمتّون بأية صلة لتلك الأرض ومن دون علم أصحاب تلك الأرض.

3 ـ موقف الشريف حسين من اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور:

لم يكن الشريف حسين على علم بما عقدته بريطانيا من اتفاقيات ووعود في الخفاء، حتى أنّه عندما اجتمع مع سايكس في 30 أيار عام 1917 كان النقاش بين الطرفين حول موافقة العرب على حصول فرنسا على منطقة نفوذ خاصة بها في الساحل السوري إلّا أنّ الشريف حسين رفض هذا وقال لسايكس إنّه يقوم بمحادثات مع زعماء العرب محاولاً الحصول على موافقتهم بأن

---

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص365 ـ 374.

(2) يوسف خوري، المشاريع الوحدوية العربية 1913 ـ 1989 (دراسة توثيقية)، ط2، (بيروت: 1990)، ص19.

تكون لبنان منطقة نفوذ فرنسية لمدة مؤقتة وبناءً على شروط واضحة تماثل الشروط التي عقدها مع بريطانيا في مراسلاته الأولى بشأن العراق[1]. بقي الشريف حسين يحسن الظن بنوايا الحلفاء حتى أنّه عندما وصلت إليه بعد سبعة أشهر من هذه المباحثات رسائل من جمال باشا فيها تفاصيل عن الاتفاقية السرية بين سايكس وبيكو لم يفعل شيئاً سوى أنّه أرسلها إلى المندوب السامي في مصر سائلاً عن حقيقة هذه الاتفاقية[2]. فأرسل السير ونجت إلى وزارة الخارجية البريطانية بافتضاح المعاهدة وطلب أن ترسل له التعليمات بهذا الشأن وعوضاً من أن توضّح بريطانيا الحقيقة أرسل بلفور وزير الخارجية يومذاك بنصّ إلى الشريف حسين عن طريق ونجت وقد أرفقه ونجت ببرقية منه إلى الشريف حسين كذلك، وقد تضمنت برقية ونجت أن قيام الثورة الروسية ونشرها تلك المعاهدات والأسرار كانت مجرد محادثات بين روسيا وبريطانيا وفرنسا وليست معاهدة وكانت تلك المحادثات في بداية الحرب لمنع المصاعب بين الدول في أثناء القتال مع العثمانيين وأنّ ما قام به جمال باشا هو أنّه تلاعب بتلك المعلومات التي نشرتها الحكومة الروسية لخلق الفتن بين الشريف حسين وبريطانيا ليس إلّا، أمّا رسالة بلفور للشريف حسين فقد تضمنت أنّ جلالة الملك لما رأى حسن نيتكم وصراحتكم بعد إرسالكم ما أرسله جمال

---

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص357.

(2) محمد عبد الرحمن برج، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، (القاهرة: 1974)، ص222 ـ 223.

باشا إلى جانبنا للتحقيق من الأمر لهو دليل على قوة العلاقة بين الحكومة الحجازية وحكومة جلالة الملك وممّا لا يحتاج إلى دليل أنّ السياسة العثمانية تريد خلق الفتن بيننا وبينكم إلّا أنّ أقوال الدسّاسين لن تقوى على إيجاد الشقاق بيننا وأنّ حكومة جلالة الملك تكرّر وعدها السالف بتحرير الأمة العربية[1]. وبهذا نرى أنّ بريطانيا خدعت الشريف حسين مرة أخرى بشأن حقيقة اتفاقية سايكس بيكو.

أما بالنسبة لوعد بلفور فعندما وصلت أنباء الوعد للشريف حسين تأثّر جدّاً وطلب من حلفائه أن يبيّنوا له كيفية الوعد فأجابته الحكومة البريطانية وأرسلوا إلى جدّة القومندان هوغارت أحد كبار المسؤولين في مصر ووصل هوغارت في الأسبوع الأول من كانون الثاني عام 1918 وقابل الشريف حسين وسلمه رسالة من نائب الملك أعادت الهدوء للشريف حسين وقد أيّدت الرسالة[2] المحافظة على حقوق عرب فلسطين السياسية والاقتصادية[3] في حين كان الوعد لليهود ينصّ على تأمين حرية السكّان الدينية والمدنية فقط وهذا ما أعاد الطمأنينة للشريف حسين وأجاب عن تلك الرسالة أنّه مهما كانت بنود الوعد وعلى الرغم من ارتياحي لما تقوله إلّا أنّني سأعمل على نبذ هذا الوعد[4]. وأنّه موافق على

(1) برج، المصدر السابق، ص222 ـ 223؛ قلعجي، المصدر السابق، ص273.
(2) قلعجي، المصدر السابق، ص274؛ برج، المصدر السابق، ص223.
(3) إدوارد عطية، العرب، ترجمة محمد قنديل البقلي، (مصر: 1961)، ص95.
(4) قلعجي، المصدر السابق، ص274.

أي نظام لحماية الأماكن المقدسة تضعه جميع الطوائف التي يهمها أمر فلسطين وأنّ العرب على استعداد لأنّ يضمنوا سلامة الأماكن المقدسة للأديان الثلاثة وحرية العبادة فيها[1].

وبهذا نرى أنّ بريطانيا خدعت الشريف حسين مرة أخرى والدليل على اقتناع الشريف حسين بما وُضِّحَ له من شأن هذا الوعد أنه أرسل إلى الزعماء العرب الموجودين في مصر وإلى قادة جيوش الثورة يقول إنه حصل على تأييد من بريطانيا بأنّ وجود اليهود في فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب ويحثهم على متابعة جهادهم لنيل حرياتهم، كما أذاع منشوراً في جريدة القبلة في 23 آذار 1918 دعا فيه سكان فلسطين إلى الهدوء والاطمئنان وإلى التعاون مع الجيش البريطاني[2].

ثانياً: إعلان قيام المملكة الحجازية وموقف الحلفاء منها

حينما أعلن الشريف حسين الثورة العربية في حزيران 1916 انفصل الحجاز بذلك بشكل واقعي عن الدولة العثمانية وبعد مضيّ بضعة أشهر على الثورة أراد الشريف حسين أن يكون هناك استقلال للبلاد وشكل خاص في الحكم لذلك وبتوجيه منه لولده عبد الله اقترح عبد الله التشاور في إعلان ملكية والده على البلاد العربية[3].

---

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص376.

(2) المصدر نفسه، ص377؛ قلعجي، المصدر السابق، ص276 - 277.

(3) جلال يحيى، العالم العربي الحديث، (مصر: 1966)، ص45؛ أنطونيوس، المصدر السابق، ص311.

وقد قام الشيخ فؤاد الخطيب بإلقاء خطبة أشاد بدور الحسين وجهوده في القضية العربية وكان الخطيب يبغي من هذا اخذ البيعة من الحاضرين لتتويج الحسين ملكاً ولم يعارض أحد، فنودي بالحسين ملكاً في 2 تشرين الثاني 1916[1].

وبإعلان الملكية جرت المراسيم الخاصة بمبايعة الحسين البيعة الخاصة وقام الشيخ عبد الله مرداد بقراءة كتاب البيعة وبعدها وفي 6 تشرين الثاني 1916 تمت البيعة العامة في الحرم المكي وسط حشود من أهالي مكة والوفود التي حضرت من المدن الحجازية[2]. وقد رافق قيام المملكة بعض الأعمال التي كانت من سمات الاستقلال ومنها اتخاذ علم خاص للمملكة الحجازية الذي تألف من أربعة ألوان الأخضر والأبيض والأسود على شكل خطوط عريضة واللون الأحمر كمثلث يتصل بأطراف الألوان فاللّون الأخضر يمثّل شعار آل البيت واللّون الأبيض هو شعار الدولة الأموية واللّون الأسود يدلّ على راية العقاب الخاصة بالنبي محمد ﷺ التي كانت تتصدر حملاته وترمز كذلك لشعار الدولة العباسية. أمّا اللون الأحمر فهو اللون الخاص بأشراف الحجاز منذ عهد أبي نمي أيام السلطان سليم الأول[3]. كما ضربت نقود خاصة بالحجاز إذ تم تأسيس دار لضرب النقود وتألفت العملات من الدينار

(1) سعيد، الثورة، ج3، ص131.

(2) أنطونيوس، المصدر السابق، ص311.

(3) وهيم، مملكة، ص64؛ خوري، المصدر السابق، ص9 ـ 10.

الذهبي والريال الفضي والقرش والبارة والهللة وهذه العملات الصغيرة كانت من النحاس[1].

في البداية شعر أتباع الشريف حسين أنّ اتخاذ هذا اللقب سيوافق عليه الحلفاء إلّا أنّهم تفاجؤوا من موقف الحلفاء عندما أرسل الأمير عبد الله البرقيات إلى الحلفاء بنبأ إعلان الملكية وطلب منهم أن يعترفوا بذلك[2].

جاءت في البداية موافقة روسيا على هذا اللقب في اليوم الثاني من إعلان الاستقلال إلّا أنّها غيرت قرارها فيما بعد وضمت صوتها للبريطانيين والفرنسيين[3] إذ إنّ بريطانيا وفرنسا رفضتا هذا اللقب. وبعد مباحثات طويلة ومراسلات وافقت بريطانيا على لقب ملك الحجاز فقط[4] بموجب الرسالة التي أُرسلت إلى الشريف حسين في 3 كانون الثاني 1917 والتي تضمنت اعتراف بريطانيا وفرنسا بلقب ملك الحجاز فقط[5]. وقد أقرّت إيطاليا بما أقرّته دول الحلفاء[6]. وربما يجدر بنا أن نبيّن سبب رفض الحلفاء لقب الملك بشدّة وموافقتهم في النهاية على لقب ملك الحجاز فقط

---

(1) السباعي، المصدر السابق، ج2، ص304.

(2) العمري، المصدر السابق، ج1، ص316.

(3) إبراهيم الراوي، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، (بيروت: 1969)، ص98.

(4) شبيكة، المصدر السابق، ج2، ص278 ـ 284؛ ريتشارد الدنجتون، لورانس في بلاد العرب، ترجمة محمد عزت،موسى، (مصر: 1966)، ص159.

(5) أنطونيوس، المصدر السابق، ص312.

(6) بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص749.

على الرغم من مراسلاتهم وصداقتهم مع الشريف حسين، والسبب في ذلك يعود إلى تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية لأنّهم كانوا قبل إعلان الحسين الملكية بشهور قليلة قد اتّفقوا على بنود اتّفاقية سايكس بيكو في أيار 1916 التي كانت تهدف إلى تقسيم البلاد العربية وأنّ إعلان الملكية ربما يعيق مشاريعهم الاستعمارية[1].

ثالثاً: موقف الأطراف المجاورة للحجاز من إعلان الثورة والملكية

لم تكن لإمارة حايل علاقات قوية مع الحسين قبل قيامه بالثورة وعندما قامت الثورة كانت إمارة حائل مع العثمانيين إذ كان ولاؤهم للعثمانيين منذ زمن طويل[2] وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يشاركوا بشكل فعلي في القتال وإنما كان دورهم حماية السكك الحديدية وقد هاجموا مرة واحدة جيش الشريف عند منطقة مداين صالح شمال المدينة المنورة وكان عدد المقاتلين من حايل ألف مقاتل شاركت قوات العثمانيين وهو عدد قليل بالنسبة لما وعدوا به العثمانيين بمدهم بـ (40) ألف مقاتل[3]. أمّا بالنسبة لليمن فإن الإمام يحيى لم يبدِ أي اهتمام لثورة الحسين ضد العثمانيين وفضّل البقاء على اتفاقيته مع العثمانيين بموجب اتّفاقية دعان 1911[4] وكان موقف الإدريسي حاكم عسير من الثورة العربية موقفاً جيداً إذ

---

(1) سعيد، أسرار، ص180 ـ 181.

(2) سعيد، الثورة، ج3، ص155.

(3) وهيم، مملكة، ص266.

(4) حراز، المصدر السابق، ص85 ـ 97.

استجاب لطلب الحسين عندما أرسل له برسالة يطلب منه وقوفه إلى جانبه فوافق الإدريسي على ذلك عندما أرسل رسالة جوابية إلى الشريف حسين يبين موافقته على الوقوف معه ضد العثمانيين كما أوضح في الرسالة تجاوز المشاكل القديمة التي كانت الدولة سبباً فيها، لكن العلاقة بين الطرفين ظلت ضعيفة حتى عام 1920 من دون أن تُذكر مساهمة فعلية من جانب الإدريسي وقواته لمساندة قوات الشريف حسين[1].

أمّا بالنسبة لموقف نجد وأميرهم عبد العزيز بن سعود عند قيام الثورة العربية فإنه لم يبدِ موقفاً واضحاً وشعر ببعض القلق من مطامع الشريف حسين وطموحاته وأرسل لبريطانيا يتساءل هل أنّ الحسين قد حصل على تعهّد منكم لسيادة العرب لأنّ هذا يؤثّر في نجد[2]؟ كما أنّه في الوقت نفسه أخذ يظهر احترامه للشريف حسين في رسائله الأخيرة التي بعثها إليه كما بادر الشريف حسين بإرسال رسالة لعبد العزيز بن سعود يطلب منه مشاركته في القتال ضد العثمانيين ولم يرد عبد العزيز الجواب إلّا بعد أن تشاور مع وجهاء نجد ثم أرسل للشريف حسين أنه سيرسل أخاه للمساهمة في الحرب ضد العثمانيين وأنّه يودّ تجنّباً للمشاكل تحديد الحدود بين الطرفين إلّا أنّ هذا أغاظ الشريف وهذا يتّضح من خلال ردّه على عبد العزيز واتهامه بالجنون أو الثمالة وطلب منه نزع الشكوك

---

(1) وهيم، مملكة، ص278 ـ 279.

(2) المختار، المصدر السابق، ج2، ص181 ـ 182؛ أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج2، (السعودية: د.ت)، ص79.

عن خاطره وأنهم شركاء في كل شيء إلّا ما حرّمه الله[1]. وقد امتعض عبد العزيز من الشريف حسين لردّه هذا وأخذ يتعاون مع العثمانيين ضد الشريف، إذ أبدى استعداده للعمل مع الشريف علي حيدر الذي جاء إلى المدينة المنورة شريفاً جديداً بدلاً من الشريف حسين بأمر من السلطان العثماني وذلك لضرب الشريف حسين، كما أنّ عبد العزيز عمل على الاتصال بالقائد العثماني فخري باشا قائد المدينة لضرب الشريف حسين إلّا أنّ فخري باشا لم يستغلّ هذه الفرصة معتقداً أنّ المدينة ستحافظ على مقاومتها من دون مساعدة عبد العزيز لذلك اعتذر عن قبول مساعدته[2].

وقد ازدادت مخاوف عبد العزيز من أطماع الشريف حسين لذلك طالب بريطانيا ان يبينوا له ما يجري وأوضح لهم ما يدور في ذهنه حول تقديمه مساعدة للعثمانيين لذلك سارع البريطانيون إلى الاتصال بعبد العزيز بن سعود ووعدوه بحلّ المسألة سلميّاً وأكدوا له استقلال نجد وكانت مخاوف بريطانيا من تعاون عبد العزيز مع العثمانيين والعمل على إعاقة الحملة البريطانية في العراق أو أن يهاجم جيش الشريف حسين ويعيق تحركات لورانس في سوريا[3].

---

(1) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط2، (بيروت: 1954)، ص235؛ مفيد كاصد ياسر الزيدي، سياسة بريطانيا تجاه آل سعود 1915 - 1927 رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، (1991)، ص110.

(2) وهيم، مملكة، ص284 ـ 285.

(3) مفيد الزيدي، عبد العزيز آل سعود وبريطانيا دراسة في السياسة البريطانية تجاه إمارة نجد 1915 ـ 1927، (بيروت: 2002)، ص60؛ وهيم، مملكة، ص285.

ونتيجة لهذه الوعود من طرف بريطانيا لعبد العزيز بن سعود اطمأن بعض الشيء وغض النظر عن الشريف حسين إلّا أنّ الأخير فاجأه بإعلانه الملكية على العرب في 2 تشرين الثاني عام 1916 لذلك استاء عبد العزيز لهذا النبأ واحتج لدى البريطانيين الذين بدورهم لم يكونوا راضين عن هذه الخطوة من الشريف حسين وعلى أيّة حال فإنّ بريطانيا تمكّنت من إبطال مفعول اللّقب الذي تقلّده الحسين كما بيّناه. ونتيجة لذلك اقتنع ابن سعود بموقف الحكومة البريطانية[1].

رابعاً: محاولات الصلح العثماني الحجازي

حاول جمال باشا بعد أن كشف البلاشفة الروس اتفاقية سايكس بيكو السرية التي عقدت لتقسيم البلاد العربية بين فرنسا وبريطانيا استغلال هذا الحدث للتقرّب وعقد الصلح مع الملك حسين في نهاية شهر تشرين الثاني 1917[2] فبعث ثلاث رسائل إلى القادة الحجازيين الأولى إلى الأمير فيصل وهو آنذاك في العقبة والثانية إلى القائد جعفر العسكري وذلك بتاريخ 26 تشرين الثاني 1917 في حين أرسل الرسالة الثالثة للأمير عبد الله وكان موجوداً في وادي العيص آنذاك بتاريخ 5 كانون الأول 1917. وبرّر جمال باشا في رسالته للأمير فيصل اشتراك الدولة في الحرب

---

(1) وهيم، مملكة، ص287.

(2) فيليب ناتالي وكولن سمبسون، المخفي من حياة لورانس العرب، ترجمة إيلي لاوند وإبراهيم العابد، (بيروت: 1971)، ص77.

على أساس إنقاذ العالم الإسلامي من الأوضاع المتردية التي يعانيها وأنّ الثورة في الحجاز قد زادت هذه الأوضاع تردّياً وأثّرت في وحدة الدولة إلّا أنّه على الرغم من ذلك فإن جمال باشا أراد إبقاء الباب مفتوحاً لتسوية الأمور سلميّاً بينهما[1]. كما أرفق الرسالة بورقة صغيرة تضمنت النقاط التي يمكن في ضوئها إجراء الصلح وجاء فيها إقرار الحكم الذاتي الكامل للولايات العربية والاعتراف باستقلال العرب وإن حصل الاتفاق على هذا فإنّ تصديقها لا يكون من السلطان فقط وإنما من جانب ألمانيا أيضاً. كما أنّ رسالتي جمال إلى الأمير عبد الله والقائد جعفر العسكري تضمنتا نفس المضمون الذي أرسله للأمير فيصل[2].

بذل جمال باشا نشاطاً واسعاً لفضح اتفاقية سايكس بيكو محاولاً كسب الرأي العام الشعبي وذلك من أجل تحقيق مشروع الصلح مع العرب من خلال الشريف حسين، لذلك دعا في 4 كانون الأول 1917 في بيروت إلى مأدبة جمع فيها أعيان سوريا وألقى فيها خطبة موضحاً عرضه الصلح مع الشريف على الرغم من قيام الأخير بثورته وقيام الحلفاء بعقد اتفاقيات في الخفاء من اجل تقسيم البلاد العربية وخديعة الحسين وأخذ يلوم الحسين لأنّه السبب في وصول الحلفاء إلى أبواب القدس وبيّن أنه أرسل رسالة إلى الشريف حسين وضح فيها كل هذا ودعاه إلى الرجوع عما يفعله كما أنّ جمال باشا أمر بنشر هذه الحقائق في صحف بيروت

(1) أنطونيوس، المصدر السابق، ص358 ـ 361.
(2) وهيم، مملكة، ص164 ـ 165.

ودمشق ووصل قسمٌ منها عن طريق التهريب إلى المدينة ومكة[1].
وفي 24 كانون الأول 1917 بعث الأمير فيصل إلى والده رسالة وضح فيها ما أرسله له جمال باشا وبما أرسله للأمير عبد الله القائد جعفر العسكري وأخبر والده أنه لم يرسل جواباً لجمال باشا إلى أن يرى ما يفعل وقد وصلت الرسالة إلى الشريف حسين وأرسل بما جاء فيها مباشرة إلى المندوب السامي في مصر السير ريجالد ونجت وطلب منه تفسير الاتفاقية السرية[2].

لم يستجب أحد من القادة لنداء جمال باشا لأنّهم كانوا يعلمون أنّه لم يكن مخلصاً في نواياه فضلاً عن قناعتهم بانتصار الحلفاء في الحرب وهزيمة العثمانيين وبذلك فشلت محاولة جمال باشا حتى أنّ فيصلاً لم يرد عليه لأنّ أباه أرسل له في 11 كانون الثاني 1918 بأن لا يرسل بأيّة إجابة ولا يتدخل في الصلح وأنه لا يمكن التقارب مع العثمانيين وأن يستلم الأوامر من ونجت أو من الجنرال اللنبي[3].

ثم جاءت المحاولة الثانية للعثمانيين بشأن الصلح في بداية شباط عام 1918 على يد جمال الثاني (الصغير) الذي تسلم قيادة الجيش الرابع بدلاً من جمال باشا. إذ أرسل جمال باشا الصغير رسولاً إلى فيصل يدعوه إلى عقد الصلح وكان فيصل آنذاك يخشى

(1) صايغ، الهاشميون، ص123؛ أنيس وحراز، المصدر السابق، ص416.
(2) ناتيلي وسمبسون، المصدر السابق، ص76؛ قلعجي، المصدر السابق، ص272.
(3) علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق 1920 ـ 1936، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1985)، ص34.

من الحلفاء نتيجة لما اتضح له من خلال اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور لذلك لم يعارض فيصل عرض الصلح شريطة انسحاب القوات العثمانية من المدينة المنورة ومعان وجميع محطات سكك الحديد حتى معان واعتقد فيصل أن هذه المكاسب ستجعل والده يوافق على الصلح إلّا أنّ الحسين أصرّ على الرفض مؤكداً لفيصل ثقته ببريطانيا وبعث ما أرسله فيصل إلى ونجت وأشادت الحكومة البريطانية بموقف الحسين وثقته بهم[1]. وفي 5 حزيران 1918 حاول جمال باشا الصغير مدّ يد الصلح مرة أخرى مع الأمير فيصل وقد وافق فيصل مقابل بعض الشروط وهي:

1 ـ نقل جميع القوات العسكرية الموجودة على خط سكة حديد المدينة ـ عمان إلى عمان.

2 ـ التحاق جميع الضباط العرب الموجودين في الأناضول والروميللي بالجيش العربي.

3 ـ أن يكون الجيش العربي تحت إمرة قائده حالة اشتراكه لجانب العثمانيين ضد العدو.

4 ـ إعطاء سوريا استقلالاً ذاتيّاً.

5 ـ أن لا تأخذ القوات العثمانية أية كمية من المواد التموينية الموجودة في سوريا في الوقت الحاضر لتبقى تحت تصرف الجيش العربي.

---

(1) وهيم، مملكة، ص169.

وكان فيصل قد اتخذ هذه الخطوات بسبب تذمره من الحلفاء نتيجة اتفاقية سايكس بيكو وطلب من جمال باشا الصغير الإسراع في الإجابة[1].

وقد أرسل جمال باشا الصغير الأمير محمد سعيد الجزائري ممثلاً عنه في التفاوض مع فيصل وتم أول لقاء بين الاثنين في منطقة وهيدة الواقعة إلى الجنوب من منطقة وادي موسى وإلى الغرب من مدينة معان في 12 آب 1918 وسلم الجزائري لفيصل رسالة جمال باشا الصغير التي دعا فيها إلى إنهاء الفتنة وإيقاف القتال بين المسلمين وأنّ الدولة العثمانية مستعدة لقبول مطالب العرب. إلّا أنّ فيصلاً كان يراوده بعض الشك في صحة ما يقوله جمال باشا الصغير كما أنّ الوضع العسكري كان في غاية الخطورة لذلك طلب من جمال باشا الصغير مرة أخرى استقلال العرب ضمن اتحاد لا مركزي مع العثمانيين فإذا وافقوا على هذا فإن العرب سيقبلون الصلح[2]. بعد ذلك رفع جمال باشا الصغير مطالب فيصل إلى استانبول ووافق السلطان عليها وأصدر أوامره بذلك إلّا أنّ أنور باشا وطلعت باشا أهملا الأمر لأنهما كانا رافضين لهذه المشاريع ولم يبلغا القوّات العثمانية في سوريا بالأمر إلّا بعد هزيمة العثمانيين في فلسطين والخروج منها[3].

وبذلك فشلت محاولات الصلح العثماني مع الشريف حسين

---

(1) وهيم، مملكة، ص170 ـ 171.

(2) سعيد، الثورة، ج1، ص312.

(3) المصدر نفسه، ص304.

وأولاده وقادته على الرغم من كل المحاولات، وعلى الرغم ممّا فعله أنور وطلعت باشا في آخر محاولة لرفضهم مشروع الصلح إلّا أنّ الشريف حسين يتحمّل الكثير من أسباب فشل الصلح لأنّه كان يرفض أي تعاون مع العثمانيين بسبب التزامه باتفاقيات مع بريطانيا.

خامساً: نتائج الثورة العربية

عندما انتهت الثورة العربية والحرب العالمية الأولى استبشر العرب بنصر الحلفاء وظنّوا أنّهم سيوفون بوعودهم وبنوا على ذلك آمالاً طالما قاتلوا معهم وطاردوا بني دينهم من العثمانيين من أجلها ونتج عن تلك الثورة ما يأتي:

1 ـ كان للثورة العربية الفضل الكبير في انتصار الحلفاء على العثمانيين في المشرق العربي بسبب انشغال بعض القوات العثمانية في مواجهة القوّات العربية[1].

2 ـ كان من نتائج الثورة العربية أن استقلّت بعض مناطق الجزيرة العربية مثل الحجاز واليمن ونجد[2].

3 ـ في الوقت الذي استقلّت فيه بعض المناطق أصبحت بلاد الشام والعراق تحت السيطرة الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا)

---

(1) محمد رجائي ريان، «الثورة العربية الكبرى دوافعها ونتائجها»، مجلة اليرموك الأردنية، جامعة اليرموك، (1994)، ع46، ص8؛ برج، المصدر السابق، ص302.

(2) طلس، تاريخ العرب، ص72.

خاصة بعد الاتفاق على اقتسامها حسب اتفاقية سايكس بيكو[1].

4 ـ كان من نتائج الثورة العربية وبشكل غير مباشر وعد بلفور ففي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا على اتصال بالعرب تعاونهم وتقطع لهم وعوداً بالاستقلال كانت في الوقت نفسه تعمل على إعطاء فلسطين لليهود ومن أجل ذلك أصدرت ما سمي بوعد بلفور عام 1917[2].

5 ـ إطلاق لقب ملك على الشريف حسين[3].

6 ـ أنّ الثورة العربية عملت على توحيد العرب بعد أن أصبحوا متفرقين منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي عندما هاجم المغول بغداد وقضوا على الخلافة العباسية وبقيت المناطق العربية مقسمة يسيطر عليها أُناس غير عرب إلى أن سيطر العثمانيون على المنطقة العربية منذ القرن السادس عشر الميلادي ووحّدوا المنطقة إلّا أنّه في أواخر العهد العثماني وبسبب سياسة الاتحاديين تدهورت أحوال العرب لذلك كانت الثورة العربية تدعو إلى توحيد العرب في الشطر الآسيوي[4].

7 ـ الخراب والدمار نتيجة الحروب والفوضى ذلك أن الكثير من

---

(1) قاسمية، المصدر السابق، ص36 ـ 39.

(2) شهاب، المصدر السابق، ص358.

(3) الخالدي، المصدر السابق، ص304.

(4) شهاب، المصدر السابق، ص361.

العرب يحبون السلم وعلى الرغم من ذلك قاتلوا وفقدوا الكثير من أبنائهم وأموالهم ودمر عمران ولاياتهم بسبب الحرب[1].

---

(1) الخالدي، المصدر السابق، ص307.

الملاحق

مكتبة التاريخ العثماني

الملحق رقم (1)

تقرير الطبيب شاكر القيساري عن حالة الحجّاج الصحية



Vesika nr.6, s.231 BOA, Y.A-Res, nr.58/8

الملحق رقم (2)

أسماء أشراف الحجاز 1876 ـ 1918

أشراف الحجاز 1876 ـ 1918

1 ـ عبد الله بن محمد بن عون	1858 ـ 1877
2 ـ حسين بن محمد بن عون	1877 ـ 1880
3 ـ عبد المطّلب بن غالب	1880 ـ 1882
4 ـ عون الرفيق بن محمد بن عون	1882 ـ 1905
5 ـ علي بن عبد الله بن محمد بن عون	1905 ـ 1908
6 ـ عبد الإله بن محمد بن عون	1908 ـ 1908
7 ـ حسين بن علي	1908 ـ 1916
8 ـ علي حيدر باشا (اسميّاً)	1916 ـ 1918

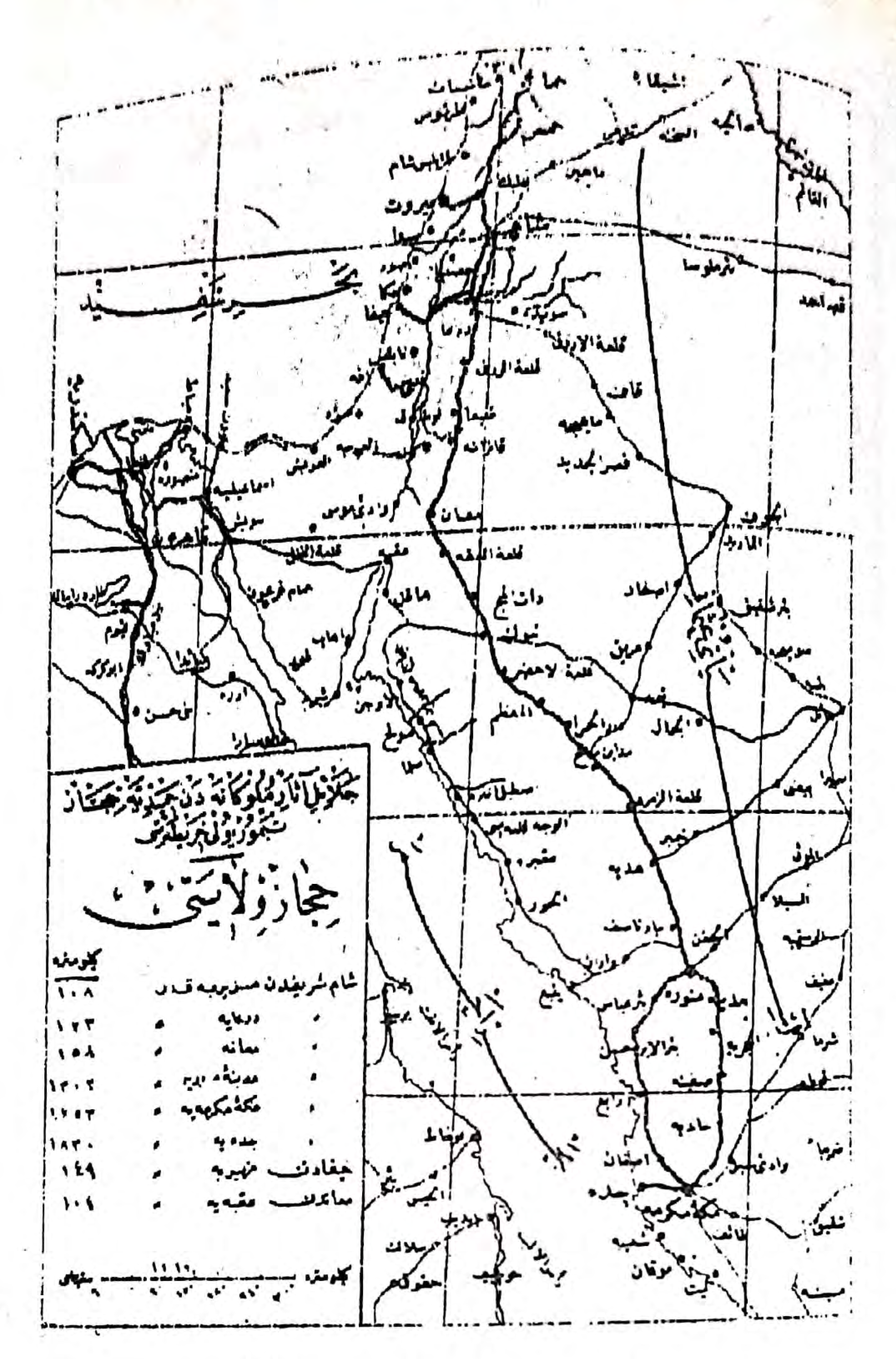
الملحق رقم (3)

أسماء ولاة الحجاز 1876 ـ 1918

ولاة الحجاز 1876 ـ 1918

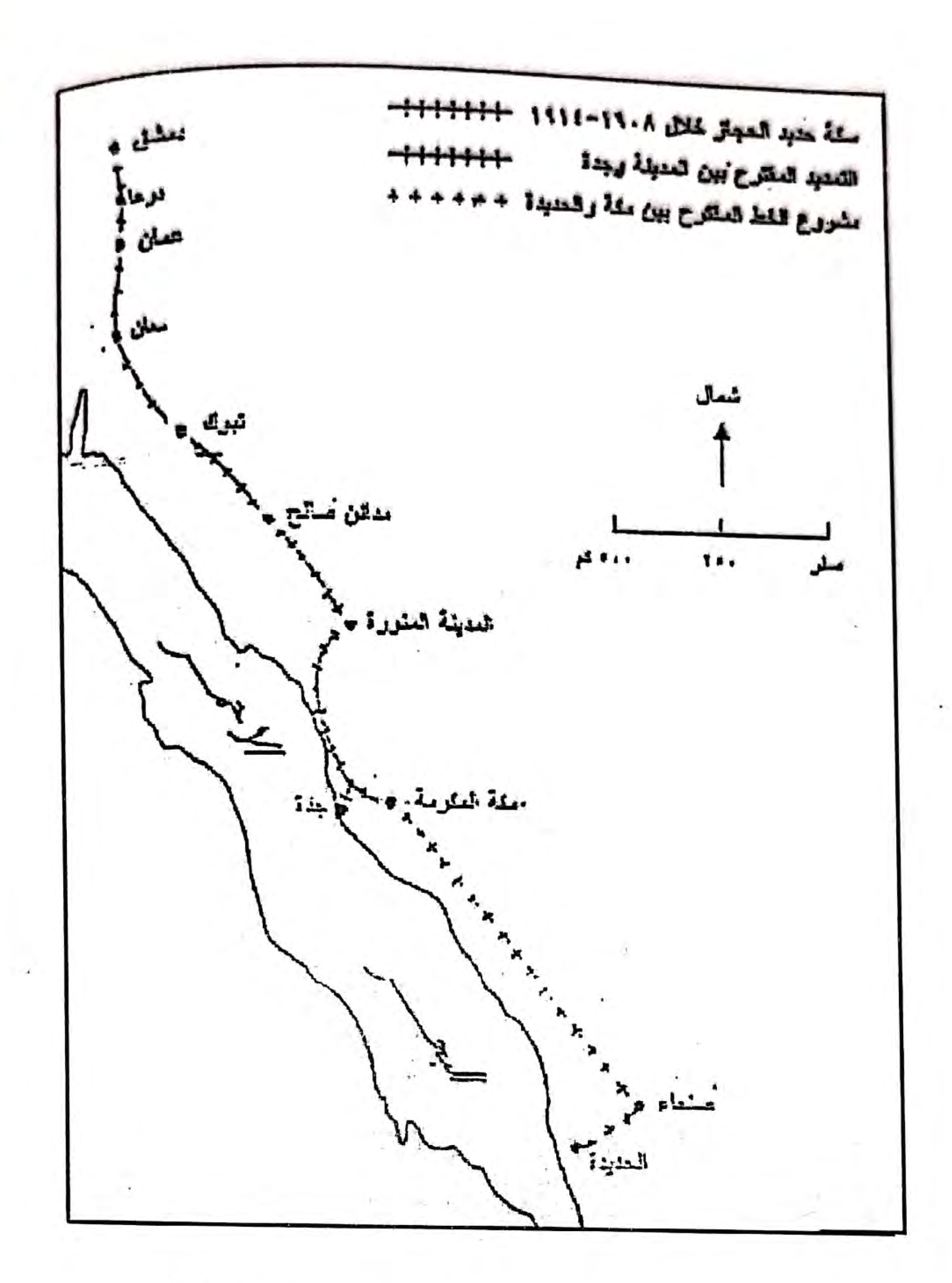
1 ـ تقي الدين باشا الحلبي	1874 ـ 1877
2 ـ حالت باشا	1877 ـ 1879
3 ـ ناشد باشا	1879 ـ 1880
4 ـ صفوت باشا	1880 ـ 1881
5 ـ أحمد عزت باشا	1881 ـ 1882
6 ـ عثمان نوري باشا	1882 ـ 1886
7 ـ جميل باشا	1886 ـ 1887
8 ـ عثمان باشا	1887 ـ 1892
9 ـ أحمد راتب باشا	1893 ـ 1908
10 ـ كاظم باشا	1908 ـ 1909
11 ـ فريد باشا	1909 ـ 1909
12 ـ السيد أمين	1909 ـ 1909
13 ـ شوكت باشا	1909 ـ 1910
14 ـ السيد كامل	1910 ـ 1910
15 ـ عبد الله باشا	1910 ـ 1911
16 ـ السيد حازم	1911 ـ 1911
17 ـ منير باشا	1911 ـ 1911
18 ـ كامل باشا	1911 ـ 1913
19 ـ وهيب باشا	1913 ـ 1915
20 ـ غالب باشا	1915 ـ 1916
21 ـ فخري باشا	1916 ـ 1919

الخرائط



خارطة رقم (1) ولاية الحجاز[1]

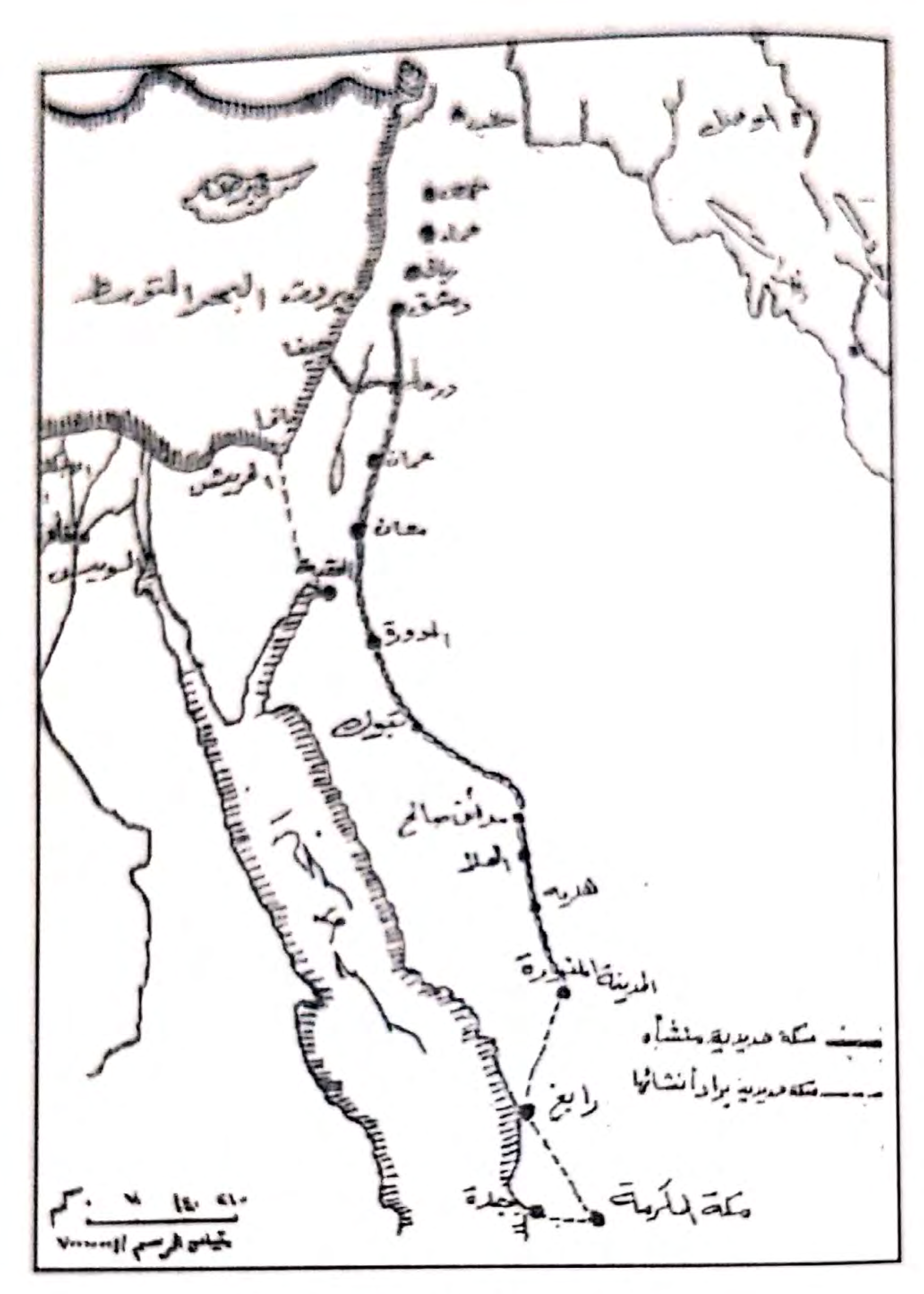
(1) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516 ـ 1916، ص457.



خارطة رقم (2) سكّة حديد الحجاز 1908 ـ 1914م[1]

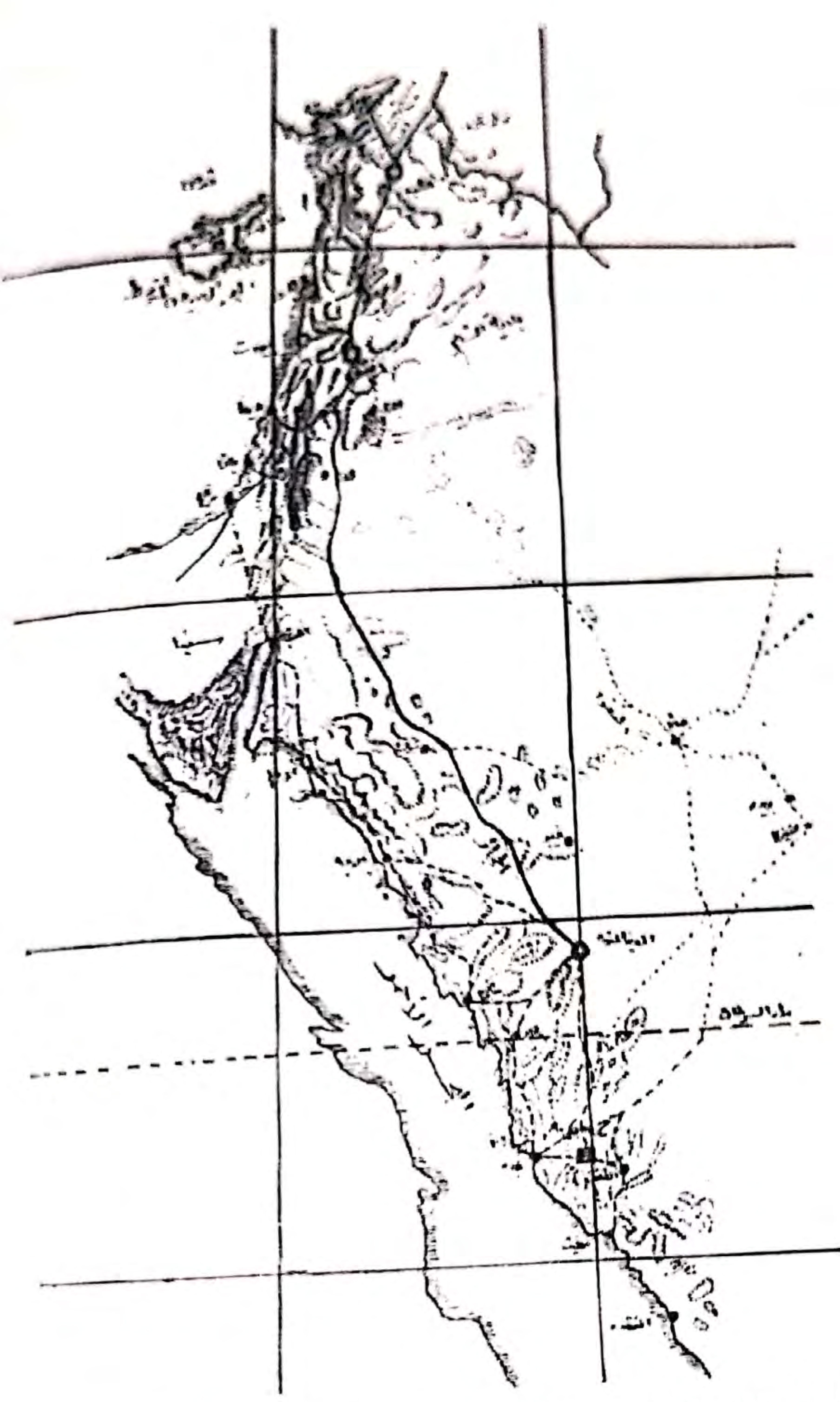
---

(1) المهندس، المصدر السابق، ص90.



خارطة رقم (3) سكّة حديد الحجاز[1]

(1) الجبوري، المصدر السابق، ص115.



خارطة رقم (4) تبيّن أماكن القتال في الحجاز وزحف الجيش العربي من المدينة المنورة حتى حلب[1]

(1) سعيد، الثورة، ج1.

ثَبْتُ المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

البريطانية: وثائق وزارة الخارجية البريطانية British Foreign office

محفوظة في قسم الوثائق في المكتبة المركزية، جامعة بغداد.

1 - F.O.371. 2766, 8030. No. 83 28th Apr.1916

ثانياً: الوثائق المنشورة:

أ - باللغة العربية:

1 - الدستور، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، مجلد 1، 2، (بيروت: 1892).

2 - ساحلي أوغلي، خليل، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني - بحوث ووثائق وقوانين (استانبول: 2000).

3 - صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز 1914 - 1915)، مجلد 1، ط2، (بيروت: 2000).

4 - ـ الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز 1915 - 1916)، مجلد 2، ط2، (بيروت: 2000).

5 - علم الدين، وجيه، العهود المتعلقة بالوطن العربي 1908 - 1922، (بيروت: 1965).

6 - المشاريع الوحدوية العربية 1913 - 1989 (دراسة توثيقية)، إعداد يوسف خوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، (بيروت: 1990).

7 - معروف أغلو، سنان، نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، (بيروت: 2002).

8 - الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين - الخط الحديدي الحجازي 1923 - 1980، مجلد 8، القسم الثاني، جمع وإعداد عدنان محمد البخيت وآخرين، (عمان: 1996).

ب - التركية (العثمانية):

1 - باب عالي، دائرة صدارت، أفندي ديوان همايون 16 سنة 1895.
Vesikanr. 6, 231 BOA, Y-A-Resnr 5818.

ج - التركية (الحديثة):

1 - Ekrem, resat. Osmanli Muahedelerive Kaptiülâsiyanlar 1300-1920 velozan Muahedesi 24 Temmus 1923. (Istanbul 1934).

ثالثاً: المطبوعات الرسمية:

العثمانية:

1 - حجاز ولايتي سالنامه سي برنجي دفعة 1301 هـ - 1883م

2 - سالنامه دولت علية عثمانية 1311هـ - 1893م.

3 - ______________ 1326هـ - 1908م.

4 - ______________ 1327هـ - 1909م.

5 - يمن سالنامه سي 1313هـ - 1895م.

رابعاً: المذكرات الشخصية:

أ - باللغة العربية:

1 - جمال باشا، مذكرات، ترجمة علي أحمد شكري، (بغداد: 1963).

2 - السعيد، مذكرات نوري، مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية

للجيش العربي في الحجاز وسوريا 1916 ـ 1918، ط2، (بيروت: 1987).

3 - سلام، مذكرات سليم علي (1868 ـ 1938) مع دراسة للعلاقات العثمانية ـ العربية والعلاقات الفرنسية ـ اللبنانية، تقديم حسان علي حلاق، (د.م: د.ت).

4 - شفيق باشا، أحمد، مذكراتي في نصف قرن، ج2، (القاهرة: 1936).

5 - عبد الله، مذكرات الملك، ط4، (د.م: 1965).

6 - عبد الحميد، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة محمد حرب عبد الحميد، (د.م: 1978).

7 - ـــ، ط4، ترجمة محمد حرب، (دمشق: 1998).

8 - عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية 1891 ـ 1908، ط5، ترجمة مؤسسة الرسالة، (د.م: 1986).

9 - عثمان أوغلي، عائشة، والدي السلطان عبد الحميد الثاني ـ مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي صالح، (عمان: 1991).

10 - فيضي، مذكرات سليمان فيضي، ط3، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، (بيروت: 1998).

ب ـ باللغة التركية (الحديثة):

1 - Kumandan Larlmizjn Harpatiralar salahddin Güngör, (Istanbul: 1937).

خامساً: الأطروحات والرسائل غير المنشورة:

أ ـ الدكتوراه:

1 - الطائي، ذنون يونس، الأوضاع الإدارية في الموصل 1926 ـ 1958، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 1998).

2 - العدول، جاسم محمد حسن، الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم

الأول 1512 ـ 1520، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، (جامعة الموصل: 2004).

3 ـ علي، علي شاكر، ولاية الموصل في القرن السادس عشر دراسة في أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 1992).

ب ـ الماجستير:

1 ـ أحمد، إبراهيم خليل، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية 1908 ـ 1922، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1975).

2 ـ الجبوري، طالب عبد الغني جار الله صقلاوي، مشروع سكّة حديد الحجاز، رسالة ماجستير، كلية التربية، (جامعة الموصل: 2003).

3 ـ حسن، سعد كاظم، الملك فيصل الأول ودوره في الثورة العربية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، (جامعة بغداد: 1988).

4 ـ الزيدي، مفيد كاصد ياسر، سياسة بريطانيا تجاه آل سعود 1915 ـ 1927، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 1991).

5 ـ سلمان محمد عصفور، العراق في عهد مدحت باشا 1869 ـ 1872، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1989).

6 ـ عبد القادر، عصمت برهان الدين، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني 1908 ـ 1914، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 1989).

7 ـ عبيد، جبار يحيى، التاريخ السياسي لإمارة حائل 1832 ـ 1921، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1987).

8 ـ العبيدي، محمد عبد الرحمن يونس، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية 1876 ـ 1909، رسالة ماجستير، كلية التربية، (جامعة الموصل: 2000).

9 ـ علاوي، نسيبة عبد العزيز عبد الله الحاج، الإدارة العثمانية في الموصل

1879 ـ 1918، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 2002).

10 ـ كمال، سهير نبيل، سياسة محمد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها 1816 ـ 1840، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 2003).

11 ـ محمد، علاء جاسم، جعفر العسكري وجوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق 1920 ـ 1936، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1985).

12 ـ المولى، هند فخري سعيد، اليمن في عهد حكم الاتحاديين 1908 ـ 1918، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 2004).

سادساً المصادر العربية والمعرّبة:

1 ـ أباظة، فاروق، عثمان، الحكم العثماني في اليمن 1872 ـ 1918، (القاهرة: 1986).

2 ـ ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط2، مجلد 5، (القاهرة: 1961).

3 ـ ابن مجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها وضبطها أوسكر لوفغرين، (ليدن: 1951).

4 ـ أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ الكويت الحديث 1750 ـ 1965، (الكويت: 1984).

5 ـ أبو زيد، بكر بن عبد الله، خصائص جزيرة العرب، ط3، (الرياض: 2000).

6 ـ أبو زيدون، وديع، تاريخ الإمبرطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، (عمان: 2003).

7 ـ أبو النصر، عمر، سورية ولبنان حتى أول القرن التاسع عشر ويليها فصول عن تاريخ العرب والإسلام، ط2، (بيروت: 1927).

8 - أحد أعضاء الجمعيات العربية السورية، ثورة العرب ضد الأتراك مقدماتها، أسبابها، نتائجها، تحقيق محمد شبارو، (بيروت: 1987).

9 - إحسان أوغلي، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، ج1، (استانبول: 1999).

10 - أحمد، إبراهيم خليل وخليل علي مراد، إيران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، (الموصل: 1992).

11 - أحمد، إبراهيم خليل ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516 ـ 1916م، (الموصل: 1986).

12 - أحمد، فيروز، صنع تركيا الحديثة، ترجمة سلمان داود الواسطي وحمدي حميد الدوري، (بغداد: 2000).

13 - أحمد، كمال مظهر، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط، (بغداد: 1978).

14 - أداموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ج1، (البصرة: 1982).

15 - أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، جمع وتحقيق حسن السماحي سويدان، (دمشق: 2001).

16 - أرنولد، السير توماس، الخلافة، ترجمة جميل معلى، (دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر: د.ت).

17 - أصاف، يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة: 1995).

18 - الأعظمي، أحمد عزت، القضية العربية أسبابها مقدماتها تطوراتها ونتائجها، ج1، ج6، (بغداد: 1931).

19 - الأعظمي، عبد الهادي، دروس التاريخ العثماني، (بغداد: 1912).

20 - أفندي، إبراهيم، مصباح الساري ونزهة القاري، (بيروت: 1858).

21 - الأميركاني، كارنيليوس فنديك، المرآة الوضية في الكرة الأرضية، (د.م: د.ت).

22 - أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط6، (بيروت: 1980).

23 - أنيس، محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي 1514 - 1914، (القاهرة: 1960).

24 - أنيس، محمد ورجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، (القاهرة: 1967).

25 - أوزنونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمد سلمان، مج2 (استانبول: 1990).

26 - إيڤانوف، نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 - 1574، ترجمة يوسف عطا الله، (بيروت: 1988).

27 - باوزير، سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط2، (عدن: 1966).

28 - البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا خديوي مصر، ط2، (مصر: 1911).

29 - بحري، لؤي، سكّة حديد بغداد - برلين، (بغداد: 1967).

30 - البرادعي، الشريف أحمد بن محمد صالح الحسيني، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، (د.م: 1972).

31 - برادشوفي، سيدني، أسباب الحرب العالمية بعد فاجعة سيراجيفو، ترجمة محمد إبراهيم الدسوقي، ج2، (مصر: د.ت).

32 - برج، محمد عبد الرحمن، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، (مصر: 1974).

33 - بركات، رجب، بلدية البصرة 1869 - 1981، (جامعة البصرة: 1984).

34 - البركاني، شرف بن عبد المحسن، الرحلة اليمانية لصاحب الدولة أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا وأعماله في محاربة الإدريسي، ط2، (بيروت: 1964).

35 - برو، توفيق علي، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 - 1914، (القاهرة: 1961).
36 - بروكلمان، كارل، الإسلام في القرن التاسع عشر، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (بيروت: 1950).
37 - ــــــ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، (بيروت: 1968).
38 - البطريق، عبد الحميد، الأمة العربية، (مصر: د.ت).
39 - ــــــ، التيارات السياسية المعاصرة 1815 - 1960، (بيروت: 1974).
40 - بك حليم، إبراهيم، تاريخ الدولة العثمانية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، (القاهرة: 2004).
41 - بني المرجة، موفق، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، (الكويت: 1984).
42 - بولارد، سر ريدر، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1952، ترجمة حسن أحمد السلمان، (بغداد: 1957).
43 - بيات، فاضل مهدي، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، (بنغازي: 2003).
44 - بيهم، محمد جميل، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، (مصر: 1950).
45 - جارسلي، إسماعيل حقّي أوزون، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، (البصرة: 1985).
46 - الجميل، سيار كوكب علي، بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، (عمان: 1997).
47 - ــــ، تكوين العرب الحديث 1516 - 1916، (الموصل: 1991).
48 - حاطوم، نور الدين، تاريخ عصر النهضة، (د.م: د.ت).
49 - حافظ، علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، (جدة: د.ت).
50 - الحداد، محمد يحيى، تاريخ اليمن السياسي، (القاهرة: 1976).

51 - حراز، رجب، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840 ـ 1909، (القاهرة: 1970).
52 - حرب، محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط2، (دمشق: 1999).
53 - الحصري، أبو خلدون ساطع، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، (بيروت: 1948).
54 - ـــــــ، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، (بيروت: 1960).
55 - الحكيم، يوسف، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، (بيروت: 1964).
56 - ـــــــ، سورية والعهد العثماني، ط2، (بيروت: 1980).
57 - الحلاق، أحمد البديري، حوادث دمشق اليومية 1741 ـ 1762، (القاهرة: 1959).
58 - حلاق، حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 ـ 1909، (بيروت: 1978).
59 - حمادة، محمد عابدين، تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط2، (دمشق: 1946).
60 - الحمود، نوفان رجا، حركات العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، (بيروت: 1981).
61 - الخالدي، محمد فاروق، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، (بيروت: 2000).
62 - الخطاب، رجاء حسين حسني، عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقاته بمعاصريه، (بغداد: 1984).
63 - الدباغ، مصطفى مراد، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام، ج1، (بيروت: 1963).
64 - دحلان، أحمد ابن السيد زيني، أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول ﷺ حتى الشريف الحسين بن علي، ط2، (بيروت: 1981).
65 - ـــــــ، تاريخ أشراف الحجاز 1840 ـ 1883 ـ خلاصة الكلام في

بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق وتحليل محمد أمين توفيق، (بيروت: 1993).
66 - ـــــــ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج2، (مصر: 1935).
67 - دروزة، محمد عزة، الوحدة العربية، (بيروت: 1957).
68 - درويش، مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، (جدة: 1980).
69 - الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (القاهرة: 1976).
70 - الدنجتون، ريتشارد، لورانس في بلاد العرب، ترجمة محمد عزت موسى، (مصر: 1966).
71 - الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، (بيروت: 1986).
72 - الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج2، (د.م: د.ت).
73 - رافق، عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (1516 - 1798)، ط2، (دمشق: 1968).
74 - ـــــــ، العرب والعثمانيون 1516 - 1916، (دمشق: 1974).
75 - الراقد، محمد عبد المنعم السيد، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، (الإسكندرية: 1972).
76 - الراوي، إبراهيم، من الثورة العربية إلى العراق الحديث ذكريات، (بيروت: 1969).
77 - رضا، رشيد، مختارات سياسية من مجلة المنار، (بيروت: 1986).
78 - رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ج2، (القاهرة: 1925).

79 - روندو، بيير، مستقبل الشرق الأوسط، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز، (بيروت: 1959).

80 - الريحاني، أمين، تاريخ نجد وملحقاته، (د.م: د.ت).

81 - ـــــــ، ملوك العرب، ج1، (بيروت: 1980).

82 - الزبيدي، محمد حسين، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العراق المعاصر 1303 - 1370هـ - 1885 - 1951م، (بغداد: 1989).

83 - الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط2، ج2، (بيروت: د.ت).

84 - الزيدي، مفيد، عبد العزيز آل سعود وبريطانيا دراسة في السياسة البريطانية تجاه إمارة نجد 1915 - 1927، (بيروت: 2002).

85 - ـــــــ، العرب والقوى الدولية في القرن الحادي والعشرين، (عمان: 2003).

86 - ـــــــ، موسوعة تاريخ العرب المعاصر والحديث، (عمان: 2004).

87 - زين، زين نور الدين، نشوء القومية العربية، (بيروت: 1968).

88 - سالم، السيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث - اليمن والإمام يحيى 1904 - 1948، (القاهرة: 1963).

89 - السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ج2، (مصر: 1952).

90 - ستودارد، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، ط3، مج2، مج3، (مصر: 1971).

91 - ستيفه، فردريك، المقدمات المنطقية للحرب العالمية، (د.م: 1926).

92 - سرهنك، إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، (مصر: 1894).

93 - سعيد، أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، (د.م: د.ت).

94 - ـــــــ، تاريخ الدولة السعودية، ج2، (السعودية: د.ت).

95 - ـــــــ، ثورات العرب في القرن العشرين، (القاهرة: د.ت).

96 ـ ــــــــــ، الثورة العربية الكبرى ـ تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، ج1 وج2، (القاهرة: د.ت).

97 ـ ــــــــــ، ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، ج1 وج2، (مصر: 1934).

98 ـ سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، (دمشق: 1991).

99 ـ سوفاجية، جان، دمشق لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث، ترجمة فؤاد إفرام البستاني، (بيروت، 1936).

100 ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (مصر: 1952).

101 ـ شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي ـ العهد العثماني، ج8، ط4، (بيروت: 2000).

102 ـ الشامخ، محمد عبد الرحمن، التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، (الرياض: 1973).

103 ـ ــــــــــ، الصحافة في الحجاز 1908 ـ 1941، دراسة ونصوص، (الرياض: 1971).

104 ـ شبيكة، مكي، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، ج1، (1971) وج2، (1978).

105 ـ الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، (القاهرة: 1965).

106 ـ الشريفي، إبراهيم، التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً، (د.م: 1971).

107 ـ شلبي، أحمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج7، (القاهرة: 1982).

108 ـ الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، (القاهرة: 1978).

109 ـ شهاب، أسامة يوسف، الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، (د.م: د.ت).

110 ـ الشهابي، مصطفى، محاضرات في الاستعمار، (القاهرة: 1957).
111 ـ الشوابكة، أحمد فهد بركات، حركة الجامعة الإسلامية، (الأردن: 1984).
112 ـ الشيخ، رأفت غنيمي، في تاريخ العرب الحديث، (القاهرة: 1975).
113 ـ صابات، خليل، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، (القاهرة: 1958).
114 ـ صايغ، أنيس، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، (بيروت: 1966).
115 ـ الصايغ، أنيس، إعداد، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ، ط2، (بيروت: 1973).
116 ـ الصلابي، علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، (القاهرة: 2004).
117 ـ طرازي، فيليب دي، تاريخ الصحافة العربية، ج4، (بيروت: 1913).
118 ـ طرخان، إبراهيم علي، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 1382 ـ 1517، (القاهرة: 1960).
119 ـ طلس، محمد أسعد، تاريخ الأمة العربية ـ عصر الانبعاث، (بيروت: 1963).
120 ـ ـــــــــ، تاريخ العرب، ط2، ج7، (د.م: 1979).
121 ـ طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، (القاهرة: 1969).
122 ـ عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية 1234 ـ 1256هـ / 1819 ـ 1840م، ج2، (القاهرة: 1981).
123 ـ عبد الكريم، أحمد عزت، دراسات في تاريخ العرب الحديث، (بيروت: 1970).
124 ـ عبد الكريم، أحمد عزت وآخرون، تاريخ العالم العربي في العصر الحديث، (مصر: د.ت).
125 ـ عبيد عادل علي، من أحداث عامي 1918 ـ 1919 عرض موجز، (بغداد: 1984).
126 ـ العثيمين، عبد الله الصالح، نشأة إمارة آل رشيد، (الرياض: 1981).
127 ـ العريسي، عبد الغني، مختارات المفيد، (بيروت: 1981).

128 ـ العزاوي، عباس، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية من سنة 656هـ ـ 1258م إلى سنة 1335هـ ـ 1917م، (بغداد: 1958).

129 ـ عشماوي، محمد عبد الباقي، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية دمرته وعربية أيقظته، (القاهرة: 1958).

130 ـ عطية، إدوارد، العرب، ترجمة محمد قنديل البقلي، (القاهرة: 1961).

131 ـ العقيلي، محمد بن أحمد، تاريخ المخلاف السليماني، ط2، ج2، (الرياض: 1982).

132 ـ عليوي، هادي حسن، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي 1918 ـ 1952، (بيروت: 2000).

133 ـ عمر، عمر عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث ـ الشرق العربي من الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثاني عشر، (بيروت: 1971).

134 ـ العمري، محمد طاهر، مقدرات العراق السياسية، ج1، (بغداد: 1924).

135 ـ عوض، عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864 ـ 1914، (مصر: 1969).

136 ـ عيساوي، شارل، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب 1800 ـ 1914، ترجمة رؤوف عباس حامد، (بيروت: 1990).

137 ـ غرايبة، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، (بيروت: 1984).

138 ـ ــــــــ، مقدمة تاريخ العرب الحديث 1500 ـ 1918، ج1، (دمشق: 1960).

139 ـ فارس، نبيه أمين ومحمد توفيق حسين، هذا العالم العربي، (بيروت: د.ت).

140 ـ فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، (موسكو: 1986).

141 ـ فؤاد، علي، كيف غزونا مصر، ترجمة نجيب الأرمنازي، (د.م: 1962).

142 ـ الفواز، كليب سعود، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين 1908 ـ 1918، (بغداج: د.ت).
143 ـ فيضي، باسل سليمان، سليمان فيضي مؤلفات مختارة ـ التحفة الإيقاظية في الرحلة الحجازية ـ الرواية الإيقاظية ـ البصرة العظمى، (بيروت: 1998).
144 ـ قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق بين 1918 ـ 1920، (مصر: د.ت).
145 ـ قلعجي، قدري، جيل الفداء ـ قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب، (د.م: د.ت).
146 ـ القهواتي، حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي 1869 ـ 1914، (بغداد: 1980).
147 ـ القيسي، عبد الوهاب وآخرون، تاريخ العالم الحديث 1914 ـ 1945، (الموصل: 1983).
148 ـ كامل، محمود، الإسلام والعروبة، (مصر: د.ت).
149 ـ كحالة، عمر رضا، جغرافية شبه جزيرة العرب، ط2، (القاهرة: 1964).
150 ـ كردعلي، محمد، خطط الشام، ج5، (دمشق: 1956).
151 ـ كرشة، أندراوس ويورغاكي أبيض، الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية، (طرابلس الشام: 1912).
152 ـ كوترات، دونالد، الدولة العثمانية 1700 ـ 1922، ترجمة أيمن الأرمنازي، (الرياض: 2004).
153 ـ الكوراني، أسعد، ذكريات وخواطر مما رأيت وسمعت وفعلت، (د.م: 2000).
154 ـ كيرك، جورج، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة عمر الإسكندري، (القاهرة: 1957).
155 ـ كيللر، العرب والاستعمار، (بيروت: 1964).
156 ـ لبيب، حسين، تاريخ المسألة الشرقية، (مصر: 1921).

157 ـ لنشوفسكي، جورج، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج1، (بغداد: 1964).

158 ـ لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، ط7، (بيروت: 1980).

159 ـ لورانس، ت.أ.، أعمدة الحكمة السبعة، (بيروت: د.ت).

160 ـ لويس، برنارد، العرب في التاريخ، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، (بيروت: 1954).

161 ـ المالكي، إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي، قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، (د.م: د.ت).

162 ـ محافظة، علي، العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية 1841 ـ 1945، (بيروت: 1981).

163 ـ المحامي، محمد رفعت، أسد الجزيرة قال لي، ط2، (الرياض: 1999).

164 ـ المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق، إسحاق حقي، (بيروت: 1981).

165 ـ محمد علي، أورخان، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، (الرمادي: 1987).

166 ـ المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج2، (بيروت: د.ت).

167 ـ مراد، خليل علي وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، (الموصل: 1988).

168 ـ مصطفى، أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، (بيروت 1982).

169 ـ مصطفى، حامد، الجهاد في الإسلام ماضيه وحاضره، (د.م: د.ت).

170 ـ مصطفى، عبد المنعم، لورانس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية، (بغداد: 1990).

171 ـ المقدسي، أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط4 (بيروت: 1967).
172 ـ منسي، محمود صالح، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، (القاهرة: 1972).
173 ـ موسى، سليمان، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، ط2، (عمان: 1992).
174 ـ ـــــــ، الثورة العربية الكبرى ـ الحرب في الأردن 1917 ـ 1918 مذكرات الأمير زيد، (عمان: 1976).
175 ـ مؤلف مجهول، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، (د.م: د.ت).
176 ـ المؤمني، نضال داود، الشريف الحسين بن علي والخلافة، (عمان: 1996).
177 ـ الناصري، محمد خلوصي، البيان في تاريخ آل عثمان، (بغداد: 1912).
178 ـ نايتلي، فيليب وكولن سمبسون، المخفي من حياة لورانس العرب، ترجمة إيلي لاوند وإبراهيم العابد، (بيروت: 1971).
179 ـ نديم، شكري، حرب فلسطين، (د.م: د.ت).
180 ـ نوري، مفيد محمد وطلعت الياور وعباس ياسر الزيدي، دراسات في الوطن العربي، (الموصل: 1972).
181 ـ هاسلب، جون، السلطان الأحمر عبد الحميد، ترجمة فيليب عطا الله، (بيروت: 1974).
182 ـ الهلالي، محمد مصطفى، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، (دمشق: 2004).
183 ـ الواسعي، عبد الواسع يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، (القاهرة: 1927).
184 ـ الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ملحق ج6، (بغداد: 1979).

185 ـ وليمز، كنت، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، ترجمة كامل صموئيل مسيحة، (بيروت: 1934).

186 ـ وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط3، (القاهرة: 1956).

187 ـ وهيم، طالب محمد، مملكة الحجاز 1916 ـ 1925 دراسة في الأوضاع السياسية، (البصرة: 1982).

188 ـ يحيى، جلال، العالم العربي الحديث، (مصر: 1966).

189 ـ ـــــــــ، مصر الحديثة 1517 ـ 1805، (الإسكندرية: د.ت).

190 ـ يعقوب، هارولد، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، (بيروت: 1983).

سابعاً: العثمانية (بالحروف العربية):

1 ـ أدهم، خليل، دول إسلامية، (استانبول: 1927).

2 ـ توفيق، محمد، تاريخ عثماني، ط2، (د.م: 1890).

3 ـ حامد، أحمد ومصطفى محسن، توركية تاريخي، ط2، (استانبول: 1926).

4 ـ حلمي، إبراهيم، ممالك عثمانية جيب اطلاسي، (د.م: 1905).

5 ـ رشاد، علي، عصر حاضر تاريخي، (استانبول: 1926).

6 ـ شرف، عبد الرحمن، تاريخ دولت عثمانية، جلد1، ط2، (استانبول: 1897).

7 ـ ـــــــــ، فذلكة تاريخ دولت عثمانية، (استانبول: 1897).

8 ـ فاروق، عمر، تاريخ أبو الفاروق، تاريخ عثمانيده، جلد2، (د.م: 1910).

9 ـ لهارد، انكه، تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك تاريخ اصلاحاتي 1826 ـ 1882، ترجمة علي رشاد، (استانبول: 1910).

ثامناً: التركية:

1 - Kocahanöglu, Osman selim, Osmanli Devlet'nin Misir Yemen Hicaz Mesclesi, (Temelyayinlar: N.d).

2 - Özyüksel, Murat, Hicaz Demiryolu, (Istanbul: 2000).

3 - Sariuildiz, Gulden, Hicaz Karantina Teskilâti (1865 - 1914), (Ankara: 1996).

4 - Yahya, Harun, Türkün Sanli Tarihi, (Istanbul: 2002).

تاسعاً: المصادر الإنكليزية:

1 - Ahmed, Feroz, The Young Turks, (London: 1969).

2 - Al-Amr, Saleh Muhammed, The Hijaz under Ottman rule 1869 - 1914: Ottman Vali the Sharif of Macea, and the growth of British influence, (London: 1974).

3 - Bal-dawin, Hason W., World War I-an outline history, (New York: 1962).

4 - Earle, M, the great powers and the Baghdad Railway, (London: 1923).

5 - Fisher, Sydney N., The Middle East, (London: 1959).

6 - Hogarth, D.G., Arabia, (Oxford: 1922).

7 - Howarth, David, The desert king a life of Ibn Saud, (London: 1964).

8 - Shaw, Stanford J., and Show, Ezel Kral. History of the Ottman Empire and Modern Turkey, Vol.1, (London: 1977).

عاشراً: البحوث العربية:

1 - إسماعيل، حكمت، «مظالم جمال باشا في بلاد الشام بعد فشل حملة

السويس وأثرها في قيام الثورة العربية»، مجلة دراسات تاريخية، (دمشق)، السنة 22، ع73 ـ 74، 2001.
2 ـ الأفغاني، سعيد، «قصة الخط الحديدي الحجازي لم تتم فصولاً»، مجلة العربي، (الكويت)، ع28، آذار 1982.
3 ـ ابن دهيش، عبد اللطيف عبد الله، «المدارس الأهلية بجدة والطائف في أواخر العهد العثماني»، مجلة الدارة، (الرياض)، السنة 10، ع3، 1984.
4 ـ التميمي، حميد أحمد حمدان، «خطوات السيطرة العثمانية في المشرق والخليج العربي 1514 ـ 1547»، مجلة المؤرخ العربي، (بغداد)، سنة 19، ع47، 1994.
5 ـ ريان، محمد رجائي، «الثورة العربية الكبرى دوافعها ونتائجها»، مجلة اليرموك الأردنية، جامعة اليرموك، ع46، 1994.
6 ـ الزيدي، مفيد كاصد، «بريطانيا والمشرق العربي في القرن العشرين»، مجلةى آفاق عربية، (بغداد)، سنة 13، 1993.
7 ـ السعدون، خالد حمود، «مقاومة القبائل لسكّة حديد الحجاز أسبابها وتطوراتها»، مجلة الدارة، (الرياض)، السنة 14، ع2، 1988.
8 ـ العابد، صالح محمد، «النظام الإداري من الاحتلال المغولي حتى السيطرة العثمانية 1258 ـ 1534، حضارة العراق ج10، (بغداد)، 1985.
9 ـ عبد القادر، عصمت برهان الدين، «أوضاع ولاية الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال سالنامات الموصل العثمانية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، (بغداد)، م45، ج2، 1998.
10 ـ العدول، جاسم محمد حسن، «دور العراق في إنشاء سكّة حديد الحجاز»، مجلة دراسات تاريخية، (بغداد»، سنة2، 2001.
11 ـ علي، علي شاكر، «التشكيلات الإدارية العثمانية 1516 ـ 1918» موسوعة الموصل الحضارية، مج4، (الموصل: 1992).
12 ـ مراد خليل علي، «الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي

(922 ـ 1139هـ) (1516 ـ 1726م)، موسوعة الموصل الحضارية، مج4، (الموصل: 1992).

13 - ــــــــــ، «صرّة الحرمين الشريفين في العهد العثماني»، مجلة الرسالة الإسلامية، (العراق)، ع267، 2001.

14 - المرسي، الصفصافي أحمد، «الدولة العثمانية والولايات العربية»، مجلة الدارة، (الرياض)، سنة 8، ع4، 1983.

15 - المهندس، أحمد عبد القادر، «سكّة حديد الحجاز رحلة في الزمان والمكان»، مجلة الدارة، (الرياض)، سنة 13، ع2، 1987.

أحد عشر: البحوث باللغة الإنكليزية:

1 - Alam, Jamal, «Education in the Hijaz under Turkish and Sharifian rule», The Islamic Quarteri, (London), Vol. XIX, No, 1-2, (1975).

اثنا عشر: الصحف والمجلات:

أ ـ الصحف العربية:

أولاً: الحياة (بيروت)، ع 5265، كانون الثاني، 2005.

ثانياً: الزوراء (بغداد)

1 ـ ع1923، 22 شوال 1319هـ ـ 1901م.

2 ـ ع2082، 24 ربيع الآخر 1324هـ ـ 1906م.

ب ـ الصحف العثمانية:

1 ـ ثروت فنون (استانبول) 2 أيار 1901.

2 ـ ــــــــــ 10 تموز 1901.

3 ـ ــــــــــ 13 تموز 1908.

المجلات العربية:

1 - مجلة الحرب العالمية الأولى، (بيروت)، مجلد 3، ج5، 1938.

2 - المقتطف، (القاهرة، م21، 1904.

3 - ________، م24، 1904.

4 - الهلال (مصر) سنة 8، ج3، أيلول 1900.

الموسوعات العربية:

1 - دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، ج13، (القاهرة: د.ت).

الموسوعات الإنكليزية:

1 - The Encyclopedia of Islam, Vol.3. (London: 1975).

الفهارس

فهرس الأعلام

ب

ت

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

هـ

و

ي

فهرس الأماكن

ت

ث

ج

د

ر

س

ن

هـ

فهرس الجماعات

ن

هـ

و

ي

من مقدمة الكتاب

نظراً للأهمية الكبيرة التي تمتّعت بها منطقة شبه الجزيرة العربية فقد قام الباحثون بدراسة تلك المنطقة إلاَّ أنَّ الكثيرين منهم ركّزوا دراساتهم حول الخليج العربي ولكن ثمَّة بعض المناطق ومنها الحجاز كان نصيبها من الدراسة وخاصة في الفترة العثمانية قليلاً جدّاً، لذلك وقع اختياري على دراسة الحجاز في العهد العثماني في الفترة 1876 - 1918 موضحاً سياسة الدولة العثمانية في الحجاز خلال عهدي السلطان عبد الحميد الثاني والاتحاديين وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ويتكوّن الكتاب من مقدمة وأربعة فصول وخلاصة وملاحق، وكان الفصل الأول يدرس التوجّه العثماني نحو المشرق العربي وموقع الحجاز فيه، وتناولنا في المبحث الأول منه أسباب توجّه العثمانيين نحو المشرق العربي والخلاف العثماني المملوكي، والسيطرة العثمانية على مصر، في حين تناول المبحث الثاني موقع الحجاز وتسميته ثم السيطرة العثمانية على الحجاز، ومن ثمّ الأسر الحاكمة فيه. وبيّنّا معنى الصرّة العثمانية ومراسيم إرسالها إلى الحجاز. أمّا المبحث الثالث فتحدثنا فيه عن الأشراف والصراع حول الشرافة.

وتعرّض الفصل الثاني إلى الإدارة والتعليم والطباعة والصحافة والصحة في الحجاز، فتناول المبحث الأول التقسيمات الإدارية في الحجاز والجهاز الإداري ومهام الجهاز الإداري والمجالس الإدارية.

أمّا المبحث الثاني فقد تناول التعليم في الحرم المكي والمسجد النبوي، والتعليم الحكومي والأهلي، ونشأة الطباعة والصحافة في الحجاز. أمّا المبحث الثالث فقد تحدثنا فيه عن الصحة في الحجاز.

وبحث الفصل الثالث التطورات السياسية في الحجاز خلال الفترة 1876 - 1914. وقد خصص المبحث الأول منه للإشراف في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، أما المبحث الثاني فقد تطرّق إلى موضوع سكّة حديد الحجاز من حيث الفكرة والأسباب والتمويل والصعوبات التي واجهتها. وكذلك بعض الخدمات في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

وخصص الفصل الرابع عن الحجاز خلال سنوات الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918.

صورة الغلاف : مدينة جدة عام ١٨٩٤

ISBN 978-9933-493-16-5



